The Islamic Universityof Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Arts
Master of History



الجـامعــــــــة الإســــلاميــة بغــزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كـليـــــــــــــــــة الآداب
ماجستيـــــــــــــــــــــر تاريخ

أسباب النصر والتمكين للدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي (388-421هـ/998-1030م)

Reasons of Victory and Ewpowerment of the Ghaznawiyya State duriny Sultan Mahmoud bin Sabaktakeen AL-Goznawi Rule (388-421AH/988-1030AC)

إعدَادُ البَاحِثِ

محمد أحمد محمد زعرب

إشرَافُ

الدُكتُور/ إبراهيم أحمد أبو شبيكة

قُدمَ هَذا البحثُ استِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ

فِي التاريخ الإسلامي بِكُليةِ الآداب فِي الْجَامِعَةِ الإسلامِيةِ بِغَزة

أكتوبر/2018م – صفر/ 1440هـ

إقــــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

أسباب النصر والتمكين للدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي (388–421هـ / 998–1030م)

Reasons of Victory and Ewpowerment of the Ghaznawiyya State duriny Sultan Mahmoud bin Sabaktakeen AL-Goznawi Rule (388-421AH/988-1030AC)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	محمد أحمد محمد زعرب	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:		التاريخ:





الجامعة الإسلامية بغزة
The Islamic University of Gaza
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي: 1150

الرقم: ج س غ/35/ Ref
التاريخ: 2018/11/13م Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **محمد أحمد محمد زعرب** لنيل درجة الماجستير في كلية **الآداب**/ برنامج **التاريخ** وموضوعها:

أسباب النصر والتمكين للدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي (388-421هـ/998-1030م)

Victory and Ewpowerment's Reasons of the Ghaznowiyya State Duriny Sultan Mahmod Bin Sabaktakeen Al-Goznawi Rule (388-421H/998-1030M)

وبعد المناقشة التي تمت اليوم **الثلاثاء 4 ربيع الأول 1440**هـ الموافق **2018/11/21**م الساعة الثانية **عشرة ظهراً**، في قاعة مبنى **القدس** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. إبراهيم أحمد أبو شبيكة	**مشرفاً ورئيساً**	....
د. غسان محمود وشاح	**مناقشاً داخلياً**	....
د. يوسف ابراهيم الزاملي	**مناقشاً خارجياً**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية الآداب/برنامج التاريخ**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. مازن إسماعيل هنية

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine Tel: + 970 (8) 264 4400 هاتف Fax: + 970 (8) 264 4800 فاكس ص.ب 108 الرمال. غزة. فلسطين
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

1/ ✓	اللغة	3106959	الرقم العام للنسخة

التاريخ: 2016/12/3

الموضوع/ استلام النسخة الإلكترونية لرسالة علمية

قامت إدارة المكتبات بالجامعة الإسلامية باستلام **النسخة الإلكترونية** من رسالة

الطالب/ محمد احمد محمد نزيه

رقم جامعي: 120162594 قسم: التاريخ كلية: الآداب

وتم الاطلاع عليها، ومطابقتها بالنسخة الورقية للرسالة نفسها، ضمن المحددات المبينة أدناه:

- تم إجراء جميع التعديلات التي طلبتها لجنة المناقشة.
- تم توقيع المشرف/المشرفين على النسخة الورقية لاعتمادها كنسخة معدلة ونهائية.
- تم وضع ختم "عمادة الدراسات العليا" على النسخة الورقية لاعتماد توقيع المشرف/المشرفين.
- وجود جميع فصول الرسالة مجمَّعة في ملف (WORD) وآخر (PDF).
- وجود فهرس الرسالة، والملخصين باللغتين العربية والإنجليزية بملفات منفصلة (PDF +WORD)
- تطابق النص في كل صفحة ورقية مع النص في كل صفحة تقابلها في الصفحات الإلكترونية.
- تطابق التنسيق في جميع الصفحات (نوع وحجم الخط) بين النسخة الورقية والإلكترونية.

ملاحظة: ستقوم إدارة المكتبات بنشر هذه الرسالة كاملة بصيغة (PDF) على موقع المكتبة الإلكتروني.

والله ولي التوفيق،

توقيع الطالب ....

إدارة المكتبة المركزية ....

٩٥٩

ملخص الرسالة

تناولت الدراسة موضوعًا من أهم المواضيع التي تحتاجها الأمة العربية والإسلامية في يومنا الحاضر، ألا وهو: النصر والتمكين لهذه الأمة المكلومة والمغلوب على أمرها والتي يتكالب عليها القريب والبعيد والصديق والعدو للإطاحة بها، لهذا جاءت هذه الدراسة بعنوان: **أسباب النصر والتمكين للدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي (388-421هـ/998-1030م).**

وتهدف الدراسة إلى إبراز مؤهلات السلطان محمود الإيمانية لجلب النصر والتمكين للدولة الغزنوية، ونشره للإسلام، وهدمه للأصنام، ومحاربة الفرق الضالة والمذاهب الفاسدة في بلاد المشرق الإسلامي، وكذلك اهتمامه بالعلماء والفقهاء، والعمل على تقوية الجبهة الداخلية للدولة الغزنوية، وتوسيع رقعتها.

وقد خلص الباحث إلى أن إلتزام السلطان محمود، والعمل على نشر الإسلام، والقضاء على أهل البدع والضلالة، وتقوية الدولة الغزنوية وتوحيد جبهتها الداخلية- قد شكلت أساسًا مهمًا في جلب النصر والتمكين لدولة الإسلام، ورفع راية الحق عالية.

ومن أهم الأسباب التي دفعت الباحث إلى تناول هذا الموضوع في دراسته- الرغبة الشديدة في التعرف على أسباب النصر والتمكين عند السلطان محمود، والتي مكنته من بناء دولة عظيمة في بلاد المشرق الإسلامي، استطاعت أن تعيد للإسلام مجده وللسنة النبوية الشريفة عزتها، وأن يهدم الأصنام ويبني بدلاً منها مساجد الإسلام، ويصبح أحد الأبطال العظماء الذين خلدهم التاريخ، وما زال اسمه يصدع في ربوع بلاد المسلمين إلى يومنا الحاضر.

Abstract

The study addresses one of the major issues needed by the Arab and Muslim nation at this time; victory and empowerment of this befallen and defeated nation who is constantly attacked by enemies and friends alike. The study is titled "Reasons of Victory and Empowerment of the Ghaznawiyya State during Sultan Mahmoud bin Sabaktakeen AL-Goznawi Rule (388-421AH/988-1030AC)".

The aim is to highlight Sultan Mahmoud's faith and belief which enabled him to achieve the Ghaznawiyya State's victory and empowerment and gave him strength to spread Islam, destroy idols and fight against astray and corrupt groups in the Muslim Orient. The study also aims at demonstrating the Sultan's support to scientists and jurisprudents and his efforts in strengthening the Ghaznaweyya State's internal front as well as expanding its authority.

The researcher concluded that the Sultan's commitment and efforts in spreading Islam, vanquishing the heretics and strengthening the Ghaznaweyya State on the internal and external fronts have been a good basis for the Islamic State's victory and empowerment.

The main reasons that the researcher chose this topic was his desire to determine the reasons behind Sultan Mahmoud's victory and empowerment and how he managed to build such a great state in the Islamic Orient. The Sultan's state was able to regain glory to Islam and holy Sunnah, destroy idols and build mosques. He became one of the great heroes of all times and his name still resonates in all Muslim countries.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[آل عمران:160]

اْلإِهدَاْءُ

إلى ... من جعل مشواري العلمي ممكنًا إلى أبي الرحيم.

إلى ... من تحت قدمها تُطلب الجنة إلى أمي الحنون.

إلى ... إخوتي وأخواتي، وأهلي وأحبابي.

إلى ... منساندني وآزرني في إنجاز هذه الدراسة.

إلى ... الأمة العربية والإسلامية وأحرار العالم أجمع.

إلى ... الأكرم منا جميعًا (الشهداء الأبطال).

إلى ... إخواننا داخل سجون العدو الغاشم.

إلى ... أبطال المقاومة البواسل (جندًا وقادة).

إلى ... طلبة العلم المجتهدين في كل بقاع الأرض.

إليهم جميعاً أهدي جهدي المتواضع هذا؛ راجيًا الله سبحانه وتعالى الإطالة في أعمارهم، وأن يرحم شهداءنا الأبطال، وأن يحفظ الإسلام والمسلمين.

شكرٌ وتقدير

الحمد لله رب العالمين، الذي حث على طلب العلم، ورفع أجر العلماء، القائل في كتابه الكريم: ﴿ **يَرْفَعِ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾[1]، والصلاة والسلام على سيد البشر، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا، **وبعد.**

أشكر الله سبحانه وتعالى قبل كل شيء الذي أعانني ووفقني وهيأ لي كل أسباب الصحة والقدرة بأن مكنني من إنجاز هذه الدراسة، فلله الحمد من قبل ومن بعد.

كما أتوجه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لمن كان لي زادًا ونبراسًا وأضاء لي طريق العلم، والدي ووالدتي الكريمين حفظهم الله سبحانه وتعالى- على ما بذلوه من تضحيات ودعم ودعاء ومؤازرة من أجل تحقيق ما أصبو إليه، فلهم كل الحب والاحترام.

ولا يسعني هنا إلا أن أعبر عن شكري وتقديري وعرفاني إلى من شجعني، وأسدى إلي من توجيه وإرشاد، وعلى ما أولاه من صبر جميل وجهد مفيد ونصح سديد لإتمام هذه الدراسة، المشرف على أطروحتي، **الدكتور الفاضل: إبراهيم أحمد أبو شبيكة،** بارك وأطال الله سبحانه وتعالى في عمره، وجعله ذخرًا للعلم والمتعلمين، وأتقدم بالشكر والتقدير إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الكرام، الدكتور: غسان محمود وشاح- مناقشًا داخليًا، والدكتور: يوسف إبراهيم الزاملي- مناقشًا خارجيًا، لتكرمهما بمناقشة هذه الدراسة، وإبداء الملحوظات المفيدة.

ولا أنسى في هذا المقام أن أتقدم بالشكر والتقدير لمدرسي الجامعة الإسلامية- غزة، وعلى رأسهم مدرسو قسم التاريخ- على جهودهم في تدريسي طيلة فترة دراستي في الجامعة، فلهم كل الاحترام.

وأتقدم أيضًا بالشكر والتقدير إلى كل الذين قاسموني عناء هذا الإنجاز، سائلاً المولى سبحانه وتعالى أن ينفع بهذه الدراسة الإسلام والمسلمين، إنه نعم المولى ونعم النصير.

الباحث

محمد أحمد محمد زعرب

---

(1) المجادلة: 11.

فهرس المحتويات

فهرس الملاحق

قائمة المختصرات والرموز:

1	(د. م)	دون مكان النشر
2	(د. ن)	دون اسم الناشر
3	(د. ط)	دون رقم الطبعة
4	(د. ت)	دون تاريخ النشر
5	ط	الطبعة
6	ع	عدد
7	ص	الصفحة
8	مج	مجلد
9	هـ	هجري
10	م	ميلادي
11	ت	توفي

المقدمة

تناولت هذه الدراسة حقبة زمنية بارزة في التاريخ الإسلامي، ودولة تعد من أهم الدول الإسلامية التي قامت في بلاد المشرق الإسلامي، لما كان لها من دور ريادي في المجال الحضاري والعلمي والجهادي، والعصر الذهبي للمسلمين في بلاد الهند، والتي بلغت ذروة مجدها في عهد أعظم سلاطينها وسلاطين الإسلام هو السلطان محمود، الذي قاد هذه الدولة إلى الرقي الحضاري بأوسع أشكاله، وإلى النصر والتمكين والعظمة، فقد أصبحت في عهده أكبر قوة في بلاد المشرق الإسلامي، وأول دولة إسلامية تحكم معظم بلاد الهند.

وتأتي دراسة هذا الموضوع نتيجة لدوافع عديدة تتلخص في كون دراسة الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود كدولة إسلامية عظيمة إضافة إلى الفتوحات الإسلامية مناطق جديدة.

فكان لا بد لي من دراسة أسباب النصر والتمكين الإيمانية والسياسية والإدارية والحضارية والعسكرية للدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود لاستخلاص الدروس والعبر من خلال دراسة سيرته.

فمن المؤسف حقاً ألا يعرف كثير من المسلمين شيئًا عن هذه الدولة وسلطانها السني العظيم، وما كان عليه من حب للجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى، وتقربه إليه بحمل راية الدعوة الإسلامية، ونشر السنة النبوية، وقمع أهل البدع والضلالة، ومحاربة أصحاب المذاهب والعقائد الفاسدة، وإذعان ملوك بلاد المشرق الإسلامي لعظمته، والقضاء على ملوك بلاد الهند، وما كان يتحلى به من قيم إسلامية مثلى كان لها عظيم الأثر في ازدهار الدولة الغزنوية.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا جميعًا الإخلاص في العمل، وأن يتقبل مني هذا العمل دعوة إليه سبحانه وتعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، إنه نعم المولى ونعم النصير.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في:

1- الوقوف على العوامل والأسباب والمؤهلات التي ساعدت في جلب النصر والتمكين في شخصية السلطان محمود، دراسة علمية قائمة على التحليل والاستنتاج لكشف مضامينها وانعكاساتها على الدولة الغزنوية وبلاد المشرق الإسلامي.

2- قلة الدراسات العلمية والأكاديمية الجادة التي تطرقت للحديث عن أسباب النصر والتمكين في عهد السلطان محمود ودولته العظيمة، برغم أهميتها.

3- إثراء المكتبة العربية والإسلامية بمزيدٍ من الدراسات العلمية المفيدة والقيمة.

4- بيان دور الدولة الغزنوية والسلطان محمود في نشر الإسلام وهدم الأصنام.

5- إلقاء الضوء على تميز عصر السلطان محمود بازدهار الحياة العلمية والثقافية.

أهداف الدراسة:

أهم أهداف الدراسة:

1- الرغبة في البحث والاستقصاء والتعرف على تاريخ الدولة الغزنوية وسلطانها العظيم محمود، وتاريخ بلاد المشرق الإسلامي.
2- إبراز أهمية السلطان محمود التاريخية والدينية، وسياسته الداخلية والخارجية في تعزيز سياسة النصر والتمكين للدولة الغزنوية وتقويتها وتوسيع رقعتها.
3- الاعتزاز والإجلال والإنصاف لدور السلطان محمود في نشر الإسلام وهدم الأصنام وخاصة في بلاد الهند.
4- دراسة شخصية السلطان محمود، وكيفية معاملته ومحاربته للفرق الضالة والمذاهب والعقائد الفاسدة، وكذلك نشر الإسلام.
5- الوقوف على أهم مظاهر قوة وشدة بأس السلطان محمود ومعه جنود المسلمين وما أثاروا به من العجب، وكذلك استبساله في العمل على رفع كلمة الله سبحانه وتعالى عاليةً في ربوع بلاد المشرق الإسلامي.
6- التعرف على سنن الله سبحانه وتعالى الكونية في نصرة عباده الموحدين والمجاهدين وإذلال أهل البدع والضلالة والمذاهب الفاسدة والكفرة وعباد الأصنام.
7- التعرف على إنجازات الدولة الغزنوية السياسية والإدارية والحضارية والعسكرية في عهد السلطان محمود التي مكنته من تحقيق النصر والتمكين على أعدائه.

حدود الدراسة:

الحد الزماني: تناولت الدراسة الفترة الزمنية الواقعة ما بين عامي (388-421هـ/998-1030م).

الحد المكاني: تناولت الدراسة أراضي الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود في إقليم خراسان، وخوزستان، وسجستان، والجبال، وجرجان، وقهستان، وكرمان، ومكران، وبلاد ما وراء النهر، وبلاد الهند.

منهج الدراسة:

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على منهج البحث التاريخي.

راعى الباحث في إعداد هذه الدراسة ما يلي:

1- ضبط أسماء الأعلام والمدن، وخاصة الفارسية والتركية، من خلال الرجوع إلى المصادر والمراجع الموثوقة والقريبة من الحدث أو ما أجمعت عليه أمهات المصادر، على الرغم من الصعوبة الشديدة في ذلك، جراء تناقض المصادر فيما بينها واختلافها عند التعريف بها.

2- الالتزام بذكر تعريف موجز بكل علم ودولة ومدينة غير مشهورة، قد ورد ذكرها في متن الدراسة في أول مرة، وإذا توفرت معلومات أخرى غير الجغرافية أذكرها، أما ما يذكر في الهامش فلا يعرف.

3- كتابة التاريخ الهجري وما يقابله من التاريخ الميلادي، فيما يتعلق بالأحداث والشخصيات، محاولاً ضبط التاريخ الميلادي قدر الإمكان، مستعينًا ببعض الكتب التي عُنيت بذلك مثل كتاب: "**جدول السنين الهجرية وما يوافقها من السنين الميلادية**"، لمؤلفه: أنطون بشارة قيقانو، وكذلك كتاب: "**موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر (1417هـ/1996-1997م)**"، لمؤلفه: أحمد معمور العسيري.

4- عند توثيق المعلومة لا أرى بأسًا بذكر جميع المصادر التي تتحدث حول النقطة المعنية، مع مراعاة الترتيب الزمني لها، لا الأهمية العلمية للمصدر.

5- عند الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، يتم عرض موضع الشاهد فقط إذا كانت الآية أو الحديث طويلين، أما في حال كونهما قصيرين فيذكران تامين، والالتزام بالاستشهاد بالأحاديث الصحيحة أو الحسنة فقط، وعدم ذكر أي حديث لم تثبت نسبته إلى رسول الله محمد ﷺ، والالتزام بتخريج كل آية أو حديث، بذكر السورة ورقم الآية، وبذكر المصدر الراوي للحديث.

6- زودت الدراسة ببعض الملاحق، والتي اشتملت على صور توضيحية لآثار الدولة الغزنوية وبعض الأماكن، وخرائط تظهر مواقع الدول والمدن وأماكن خوض المعارك، وذلك ليتمكن القارئ من الاستفادة من هذه الدراسة بشكل أوضح.

7- وأخيرًا، أود أن أشير إلى أن كتب الجغرافيا والبلدان التي قد أخذت منها المعلومات الخاصة بترجمة المدن، أصبحت تحتاج في يومنا الحاضر إلى من يترجم لها.

الدراسات السابقة:

تهدف الدراسات السابقة إلى إبراز ما تم نشره حول موضوع دراستي من رسائل علمية وأبحاث محكمة، مع مراعاة تبيين ما توافقت وما تميزت وما اختلفت مع دراستي، وما تم

التوصل إليه من نتائج وتوصيات ومناقشتها، وأكمل من حيث انتهوا في دراساتهم وما قد توصلوا إليه، ومحاولة إضافة معلومات جديدة.

وبعد البحث في الدراسات السابقة لم أعثر على أي دراسة سابقة تناولت هذا الموضوع بشكل مباشر، وقد تطرق الكثير من الباحثين لدراسة الدولة الغزنوية، وسيرة السلطان محمود من الجوانب المختلفة فقط، دون الحديث عن الأسباب التي مكنت السلطان محمود من جلب النصر والتمكين لدولته، والتي شجعتني للمضي قدمًا لدراسة هذا الموضوع.

وقد كان من أهم الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع دراستي، ما يأتي:

1- **رسالة دكتوراه بعنوان:** جهود الدولة الغزنوية في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وإنجازاتها الحضارية في عهد السلطان محمود الغزنوى (389-421هـ/999-1030م)، للباحث: زكي محمد أحمد عثمان، كلية الآداب، جامعة الأزهر، القاهرة- مصر، تاريخ النشر (1433هـ-2012م)، حيث تناول الباحث في هذه الدراسة الحديث عن الجانب الإيماني في عهد السلطان محمود من خلال نشر الإسلام في بلاد المشرق الإسلامي، وكذلك الجانب الحضاري التي تميزت به الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود.
وقد اختلفت دراستي عن هذه الدراسة في أنها تطرقت للحديث عن دور الجوانب والأسباب والعوامل والمؤهلات الإيمانية والحضارية في جلب وتحقيق النصر والتمكين في عهد السلطان محمود، وأثرها على الدولة الغزنوية.

2- **رسالة دكتوراه بعنوان:** النظم الإدارية والعسكرية في الدولة الغزنوية منذ قيامها حتى نهاية عهد السلطان مسعود بن محمود الغزنوي (388-432هـ/988-1041م)، للباحث: فتح الله عبد الباقي إبراهيم الصفتي، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة- مصر، سنة النشر (1436هـ-2015م)، حيث تناول الباحث في هذه الدراسة الحديث عن تأسيس الدولة الغزنوية، والنظم الإدارية والعسكرية في الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود وعهد ابنه السلطان مسعود.
وقد اختلفت دراستي عن هذه الدراسة في أنها تطرقت للحديث عن دور الجوانب والأسباب والعوامل والمؤهلات الإدارية والعسكرية في جلب وتحقيق النصر والتمكين في عهد السلطان محمود، وأثرها على الدولة الغزنوية.

3- **رسالة ماجستير بعنوان:** السلطان محمود الغزنوي - سياسته ودوره في نشر الإسلام في شبه القارة الهندية (388-421هـ/998- 1030م)، للباحث: علي محمد فريد علي، كلية الآداب، جامعة عدن، عدن- اليمن، سنة النشر (1425هـ-2004م)، حيث تناول الباحث

في هذه الدراسة الحديث عن نشأت وأحوال الدولة الغزنوية، وعن السياسة الداخلية والخارجية للسلطان محمود، ودوره في نشر الإسلام في بلاد الهند.

وقد اختلفت دراستي عن هذه الدراسة في أنها تطرقت للحديث عن دور سياساته المختلفة ومنها اهتمامه بنشر الإسلام في بلاد الهند في جلب وتحقيق النصر والتمكين في عهد السلطان محمود، وأثرها على الدولة الغزنوية.

4- **رسالة ماجستير بعنوان:** السياسة الخارجية للدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود الغزنوي، للباحث: فتح الله عبد الباقي إبراهيم الصفتي، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية- مصر، تاريخ النشر (1428هـ-2007م)، حيث تناول الباحث في هذه الدراسة الحديث عن سياسة السلطان محمود الخارجية.

وقد اختلفت دراستي عن هذه الدراسة في أنها تطرقت للحديث عن دور سياسة السلطان محمود الخارجية في جلب وتحقيق النصر والتمكين في عهد السلطان محمود، وأثرها على الدولة الغزنوية.

تعقيب على الدراسات السابقة:

يلاحظ الباحث من خلال الإطلاع على الدراسات السابقة، أنها قد ركزت الحديث عن سياسة السلطان محمود الداخلية والخارجية والجوانب الحضارية في عهده، والتي تميزت في عرضها وسردها للقارئ بطريقة علمية، وقد توافقت هذه المواضيع التي تطرق إليها الباحثين في دارساتهم مع موضوع دراستي، والتي تحدثت فيها عن دور هذه السياسات والجوانب في جلب وتحقيق النصر والتمكين للدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود، وأثرها على قوة الدولة أو ضعفها، وهذا ما جعل دراستي تختلف وتتميز عن تلك الدراسات في سرد الأحداث والوقائع التي أوردوها.

تحليل لأهم مصادر الدراسة:

1- المصادر العربية:

أ- كتاب "**اليميني**"، لمؤلفه: المؤرخ والأديب أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبي (ت427هـ- 1036م)، وقيمة هذا المصدر تنبع من مكانة وسيرة مؤلفه، فقد كان العتبي مؤرخ الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود، والذي أتاح له تدوين كل صغيرة وكبيرة عن قرب، وهو كتاب التاريخ الوحيد الذي سجل سيرة السلطان محمود في عهده وتحت إشرافه.

وقد أورد العتبي في كتابه كيفية تأسيس الدولة الغزنوية وأبرز الأحداث والوقائع التي حدثت في عهد السلطان محمود، وقد صاغه بأسلوب أدبي، لذلك حاز على شهرة كبيرة بين الكتب الأدبية والتاريخية.

وقد استفاد الباحث في دراسته من جميع هذا الكتاب، لأن العتبي اقتصر حديثه في هذا الكتاب عن سيرة وغزوات وفتوحات وسياسات السلطان محمود فقط.

ب-كتاب "**الكامل في التاريخ**" لمؤلفه: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت630هـ-1234م)، وقد تناول المؤلف سيرة وحياة السلطان محمود وتفاصيل غزواته بغزارة ودقة وبكامل التفصيل، وبحق؛ فإنه لا غنى لباحث في التاريخ الإسلامي عن هذا المصدر.

وقد استفاد الباحث في دراسته من الجزء السابع والثامن والتاسع من هذا الكتاب.

ت-كتاب "**تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**" لمؤلفه: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت748هـ-1347م)، وهو من أهم المصادر العربية التي تحدثت عن تاريخ الدولة الغزنوية والسلطان محمود وغزواته وفتوحاته الكثيرة.

وقد استفاد الباحث في دراسته من الجزء السادس والعشرون والسابع والعشرون والثامن والعشرون والتاسع والعشرون والثلاثين والثالث والثلاثون من هذا الكتاب.

ث-كتاب "**ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**" لمؤلفه: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت808هـ- 1378م)، وهو مصدر متأخر نسبيًا لكنه من المصادر المهمة التي لا غنى عنها، وتتبع أهمية هذا الكتاب في دراستي؛ كون ابن خلدون قد سلك طريقًا غير طريق أسلافه المؤرخين، إذ أنه قد سرد كل ما يتعلق بالدولة الغزنوية والسلطان محمود بتسلسل واحد، ولم يتبع نظام الحوليات التي تشتت المعلومات في سنوات حدوثها، وبذلك يعطي ابن خلدون صورة واضحة جدًا عن نشأة الدولة الغزنوية وسلاطينها.

وقد استفاد الباحث في دراسته من الجزء الأول والثالث والرابع والخامس والسابع من هذا الكتاب.

2- المصادر المترجمة:

أ- كتاب "**زين الأخبار**" لمؤلفه: أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود جرديزي (ت 443هـ- 1051م)، وقد قام بترجمته إلى اللغة العربية: أ. د. عفاف السيد زيدان، وتتبع أهمية هذا الكتاب في أن الجرديزي قد عاش في مدينة غزنة، وعلى الرغم من أهمية هذا الكتاب الذي تحدث عن الدولة الغزنوية والسلطان محمود إلا أن المصادر التاريخية قد غفلت عن تأريخ حياة الجرديزى والحديث حتى عنه، وقد سمى الجرديزى كتابه بهذا الاسم تيمنًا بالسلطان عبد الرشيد بن السلطان محمود، الملقب بزين الملة.

وقد استفاد الباحث في دراسته من الباب السابع من هذا الكتاب.

ب-كتاب "**تاريخ البيهقى**" لمؤلفه: أبو الفضل البيهقى (ت 470هـ- 1077م)، وهو من أهم المصادر التي تحدثت عن الدولة الغزنوية وسيرة السلطان محمود، وقد ألفه باللغة الفارسية، وقام بترجمته إلى اللغة العربية: يحيى الخشاب وصادق نشأت، ويعتبر المؤرخ البيهقى من أشهر المؤرخين المسلمين، وتتبع أهمية هذا الكتاب من مكانة وأهمية منصب البيهقى الذي كان يشغل منصب نائب رئيس ديوان الرسائل في عهد السلطان محمود وابنه السلطان مسعود، وبالتالي يمكنه الاطلاع على كثير من المعلومات المهمة والتفاصيل الدقيقة، لذلك يعتبر كتابه من أوثق المصادر التاريخية التي تتحدث عن الدولة الغزنوية والسلطان محمود.

المشكلات والصعوبات التي واجهها الباحث:

إن الصعوبات التي واجهت الباحث أثناء إعداد هذه الدراسة كثيرة ومتنوعة، **منها:**

1- قلة- بل ندرة- الدراسات العلمية ذات الصلة الوثيقة بالدراسة في قطاع غزة؛ بسبب أن أغلب هذه الدراسات خارج القطاع، وبالتالي عدم تمكن الباحث من الحصول على أغلبها من أماكن تواجدها، أو السفر إلى الخارج للوقوف عليها والإفادة منها، بسبب إغلاق المعابر ومنع السفر.

2- صعوبة ترجمة المصادر والمراجع الفارسية والتركية التي تتعلق بموضوع الدراسة؛ بسبب عدم إجادتي لها، وهذا ما دفعني إلى البحث عن أشخاص ومؤسسات خاصة بالترجمة في قطاع غزة أو ممن يجيدون هذه اللغات لترجمة ما يفيدنا من هذه المصادر والمراجع، ولكن للأسف؛ لم أجد.

3- الانقطاع المتواصل للتيار الكهربائي في ظل الحصار الخانق.

وقد تغلب الباحث على هذه المشكلات والصعوبات ببذل المزيد من الجهد، وإيجاد البدائل اللازمة لتخطيها وإخراج الدراسة بأفضل شكل.

أقسام الدراسة:

لقد قسم الباحث الدارسة إلى مقدمة وفصل تمهيدي وثلاث فصول رئيسة وخاتمة، وقد جاء الفصل التمهيدي بعنوان: **تعريف عام بالدولة الغزنوية**، وانقسم إلى أولاً: **نبذة عن نشأة الدولة الغزنوية**، ثانيًا: **تعريف بالسلطان محمود.**

وحمل الفصل الأول عنوان: **الأسباب الإيمانية لنصر وتمكين الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود**، وانقسم إلى مبحثين، تناول المبحث الأول الحديث عن: **مؤهلات السلطان محمود الإيمانية للنصر والتمكين**، وتناول المبحث الثاني الحديث عن: **إحياء ونشر الدعوة الإسلامية.**

وجاء الفصل الثاني بعنوان: **الأسباب السياسية والإدارية والحضارية للنصر والتمكين للدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود**، وانقسم إلى مبحثين، تناول المبحث الأول الحديث عن: **الأسباب السياسية والإدارية للنصر والتمكين**، وتناول المبحث الثاني الحديث عن: **الأسباب الحضارية للنصر والتمكين.**

وحمل الفصل الثالث عنوان: **الأسباب العسكرية للنصر والتمكين للدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود**، وانقسم إلى مبحثين، تناول المبحث الأول الحديث عن: **التخطيط والإعداد لتحقيق النصر والتمكين**، وتناول المبحث الثاني الحديث عن: **معركة سومنات- دروس وعبر.**

وقد أنهى الباحث دراسته بالخاتمة التي تضمنت النتائج والتوصيات التي توصل إليها، ثم ثبت بقائمة المصادر والمراجع التي استخدمها في دراسته.

فصـل تمـهيـدي

تعريف عام بالدولـة الـغزنويـة

أولاً: نبذة عن نشأة الدولة الغزنوية[1]:

كانت الأوضاع السياسية للخلافة العباسية في بغداد قُبيل قيام الدولة الغزنوية في عام (351هـ-962م) تمر بمرحلة من الضعف والتشتت، ما شجع على قيام بعض الدول المستقلة في بلاد المشرق الإسلامي، والتي دانت اسميًا بالطاعة لها، وأخذت على عاتقها المحافظة على ممتلكاتها من الطامعين بها؛ بعد أن عجزت الخلافة العباسية عن مواجهة هذه الدول، وقامت بإعطائها بعض الصلاحيات والامتيازات، ومن هذه الدول، الدولة الصفارية[2]، والدولة البويهية[3]، والدولة السامانية[4]، والدولة الغزنوية، وغيرها.

([1]) انظر: شكل (1): حدود الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود، ص 142.

([2]) الدولة الصفارية: تعتبر الدولة الصفارية دولة شيعية تأسست في عام (254هـ-868م) على يد الأمير يعقوب بن الليث الصفار (وهو من أصل فارسي)، وكان يعمل صفارًا للأواني النحاسية في بداية حياته ثم عمل جنديًا في إقليم سجستان، فعلا شأنه، وأصبح قائدًا عظيمًا في جيش الدولة الطاهرية (207-255هـ/822-868م)، والذي تمكن من القضاء عليها بإقليم خراسان، وسيطر على ممتلكاتها، مستغلاً ضعف الخلافة العباسية، والتي انتهت في عام (298هـ-910م) على يد الدولة السامانية؛ نزهة الأنظار، محمود مقديش، ج1، ص299؛ كنز الدرر، الدواداري، ج5، ص259؛ موجز التاريخ الإسلامي، أحمد العسيري، ص221-222.

([3]) الدولة البويهية: يعود أصل هذه الدولة إلى بني بويه والذي يعود أصلهم إلى بلاد الديلم (جنوب بحر قزوين)، وهم شيعة، حاقدين على الإسلام عملوا على نشر التشيع في الخلافة العباسية، وأول من برز منهم الأمير بويه بن شجاع، والذي كان فقيرًا، يعمل في صيد الأسماك، ولكنه كان شجاعًا مقدامًا، وقد نشأ أبناؤه على ما كان عليه والدهم من الشجاعة، وتغلب كل واحد منهم على جزء من أملاك بلاد الديلم، وفي عام (320هـ-932م) وصل بنو بويه إلى قمة المجد والنفوذ عندما سيطروا على مساحة شاسعة من أملاك الخلافة العباسية، وكانوا يتحكمون في تعيين خلفائها؛ ولم يزل الأمر على ذلك مستمرًا إلى أن تم القضاء عليهم من قبل الدولة السلجوقية في عام (447هـ-1055م)؛ كنز الدرر، الدواداري، ج5، ص388-389؛ موجز التاريخ الإسلامي، أحمد العسيري، ص229-222.

([4]) الدولة السامانية: كان السامانيون من أتباع الدولة الطاهرية، الذين تقلدوا حكم بلاد ما وراء النهر، وأقاموا فيها دولة قوية مستغلين ضعف الخلافة العباسية، وقد عُرفت باسم الدولة السامانية، حيث تم تأسيسها في عام (261هـ-874م)، وكان أول حُكام دولتهم الأمير نصر بن أحمد بن أسد بن سامان، وكانت عاصمتهم مدينة بخارى، وكانوا يحكموا تلك المناطق باسم الخلافة العباسية، وكانت الدولة السامانية من أحسن دول بلاد المشرق الإسلامي سيرةً وعدلاً، ويعود أصل السامانيين إلى جدهم أسد بن سامان خذاه بن جثمان بن طغان بن نوشردين بن بهرام نجرين بن بهرام حشيش الذي كان يعمل في خدمة الدولة الفارسية؛ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء ج2، ص135؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص332؛ نزهة الأنظار، محمود مقديش، ج1، ص300.

ومن يطلع على تاريخ بلاد المشرق الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري العاشر والحادي عشر الميلاديين، يجد أن التاريخ الإسلامي قد حفل بأسماء دول إسلامية برعت في خدمة الإسلام والمسلمين، كان أهمها بزوغ نجم الدولة الغزنوية، التي تتجلى جهودها في نشر الإسلام وهدم الأصنام، والدفاع عن أملاك الخلافة العباسية في بلاد المشرق الإسلامي.

ويعود نشأة الدولة الغزنوية إلى نشاط بعض القادة الأتراك[1] في خدمة الدولة السامانية والتي استعانت بهم في إدارة شؤون دولتهم بشكل كبير، وولوهم المناصب السياسية والعسكرية الرفيعة، فزاد نفوذهم وعلا شأنهم في قيادة الدولة والجيش الساماني[2].

ومن أبرز هؤلاء القادة الذين ارتفع شأنهم في الدولة السامانية الأمير ألبتكين[3]، الذي كانت له منزلة عظيمة عندهم، فقد عينوه حاكماً على مدينة هراة[4] ومدينة غزنة[5]، وترقى في

([1]) الأتراك: تعددت القبائل التركية فنجد الترك الغز والترك القارلوق، والترك التغزغز، وغيرهم، وقد انتشر الإسلام بين الأتراك منذ بداية ظهوره وقد ساهموا في نشره بشكل كبير في بلاد المشرق الإسلامي، وقد عظم أمرهم وقوة نفوذهم بشكل كبير في عصر الخلافة العباسية، وقد استطاع الأتراك تأسيس العديد من الدول الإسلامية أهمها: الدولة الغزنوية (366-581هـ/976-1185م)، والدولة السلجوقيَة (432-583هـ/1040-1187م)، ودولة المماليك البحرية (648-792 هـ/1250-1389م)، والدولة العثمانية (699-1342هـ/1299-1923م)؛ تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك، ص 47-61، 83، 116؛ تاريخ الترك في آسيا الوسطى، و. بارتولد، ص74، 117-118؛ الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، عصام الفقى، ص95-98.

([2]) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، محمد بك، ص456؛ موجز التاريخ الإسلامي، أحمد العسيري، ص233.

([3]) ألبتكين: لقد أوردها الذهبي بابن السكين؛ تاريخ الإسلام، ج29، ص69؛ سير أعلام النبلاء، ج17، ص484؛ وأوردها ابن الوردي بابن ألتكين؛ تاريخ ابن الوردي، ج1، ص290؛ وقد توفي الأمير ألبتكين في عام (352هـ-963م)؛ اليميني، العتبي، ص20.

([4]) مدينة هراة: مدينة عظيمة مشهورة من مدن إقليم خراسان، وتشتهر بالعلماء وأهل الفضل والثراء، وقيل أنها قد بنيت بطلب من الإسكندر؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج5، ص396.

([5]) مدينة غزنة: هكذا يتلفظ بها العامة، والصحيح عند العلماء هو (غزنين) ويعربونها فيقولون جزنة، ويقال لمجموع بلادها زابلستان، وقد نسب إلى هذه المدينة من لا يعد ولا يحصى من العلماء، وهي مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف إقليم خراسان والتي تفصل بينها وبين بلاد الهند؛ ويطلق عليها حاليًا اسم غزنى وهى إحدى المدن الكبيرة بأفغانستان؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج4، ص201؛ محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، محمد بك، ص455؛ انظر: شكل (2): مدينة غزنة إحدى مدن دولة أفغانستان حاليًا، ص 143.

مناصب قيادة الجيش الساماني حتى تولى منصب حاجب الحجاب[1] للأمير الساماني عبد الملك بن نوح (343-351هـ/ 954-962م)، ولكن تمرد الأمير ألبتكين على الدولة السامانية وأقام له إمارة مستقلة في إقليم زابلستان[2] في عام (351هـ-962م) وجعل عاصمته مدينة غزنة[3]، وأرسى فيها قواعد حكمه إلا أنه لم ينعم طويلاً بانتصاره حيث توفي في عام (352هـ-963م) وخلفه في حكم مدينة غزنة، ابنه الأمير أبي إسحاق إبراهيم، والذي حكمها باسم الدولة السامانية[4].

وبعد وفاة الأمير أبي إسحاق إبراهيم في عام (355هـ-966م)، اجتمع أهل مدينة غزنة ليختاروا أحد القادة ليتولى أمرهم ويجمع كلمتهم، فاتفقوا على تولية الأمير سبكتكين[5]،

([1]) الحاجب: هي وظيفة قديمة وردت في كثير من الكتابات الأثرية من عصور مختلفة، وتختلف اختصاص الحاجب حسب اختلاف العصور والدول، وقد عرفت الحجابة قبل الإسلام في مكة المكرمة وكانت تعني حراسة الكعبة وحفظ مفاتيحها، وفي الإسلام أيام الخلفاء الراشدين أصبحت وظيفة الحاجب التوسط بين الحاكم وبين الرعية، أو بين الأمراء والجند، وسمي الحاجب بذلك لأنه يحجب الحاكم عمن يدخل إليه بغير إذن، وحاجب الحجاب تعني كبير الحجاب؛ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القلقشندي، ج5، ص422؛ الفنون الإسلامية، حسن الباشا، ج1، ص380-386.

([2]) منطقة زابلستان: منطقة واسعة، تقع جنوب مدينة بلخ وطخارستان وفي الأصل تسمى زابل، نسبة إلى زابل جد رستم بن دستان؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج3، ص125.

([3]) تاريخ بخارى، النرشخي، ص140؛ زين الأخبار، جرديزي، ص225؛ تاريخ الدول المستقلة في المشرق عن الخلافة العباسية، عطية القوصى، ج1، ص77-78.

([4]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص353؛ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء ج2، ص117؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص69؛ تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، ج1، ص290؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج11، ص324.

([5]) الأمير سبكتكين: يرجع أصل الأمير سبكتكين إلى مماليك الأمير البويهي عز الدولة بختيار بن بويه، وكان قبل ذلك يعمل كحاجب لأبيه الأمير معز الدولة أحمد بن بويه، وكان أحد موالي الأمير أبي إسحاق بن ألبتكين، وقد كان الأمير سبكتكين أمير الغزاة الذين يغيرون من بلاد ما وراء النهر على أطراف بلاد الهند، حيث تمكن من افتتاح العديد من قلاعها وحصونها، وقد خلع عليه الخليفة العباسي الطائع لله الخلع السلطانية، ولقبه نصر الدولة، وكان الأمير سبكتكين قد جلب من تركستان إلى بخارى مع الأمير ألبتكين، وقد ذكر الأصفهاني أن كلمة سبكتكين في الأصل: "شبكتكين"، وكذلك وصف مسكويه وابن الأثير سبكتكين بالعجمي، والأمير سبكتكين هذا هو غير الأمير سبكتكين بن عبد الله أبو منصور التركي أمير دمشق من قبل الخليفة العباسي المستنصر والذي يعرف بتمام الدولة، الذي تولى حكم مدينة دمشق في (ذي الحجة 452هـ-يناير 1061م)؛ تجارب الأمم وتعاقب الهمم، مسكويه، ج6، ص247، 287؛ اليميني، العتبي، ص19-20؛

وارتضوا به حاكمًا لهم[1].

وقد حكم الأمير سبكتكين مدينة غزنة والمناطق المجاورة لها باسم الدولة السامانية في الفترة الواقعة بين عامي (366- 387هـ/976- 997م)، وترقى في المناصب وارتفعت به الأطوار حتى نال رضا الدولة السامانية وعينوه رسميًا حاكمًا على إقليم خراسان[2]، تقديرًا لجهوده في خدمة دولتهم ولما عرف عنه من الصلاح وحسن السيرة وكمال العقل ورجاحة رأيه وشجاعته ومروءته، فارتفع قدره، وعظم شأنه، وحسن بين الناس ذكره[3]، ولكن فيما بعد؛ أعلن الأمير سبكتكين استقلاله بحكم إقليم خراسان والمناطق المجاورة لها عن الدولة السامانية، لكنه كان يعترف لها بالسيادة ويشن الحروب ويفتح البلاد باسمها[4].

تاريخ البيهقى، البيهقى، ص216-117؛ البستان الجامع، ص281؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص305؛ مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، ج19، ص64، 142؛ وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج5، ص175؛ مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور الأنصاري، ج9، ص207؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج30، ص276؛ العبر في خبر من غبر، الذهبي، ج2، ص245؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج11، ص324؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص108.

([1]) اليميني، العتبي، ص20-21؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص353؛ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء، ج2، ص117؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص69؛ تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، ج1، ص290؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج11، ص324؛ محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، محمد بك، ص455.

([2]) إقليم خراسان: ورد في المصادر التاريخية والجغرافية روايات عديدة ومختلفة حول أصل تسمية إقليم خراسان بهذا الاسم، فمنهم من قال تسمية إقليم خراسان يعود إلى خراسان بن عالم بن سام بن نوح الذي خرج من بابل ونزل في هذه البلاد فسميت باسمه، ويرجع ياقوت الحموي أصل كلمة خراسان إلى الفارسية فيقول: "خُر أسم للشمس وأسان أصل الشيء ومكانه وبهذا يكون معناها مطلع الشمس"، وقد اختلفت المصادر أيضاً في التحديد الجغرافي لإقليم خراسان، ويحد إقليم خراسان من جهة الشرق إقليم سجستان ومدينة غزنة وبلاد الهند، ومن جهة الغرب مدينة جرجان، ومن جهة الشمال بلاد ما وراء النهر، ومن جهة الجنوب بلاد فارس وقومس، وقد فتح المسلمون هذا الإقليم في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه في عام (31هـ-652م)؛ المسالك والممالك، الإصطخري، ص253-254؛ البلدان، ابن الفقيه، ص603؛ صورة الأرض، ابن حوقل، ج2، ص426-427؛ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج8، ص52، معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج2، ص350؛ آثار البلاد وأخبار العباد، القزويني، ج1، ص361.

([3]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص354؛ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء ج2، ص177؛ ويذكر ابن الوردي أنه تولى الحكم في عام (365هـ-975م) في تاريخ ابن الوردي، ج1، ص290.

([4]) تاريخ الدول المستقلة في المشرق عن الخلافة العباسية، عطية القوصى، ج1، ص78.

وكانت الدولة الغزنوية منذ نشأتها على علاقة جيدة بالخلافة العباسية، فعند تأسيسها خلع الخليفة العباسي الطائع لله[1] (363هـ-381هـ/974-992م) على الأمير سبكتكين الخلع السلطانية واعترفت بحكمه، وأصبح قائد جيشه والمدبر لأمره، وعقد له لواء الإمارة، ولقبه نصر الدولة[2].

ويبدو أن عظيم شأن الأمير سبكتكين ورجاحة عقله وحسن سياسته ساعدته على كسب الصفة الشرعية لحكمه من خلال اعتراف الخلافة العباسية به، ومن خلال البحث في المصادر التاريخية لم أجد نسبًا للأمير سبكتكين، وهذا يرجع حسب اعتقادي إلى كون الأمير سبكتكين من المماليك والذي لا يعرف نسب أغلبهم لارتباط اسمائهم بمالكيهم، أو المنطقة القادم منها.

ومن خلال مما سبق يتبين للباحث أن الأمير ألبتكين لم يكن معترف به وبحكمه على تلك المناطق بسبب تمرده وانفصاله عن الدولة السامانية، أما الأمير سبكتكين فقد تم الاعتراف به من قبل الخلافة العباسية والدولة السامانية حاكمًا لتلك المناطق، من خلال إرسال الخلع إليه.

ويمكن القول أن أسرة الأمير ألبتكين لم تصبح أسرة حاكمة ومعترف بها من قبل الخلافة العباسية والدولة السامانية إلا في عهد الأمير سبكتكين، لأن من حكم الدولة الغزنوية من بعده كانوا من ذرية الأمير سبكتكين، وكذلك عمل الأمير سبكتكين على تثبيت حكمه وأعلن استقلال دولته عن الدولة السامانية، واستطاع مد نفوذه بشكل قوي على كثير من أقاليم بلاد المشرق الإسلامي، لذلك يُعتبر الأمير ألبتكين المؤسس الأول للدولة الغزنوية، والأمير سبكتكين يعتبر المؤسس الحقيقي لها.

([1]) الخليفة الطائع لله: هو أبو الفضل عبد الكريم الطائع لله بن المطيع بن المقتدر بن المعتضد، ولد في عام (317هـ-929م) وتولى حكم الخلافة العباسية بعد خلع أبيه المطيع من حكم الخلافة العباسية في عام (363هـ-974م)؛ تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ج11، ص432؛ محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، محمد بك، ص441.

([2]) الإنباء في تاريخ الخلفاء، ابن العمراني، ص179؛ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج14، ص225؛ محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، محمد بك، ص442.

ونجد أن المؤرخين قد أطلقوا على هذه الدولة العديد من الأسماء، **ومنها:** الدولة الغزنوية؛ نسبة إلى مدينة غزنة عاصمة دولتهم[1]، ودولة آل سبكتكين؛ نسبة إلى المؤسس الحقيقي لدولتهم وهو الأمير سبكتكين[2]، ولكن غلب على تسمية هذه الدولة في المصادر التاريخية بالدولة الغزنوية[3]، ونجد أن الدولة الغزنوية قد اشتهرت –على خلاف القاعدة– باسم المنطقة التي حكمتها وفرضت عليها سلطانها، لا باسم مؤسسها، كالدولة الصفارية نسبة إلى مؤسسها الأمير يعقوب بن الليث الصفار، والدولة البويهية نسبة إلى مؤسسيها بني بويه، والدولة العثمانية نسبة إلى عثمان بن أرطغرل، وغيرها من الدول.

وقد اشتملت الدولة الغزنوية على مجموعة من الأقاليم الجغرافية والتي تمكنت من بسط نفوذها عليها، ومنها: إقليم خراسان وهو أكبر أقاليمها، والذي كان يشمل أيام الدولة الغزنوية أربع مدن كبرى وهي: نيسابور[4]، مرو[5]، هراة، بلخ[6]، ومفازة خراسان الكبرى[7]، وإقليم

([1]) نزهة الأنظار، محمود مقديش، ج1، ص300؛ تاريخ الدول المستقلة في المشرق عن الخلافة العباسية، عطية القوصى، ص78.

([2]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص373؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج3، ص440.

([3]) اليميني، العتبي، ص7؛ زين الاخبار، الجرديزي، ص539؛ دولة السلاجقة، علي الصلابي، ج1، ص33.

([4]) مدينة نيسابور: العامة يسمونها نشاوور، وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، واختلف في تسميتها بهذا الاسم فقال بعضهم: إنما سميت بذلك لأن سابور مر بها وفيها قصب كثير فقال: يصلح أن يكون هنا مدينة، فقيل لها نيسابور، ومن أسماء نيسابور أبرشهر، وقيل أنها فتحت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه في عام (31هـ–652م)؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج5، ص331.

([5]) مدينة مرو: تعتبر مرو من أشهر مدن إقليم خراسان وأقدمها وأكثرها خيرًا، وأحسنها منظرًا، وأنهارها تجري بالبركة، بناها ذو القرنين، وقد خرجت مدينة مرو من الأعيان وعلماء الدين ما لم تُخرج مدينة مثلهم، وفتحها المسلمون في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه في عام (31هـ–652م)؛ البلدان، اليعقوبي، ص98؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج5، ص112؛ آثار البلاد وأخبار العباد، القزويني، ص456.

([6]) مدينة بلخ: هي إحدى مدن إقليم خراسان العظمى، بناها منوجهر بن ايرج بن افريدون، وقيل إن أول من بناها لهراسف الملك لما خرب صاحبه بخت نصر بيت المقدس، وقيل: بل الإسكندر بناها، وكانت تسمى الإسكندرية قديمًا، ويحد مدينة بلخ من جهة الشرق فرغانة، ومن جهة الغرب بلاد الري، وإقليم سجستان، وقد فتحها المسلمون في عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان؛ البلدان، اليعقوبي، ص116؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج1، ص479؛ آثار البلاد وأخبار العباد، القزويني، ص331.

([7]) المفازة الكبرى: هي الصحراء وسبب تسميتها بهذا الاسم لأن من خرج منها وقطعها فاز، وقيل المفازة التي لا ماء فيها، أما مفازة خراسان التي يحدها من جهة الشرق إقليم مكران وبعض حدود إقليم سجستان، ومن جهة

خوزستان[1]، وإقليم طبرستان[2]، وإقليم الجبال[3]، وإقليم جرجان[4]، وإقليم قهستان[5]، وإقليم كرمان[6]، وإقليم سجستان[7]، وإقليم مكران[1][2].

الغرب بلاد الري وقم، ومن جهة الشمال إقليم خراسان وبعض حدود إقليم سجستان، ومن جهة الجنوب إقليم كرمان، وفارس وبعض حدود مدينة أصبهان، وهذه المفازة من أقل مفاوز بلاد الإسلام سكانًا؛ صورة الأرض، ابن حوقل، ج2، ص399-401.

([1]) إقليم خوزستان: يحد إقليم خوزستان من جهة الشرق إقليم فارس ومدينة أصبهان، ومن جهة الغرب مدينة واسط، ومن جهة الشمال إقليم الجبال، ومن جهة الجنوب عبادان؛ صورة الأرض، ابن حوقل، ج2، ص249؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج2، ص405.

([2]) إقليم طبرستان: يعود أصل أهل إقليم طبرستان إلى ولد كماشج بن يافث بن نوح، وهي بلد كثير المياه والثمار والأشجار الجبلية والسهلية، وتعتبر مدينة آمل أكبر مدن إقليم طبرستان؛ المسالك والممالك، الاصطخري، ص124؛ البلدان، ابن الفقيه، ص564؛ المسالك والممالك، المهلبي، ص150.

([3]) إقليم الجبال: يحد إقليم الجبال من جهة الشرق إقليم خراسان وفارس ومدينة أصبهان، ومن جهة الغرب إقليم أذربيجان، ومن الجهة الشمالية بلاد الديلم وقزوين والريّ، ومن الجهة الجنوبية بلاد العراق وإقليم خوزستان، وبها مدن مشهورة كمدينة همذان، والدينور، وقم، وغيرها، وهي من أطيب البلاد هواء وماء وتربة، وأهلها أصح الناس مزاجاً وأحسنهم صورة؛ صورة الأرض، ابن حوقل، ج2، ص357-358؛ أحسن التقاسيم، المقدسي، ص384-385؛ آثار البلاد وأخبار العباد، القزويني، ص341.

([4]) إقليم جرجان: إقليم مشهور وعظيم يقع بين إقليم طبرستان وخراسان، وينسب له كثير من الأدباء والعلماء والفصحاء والمحدثين؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج2، ص119؛ آثار البلاد وأخبار العباد، القزويني، ص348.

([5]) مدينة قهستان: ويطلق عليها كذلك غرشستان وطبسان، وهي مدينة واسعة كثيرة القرى، يحدها من جهة الشرق بلاد الغور، ومن جهة الغرب مدينة هراة، ومن جهة الشمال مدينة مرو، وفي جهة الجنوب مدينة غزنة، والغالب على أرضها الجبال، وأهلها صلحاء مجبولون على الخير، وكانت العرب تسميها باب خراسان لأنهم أول مدينة فتحوها في إقليم خراسان في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه في عام(29هـ-650م)؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج4، ص20؛ آثار البلاد وأخبار العباد، القزويني، ص425.

([6]) إقليم كرمان: إقليم مشهور ذو بلاد وقرى ومدن واسعة، يحدها من جهة الشرق إقليم مكران، ومن جهة الغرب إقليم فارس، ومن جهة الشمال إقليم خراسان وسجستان، ومن جهة الجنوب بحر فارس؛ وقد سميت كرمان بهذا الاسم نسبة إلى كرمان بن فلوج بن لنطي بن يافث بن نوح، وقيل سميت بكرمان بن فارك بن سام بن نوح، لأنه سكن فيها؛ صورة الأرض، ابن حوقل، ج2، ص305؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج4، ص454.

([7]) إقليم سجستان: أرضها سهلة لا يرى فيها جبال، ويحد إقليم سجستان من جهة الشرق إقليم كرمان والسند، ومن جهة الغرب إقليم خراسان، ويحدها من جهة الجنوب بلاد الهند، ومن مدن إقليم سجستان زرنج، وكش، ودرغش، وغزنة؛ المسالك والممالك، الاصطخري، ص82-83؛ صورة الأرض، ابن حوقل، ج2، ص411.

وهذه المناطق تشمل الآن العديد من الدول ومنها: أفغانستان، وكازاخستان، وأوزبكستان، والهند، وباكستان، وإيران، وطاجيكستان، وتركمانستان، وقيرغيزستان.

وكان حُكام الدولة الغزنوية من خيار حُكام بلاد المشرق الإسلامي، وأكثرهم جهادًا في سبيل الله سبحانه وتعالى، فقد نصروا الإسلام وأبادوا الكفار وهدموا الأصنام(3)، ويعتبر السلطان محمود أعظم حكام هذه الدولة، فقد أصبحت في عهده أكبر قوة في بلاد المشرق الإسلامي(4).

وقد لحق بالدولة الغزنوية ظهور بوادر الضعف عليها بعد وفاة السلطان محمود، بسبب التنافس السياسي بين الدولة الغزنوية والسلاجقة، والذي أدى إلى إنهاء سيطرة الدولة الغزنوية على إقليم خراسان في عهد السلطان مسعود بن محمود، بعد معركة حاسمة عرفت باسم (دندانقان) في عام (431هـ-1040م) والتي انتهت بهزيمة الدولة الغزنوية، وأصبح السلاجقة على إثر هذه المعركة أكبر قوة في إقليم خراسان، في حين كان الغزنويون قد ضعفوا بعد أن فقدوا غالبية جيوشهم وخسروا العديد من ممتلكاتهم(5).

وكانت وفاة السلطان محمود قد أتاحت الفرصة للسلاجقة للظهور بقوة والتحرك لبسط نفوذهم على إقليم خراسان، وانتزاع الحكم من أيدي الدولة الغزنوية، بعد أن بدأت بالضعف والتقهقر بعد وفاة السلطان محمود، بسبب كثرة الفتن في ربوعها من جهة، وكثرة النزاع على العرش الغزنوي بين أبناء السلطان محمود وأحفاده من جهة أخرى، كما سيتضح معنا في نهاية هذا الفصل.

---

(1) إقليم مكران: مكران اسم لسيف البحر، وقيل سميت مكران بهذا الاسم نسبة إلى مكران بن فارك بن سام ابن نوح، أخو كرمان الذي سميت كرمان باسمه، وهو إقليم واسع يشتمل على مدن وقرى، ويحده من جهة الغرب كرمان، ومن جهة الشرق بلاد الهند، ومن جهة الشمال إقليم سجستان، ومن جهة الجنوب البحر، وأكبر مدن إقليم مكران القيربون، وقد فتحها المسلمون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج5، ص179-180.

(2) النظم الإدارية والعسكرية في الدولة الغزنوية، فتح الله الصفتي، ص37-41؛ السجون والعقوبات في الدولة الغزنوية، ياسر طه، ص402-404.

(3) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص286.

(4) موجز التاريخ الإسلامي، أحمد العسيري، ص234؛ أخبار سلاجقة الروم، مجهول، ص114.

(5) تاريخ البيهقى، البيهقى، ص687-689.

وقد انحصر حكم الدولة الغزنوية تدريجيًا حتى سقطت نهائيًا على يد السلاجقة والغوريين[1]، بعد أن دام مدة طويلة من الزمن، فقد تم تأسيس دولتهم في عام (351هـ-962م) وانتهت في عام (582هـ-1186م)، فتكون مدة حكمهم قد بلغت 225 عامًا تقريبًا.

ثانيًا: تعريف بالسلطان محمود:

1-نشأة السلطان محمود وصفاته:

أ- اسمه ونسبه:

السلطان محمود العزنوي هو محمود بن ناصر الدين والدولة الأمير سبكتكين[2]، ولد يوم عاشوراء في عام (360هـ-971م)[3]، وكان يكنى أبا القاسم[4]، وتزوج بابنة الأمير غرة الدولة البويهية أبي الحارث محمد[5]، وله ثلاث أبناء، **وهم:** الأمير مسعود (ت432هـ-1040م) والأمير محمد (ت433هـ-1041م)[6]، والأمير عبد الرشيد (ت444هـ-1052م)[7]، وله ثلاثة إخوة، وهم: الأمير إسماعيل، والأمير أبي المظفر نصر قائد جيوش إقليم خراسان للسلطان محمود[8]، والأمير يوسف بن سبكتكين[9].

ب-صفاته:

كان السلطان محمود يتصف بالعديد من الصفات الحسنة والخصال الحميدة، والتي يستدل بها على حسن سيرته وصفاته، فقد كان ربعة مليح اللون، حسن الوجه، صغير العينين،

---

(1) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج9، ص193.

(2) زين الأخبار، جرديزي، ص251؛ العبر في خبر من غبر، الذهبي، ج2، ص245؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص69.

(3) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص731؛ تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، ج1، ص328؛ ويذكر ابن خلكان أنه ولد في عام (361هـ-972م)؛ وفيات الأعيان، ج5، ص181.

(4) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج15، ص211.

(5) اليميني، العتبي، ص302-303؛ وأوردها ابن خلدون بأبي الحرث أحمد بن محمد؛ ديوان المبتدأ والخبر، ج4، ص485.

(6) موجز التاريخ الإسلامي، أحمد العسيري، ص234.

(7) زين الأخبار، جرديزي، ص45؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج8، ص101؛ تاريخ مختصر الدول، ابن العبري، ج1، ص184؛ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء، ج2، ص170.

(8) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص503؛ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء ج2، ص129؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج27، ص231؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص481.

(9) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص732.

أحمر الشعر[1]، وقد اشتهر بين الناس بأنه كان عاقلاً، دينًا، خيرًا، ويكرم رعيته ويجالسهم ويحسن إليهم[2]، فقد سار فيهم سيرة عادلة[3]، وقد كان أيضًا مهتمًا بفعل الخير[4]، وكان من أتباع السنة النبوية[5]، وكان في غاية الديانة والصيانة[6]، وحسن الاعتقاد، ذا مروءة تامة، وحسن عهد ووفاء[7]، ويكره المعاصي والمنكرات، ولا يحب منها شيئًا، ولا أن يسمع بها، ولا يسمح لأحد أن يظهر معصية في دولته، ويحب أهل الخير والدين والصلاح، ويحسن إليهم[8].

واشتهر كذلك برعايته للعلوم والآداب، حتى قصده العلماء والفقهاء والأدباء من مختلف الأقاليم الإسلامية[9]، وقد كان عالمًا في الفقه[10]، وكان ذكيًا، وموفق الرأي[11]، ومتعبدًا فقيهًا على مذهب أبى حنيفة في بداية حياته ثم أصبح على مذهب الشافعي[12]، قال رسول الله ﷺ: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ"[13].

وكان كثير الاهتمام بالغزوات والفتوحات في سبيل الله[14]، وكان صادق النية في إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى[15]، وفتوحاته في بلاد الهند مشهورة، لم يتفق لغيره من الملوك، لا قبله

([1]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص734؛ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الطالبي، ج1، ص73.

([2]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص731، 734.

([3]) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص37.

([4]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص73–74.

([5]) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج15، ص212.

([6]) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص38.

([7]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص489.

([8]) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص38.

([9]) النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص273.

([10]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص734.

([11]) العبر في خبر من غبر، الذهبي، ج2، ص245؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص73.

([12]) النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص273.

([13]) صحيح البخاري، البخاري، العلم/ من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، 1/ 25: رقم الحديث71.

([14]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص734.

([15]) العبر في خبر من غبر، الذهبي، ج2، ص245؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص73.

ولا بعده، وغنم منهم مغانم كثيرة، من الذهب والحلي، والسبي، وهدم من أصنامهم شيئًا كثيرًا[1]، وكان شديد الغلظة، ثقيل الوطأة على الأعداء[2]، وله هيبة في نفوس رعيته[3].

ت- توليه للحكم:

بعد أن توفي الأمير سبكتكين في (شعبان 387هـ- أغسطس 997م)[4]، بمدينة بلخ[5] ونقل ميتًا إلى مدينة غزنة ليدفن فيها[6]، بعد أن حكم الدولة العزنوية أكثر من عشرين عامًا[7]، وترك عند وفاته الكثير من الأموال[8]، تولى حكم الدولة الغزنوية بعده ابنه الأمير إسماعيل، وكان أصغر من أخيه الأمير محمود[9].

وكان الأمير محمود عند وفاة أبيه بمدينة بلخ، فأرسل إلى أخيه الأمير إسماعيل يخبره بأحقيته بالحكم لأنه أكبر منه سنًا، فلم يستجب الأمير إسماعيل لطلبه، فسار الأمير محمود

([1]) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص37.

([2]) مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، ج18، ص365.

([3]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص73.

([4]) يذكر الصفدي وابن كثير أنه توفي في (المحرم- فبراير)؛ الوافي بالوفيات، ج5، ص32؛ البداية والنهاية، ج11، ص320 ؛ ويذكر الصفدي أنه توفي في عام (364هـ-975م)؛ الوافي بالوفيات، ج15، ص73.

([5]) يذكر ابن الأثير وابن خلدون أنه توفي في الطريق فنقل ميتًا إلى غزنة ودفن فيها؛ الكامل في التاريخ، ج7، ص488؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص363.

([6]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص489؛ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء ج2، ص133؛ تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، ج1، ص304؛ محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، محمد بك، ص456؛ ورثاه كاتبه أبو الفتح الببستي بقوله:

"قلت إذ مات ناصر الدين والدو ... لة حياة ربه بالكرامة

وتداعيت جموعه بافتراق ... هكذا هكذا تكون القيامة!"؛ وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج5، ص176.

([7]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص489؛ تاريخ مختصر الدول، ابن العبري، ج1، ص178؛ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء ج2، ص133؛ تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، ج1، ص304.

([8]) ترك الأمير سبكتكين عند وفاته "ألف ألف دينار وعشرة آلاف ألف دِرْهَم، وصندوقين فيهما جواهر، وستين صندوقا قماش، وفضيات وتحف، ومائة وثلاثين سرجا مذهبة، منها خمسون في كل واحد ألف دينار حلية، وستمائة سَرْج فضّة، وأربعة عشر ألف ثوب من أنواع القماش، وثلاثمائة عدل فيها فَرْش وبُسُط، وثلاثة آلاف رأس من الدواب، وألف جمل، وثلاثمائة مملوك دارية، وأربعة وأربعين خادمًا"؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج26، ص324؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج11، ص320؛ الوافي بالوفيات، الصفدي، ج15، ص73.

([9]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص489؛ تاريخ مختصر الدول، ابن العبري، ج1، ص178؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص70.

إلى مدينة غزنة، في جيش عظيم لمحاربته، وقد انحاز أمراء مدينة غزنة الموجودين في جيش الأمير إسماعيل للأمير محمود واستدعوه ووعدوه بالطاعة لضعف شخصية أخيه الأمير إسماعيل، واقتتل الطرفان قتالاً شديدًا بالقرب من مدينة غزنة، وهزم الأمير محمود أخاه الأمير إسماعيل، واستسلم له وطلب الأمان من الأمير محمود فأجابه إلى طلبه وأكرمه وأحسن إليه واستقر حكم الدولة الغزنوية له بعد سبعة أشهر من وفاة أبيه[1].

وقد أعلن السلطان محمود استقلال الدولة الغزنوية عن الدولة السامانية بالكامل بعد أن تمكن من القضاء عليها في عام (389هـ-999م)، وكان قد بلغ مرحلة النضج واستيعاب الأحداث، وأصبحت دولته بذلك أكبر قوة في بلاد المشرق الإسلامي، فكتب له الخليفة العباسي القادر بالله[2] (381-422هـ/991-1031م) العهد على إقليم خراسان والجبال والسند والهند وطبرستان، وأرسل له الخلع، وتسمى الأمير محمود بالسلطان وجلس على العرش ولبس التاج[3]، وقد مدحه البديع الهمذاني بقوله:

"تعالى اللَّه ما شاء ... وزاد اللَّه إيماني

أأفريدون في التاج ... أم الإسكندر الثاني

أم الرجعة قد عادت ... إلينا بسليمان

أظلت شمس محمود ... على أنجم سامان

وأسى آل بهرام ... عبيدًا لابن خاقان

إذا ما ركب الفيل ... لحرب أو لميدان

رأت عيناك سلطانًا ... على منكب شيطان

([1]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص488-489؛ تاريخ مختصر الدول، ابن العبري، ج1، ص178؛ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء ج2، ص133؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص70؛ تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، ج1، ص304؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص363.

([2]) الخليفة القادر بالله: هو أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر المقتدر، ولد في عام (336هـ-947م)، وبويع بالخلافة بعد خلع الخليفة الطائع لله في عام (381هـ-991هـ)، وتوفي في عام (422هـ-1031م) وتولى حكم الخلافة العباسية بعده ابنه القائم بأمر الله، وهو ثالث خليفة عباسي لم يكن والده خليفة؛ زين الأخبار، جرديزي، ص148؛ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج5، ص61؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص443.

([3]) زين الأخبار، جرديزي، ص25؛ الإنباء في تاريخ الخلفاء، ابن العمراني، ص184-185؛ موجز التاريخ الإسلامي، أحمد العسيري، ص234.

أمن واسطة الهند ... إلى ساحات جرجان

ومن قاضية السند ... إلى أقصى خراسان

على مقتبل العمر ... وفي مفتتح الشان

لك السرج إذا شحت ... على كاهل كيوان

يمين الدولة العقبى ... لبغداد وغمدان

وما يعقد بالمغرب ... عن طاعتك اثنان

إذا شئت ففي أمن ... وفي يمن وإيمان"[1].

ولقد حرصت الخلافة العباسية على إطلاق الألقاب، لحكَام الأقاليم التابعة لها والتي تحكم باسمها تكريمًا لهم وتعظيمًا لشأنهم وتقديرًا لجهودهم في خدمة الإسلام والمسلمين، لذلك نجد حكام الدولة الغزنوية قد تلقبوا بالعديد من الألقاب، وقد كان السلطان محمود –بحق– أهلاً لكل الألقاب التي أضيفت له.

فقد أُطلق على السلطان محمود العديد من الألقاب[2] الفخرية ذات الدلالات الدينية، اعترافًا وتقديرًا لجهوده وعظيم فتوحاته، من قِبل الدولة السامانية والخلافة العباسية وبعض المؤرخين، وقد كان السلطان محمود أول من لقب بالسلطان ولم يلقب به أحد قبله[3]، وكان قبل أن يلقب بالسلطان يلقب بسيف الدولة[4]، فقد كان يستخدم الحُكام قبل عهد السلطان محمود لقب الأمير، ومنذ عهده بدأ استخدام لقب سُلطان، لذلك يعد السلطان محمود أول من تلقب بهذا اللقب في التاريخ الإسلامي.

([1]) ديوان بديع الزمان، الهمذاني، ص211-212.

([2]) هناك العديد من الشخصيات الإسلامية حملت ألقاب متشابها فيما بينها، ولم تقتصر على شخصية معينة، فنجد أن بعض ألقاب السلطان محمود قد حملها أيضًا بعض الشخصيات الأخرى، كمحمد بن عبد الله بن قاسم الفهري (ت440هـ-1048م) الذي تلقب بيمين الدولة، وأبي سعيد عبد الواحد بن أحمد بن جعفر بن ماكولا الذي تلقب بأمين الملة إضافة إلى الألقاب الكثيرة التي تلقب بها؛ الجوزي، وغيرهم الكثير من الشخصيات الإسلامية؛ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج15، ص170؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص23؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص203.

([3]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص489؛ تاريخ مختصر الدول، ابن العبري، ج1، ص178.

([4]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص69.

ويطلق عليه كذلك الأمير الْأَجَل يمين الدولة وأمين الملة[1]، وأمين الله[2]، وأمين الأمة[3]، وكهف الإسلام[4]، وناصر الحق، ونظام الدين، ونصير[5] أمير المؤمنين[6]، والسلطان الكبير، وأبو القاسم، وسيف الدولة وأمير الغزاة، وملك المشرق[7]، والمجاهد المغازي، وفاتح بلاد الهند قهراً، ومحطم الأصنام، والملك العادل الكبير والمرابط، والمؤيد المنصور[8]، والملك، فقد كان في زمانه رأس الملوك[9].

وقد امتاز عهد السلطان محمود بالجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى، ونشر وتثبيت الإسلام، وكذلك هدم الأصنام، والقضاء على أهل البدع والضلالة والمذاهب الفاسدة، فقد بلغ بفتوحاته إلى حيث لم تبلغه في الإسلام راية ولم تتل بها سورة ولا أية قط وأقام شعائر الإسلام في أقصى ربوع الأرض، وأقام بدلاً من بيوت الأصنام مساجد الإسلام، وقد عظم ملكه ودانت له الأمم واتسعت مملكته، وامتلأت خزائنه بكثير من الأموال والجواهر[10].

ويعتبر السلطان محمود أعظم حكام الدولة الغزنوية، والذي أصبح أكبر قوة في بلاد المشرق الإسلامي، فقد أصبحت الدولة العزنوية في عهده دولة عظيمة أضافت الكثير للفتوحات والحضارة الإسلامية، فقد افتتح معظم بلاد الهند، وأدخل عددًا من مدنها الإسلام فهو أول حاكم مسلم يحكم معظم بلاد الهند[11]، وكان مظفرًا في غزواته، ما خلت سنة من سني حكمه من

([1]) زين الأخبار، جرديزي، ص149-251.

([2]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص74.

([3]) نزهة الأنظار، محمود مقديش، ج1، ص300.

([4]) زين الأخبار، جرديزي، ص149، 251.

([5]) وردت بلفظ ولي؛ زين الأخبار، جرديزي، ص251.

([6]) قبل ذلك ما كان يعرف اللقب المنسوب إلى أمير المؤمنين إلا مولى أمير المؤمنين فهو أول من غير ذلك؛ الإنباء في تاريخ الخلفاء، ابن العمراني، ص184؛ ولي أمير المؤمنين؛ اليميني، العتبي، ص309.

([7]) العبر في خبر من غبر، الذهبي، ج2، ص226، 245.

([8]) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص35.

([9]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص232؛ العبر في خبر من غبر، الذهبي، ج2، ص234؛ سمط النجوم العوالي، العصامي، ج3، ص497.

([10]) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج5، ص178؛ العبر في خبر من غبر، الذهبي، ج3، ص147؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص71؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص273.

([11]) روضة أولي الألباب، البناكتي، ص237؛ موجز التاريخ الإسلامي، أحمد العسيري، ص234.

غزوة في سبيل الله سبحانه وتعالى[1]، واستقر له الحكم شرقًا وغربًا في بلاد المشرق الإسلامي، وجاءته الرسل من كل مكان بالتحية والسلام والإكرام[2].

وقد أصاب السلطان محمودًا المرض قبل وفاته بعامين[3] فلم يستطع أن يضطجع فيهما على فراش، ولا يتوسد وسادة، ولم يضع جنبه على الأرض طيلة مدة مرضه، بل كان يتكئ جالسًا، ويستند على مخاد توضع له، واعتقل لسانه، وكان لا يستطيع أن يكلم الناس إلا متكئًا من شدة المرض، وكان أطباؤه يأمرونه بالراحة فيقول لهم: "تريدون أن أعتزل الإمارة"[4].

وقد اختلفت المصادر في تحديد مرض السلطان محمود، فيذكر الجرديزي أن مرضه كان الربو[5]، ويذكر الجوزي وابن الأثير وابن الوردي أن مرضه كان سوء المزاج وانطلاق البطن والإسهال[6]، ولم يحدد ابن كثير عند الحديث عن وفاته نوع مرضه[7].

ورغم شدة مرضه لم يترك ساحات الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى، فقد ظل السلطان محمود في جهاد دائم لا يكل ولا يمل، رغم إخباره من قبل الأطباء بضرورة الخلود للراحة لأن مرضه يزداد عليه كل يوم، ولكنه كان يصطنع القوة بالحيلة والتكلف حتى يبدو أمام الناس وليس به مرض أو ألم، وذلك لشهامته وصرامته، وقوة عزمه، وقد كان يحضر مجلس الحكم ليفصل بين الناس، ويسير شؤون الدولة، واستمر على تلك الحال حتى توفي وهو كذلك

([1]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص71؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر (2/ 245).

([2]) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص37-38.

([3]) ويذكر سبط ابن الجوزي قبل وفاته بثلاث سنين؛ مرآة الزمان، ج18، ص365.

([4]) المصدر السابق، ج18، ص365.

([5]) زين الأخبار، ص273.

([6]) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج15، ص212؛ الكامل في التاريخ، ج7، ص731؛ تاريخ ابن الوردي، ج1، ص328.

([7]) البداية والنهاية، ج12، ص35.

قاعدًا، يوم الخميس (23 ربيع الثاني 421هـ- 1 مايو 1030م)[1]، وله من العمر واحد وستون عامًا[2]، بعد أن حكم الدولة الغزنوية ثلاثة وثلاثين عامًا[3]، في مدينة غزنة ودفن فيها[4].

وقد اختلفت المصادر في تحديد الشهر الذي توفي فيه السلطان محمود، فقد ذكر جرديزي والطالبي أنه توفي يوم الخميس (23 ربيع الثاني-1 مايو)[5]، وذكر ابن الأثير والطالبي أنه توفي في (11 صفر-19 فبراير)[6]، وذكر ابن كثير أنه توفي في (ربيع الأول- مارس)[7]، وذكر ابن الجوزي وابن الأثير وسبط ابن الجوزي وابن الوردي وابن كثير أنه توفي يوم الخميس (23 ربيع الثاني-1 مايو)[8]، وذكر الذهبي وابن تغري بردي أنه توفي في (جمادى الأولى- مايو)[9]، والراجح قول جرديزي لأنه أقرب المصادر لتلك الفترة التي توفي فيها السلطان محمود.

ولعلها تكون شهادة كما ورد في الحديث النبوي الشريف من حديث قتيبة عن مالك عن سمي مولى أبي بكر عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ وَالْمَبْطُونُ وَالْغَرِيقُ وَصَاحِبُ الْهَدْمِ وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ"[10]، تعوض هذا

---

(1) زين الأخبار، جرديزي، ص273؛ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج15، ص212؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص731؛ العبر في خبر من غبر، الذهبي، ج2، ص245؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص74؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص35؛ ويذكر البناكتي أنه توفي في عام (420هـ-1029م)، روضة أولي الألباب، ص239.

(2) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص35؛ ويذكر جرديزي، وابن الجوزي، وابن الأثير، وسبط ابن الجوزي، أنه توفي وله من العمر ثلاثة وستون عامًا؛ زين الأخبار، ص273؛ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج15، ص212؛ الكامل في التاريخ، ج7، ص731-732؛ مرآة الزمان، ج18، ص364.

(3) ويذكر البناكتي أن مدة حكم السلطان محمود بلغت تسعة وثلاثين عامًا؛ روضة أولي الألباب، ص239.

(4) زين الأخبار، جرديزي، ص273؛ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج15، ص212؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص731-732؛ مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، ج18، ص364.

(5) زين الأخبار، ص273؛ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ج1، ص73.

(6) الكامل في التاريخ، ج7، ص731؛ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الطالبي، ج1، ص73.

(7) البداية والنهاية، ج12، ص35.

(8) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج8، ص54؛ الكامل في التاريخ، ج7، ص731؛ مرآة الزمان، ج18، ص364؛ تاريخ ابن الوردي، ج1، ص328؛ البداية والنهاية، ج12، ص38.

(9) العبر في خبر من غبر، ج2، ص245؛ النجوم الزاهرة، ج4، ص274.

(10) صحيح البخاري، البخاري، الأذان/ فضل التهجير إلى الظهر، 132/1: رقم الحديث653.

السلطان العظيم الذي ظل طوال حياته يجاهد في سبيل الله سبحانه وتعالى، ومع ذلك ورغم هذه الحياة الطويلة فوق ظهر الخيل ورفقة السلاح إلا أنه توفي على فراش المرض مبطونًا، فكم يذكرني السلطان محمود بالصحابي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه الذي ظل يجاهد في

سبيل الله ويفتح البلاد شرقًا وغربًا، وقد توفي على فراشه عام (21هـ-642م)، بعد أن ترك من ورائه مملكة واسعة الرقعة، مرهوبة الجانب.

وقد خلف السلطان محمود الكثير من الأموال، والجواهر ذات القيمة العظيمة التي اقتناها من ملوك خراسان وما وراء النهر وعظماء الترك وبلاد الهند[1].

وبوفاة السلطان محمود بدأت مرحلة ضعف الدولة الغزنوية، فقد فقدت الدولة الغزنوية في عهد ابنه السلطان مسعود الكثير من قوتها وجزءًا كبيرًا من أراضيها[2]، فقد كان السلطان محمود قد أوصى قبل وفاته لابنه الأصغر الأمير محمد لتولي حكم الدولة الغزنوية من بعده، ولم يوصِ لابنه الأكبر الأمير مسعود؛ لأن أمره لم يكن عنده نافذًا[3]، والذي عارض تولي أخيه الحكم بصفته الابن الأكبر، وتوجه إلى مدينة غزنة، واجتمع الجيش على طاعته، وكانوا يؤثرونه على أخيه الأمير محمد لشجاعته، وقام بمساعدة الأمراء بالقبض على أخيه الأمير محمد وتولى حكم الدولة الغزنوية[4].

ويلاحظ الباحث مما سبق عدم وجود نظام ثابت لولاية العهد في الدولة الغزنوية، من خلال إسناد ولاية العهد إلى الابن الأصغر، فنجد أن السلطان محمودًا قد أوصى لتولي حكم الدولة الغزنوية من بعده لابنه الأصغر ولم يوصِ لابنه الأكبر، والذي كان سببًا لنشوب النزاعات والاقتتال بين الأخوين، ما أدى لإضعاف الدولة وهدم كيانها، وهذا يذكرنا بما حدث أيام الأمير سبكتكين عندما ولى ابنه الأصغر الأمير إسماعيل ولم يولِ ابنه الأكبر الأمير

([1]) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج15، ص212؛ مرآة الزمان، ابن الجوزي، ج18، ص364؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص38-39.

([2]) زين الأخبار، جرديزي، ص273.

([3]) ويذكر البناكتي في رواية أخرى أن السلطان محمودًا قام قبل موته بتقسيم دولته إلى قسمين، وهو أن يكون حكم بلاد العراق وإقليم خراسان لابنه الأكبر الأمير مسعود، وحكم بلاد الهند ومدينة غزنة لابنه الأصغر الأمير محمد، فأراد الأمير مسعود من أخيه الأمير محمد أن يجعله شريكًا له في الخطبة، فلم يستجيب، فتوجه الأمير مسعود إلى مدينة غزنة، وسيطر على جميع ممالك أبيه؛ روضة أولي الألباب، ص239.

([4]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص731-732؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص74.

محمود، والذي أدى إلى دب الخلاف بينهم، وإن مثل هذه الخلافات على الحكم تعتبر سببًا من أسباب ضعف الدول وانهيارها بعد ذلك.

وقد ظلت سيرة السلطان محمود يتداولها العامة والخاصة في بلاد المشرق الإسلامي إلى يومنا هذا، حتى أن القوات المسلحة الباكستانية أعلنت يوم الخميس (7 رجب 1435هـ- 8 مايو 2014م) [1] أنها أجرت تجربة ناجحة لإطلاق صاروخ قصير المدى أرض- أرض، قادر على حمل رؤوس حربية نووية وتقليدية تصل إلى مدى 290 كيلومتر، يطلق عليه اسم (حتف3 أو الغزنوى)، نسبة للسلطان محمود[2].

([1]) باكستان تطلق بنجاح صاروخًا باليستيًا يستطيع حمل رؤوس نووية، الرأي (20 جمادى الآخرة 1435هـ- 22 ابريل 2014م)؛ باكستان تعلن عن تجربة ناجحة لإطلاق صاروخ "حتف- 3"، العربي اليوم(10 جمادى الآخرة 1433هـ- 17 مايو 2012م)؛ باكستان تطلق بنجاح صاروخ حتف-3 البالستي القادر على حمل رؤوس نووية، SDA الأمن والدفاع العربي.

([2]) باكستان تجرى تجربة ناجحة لإطلاق صاروخ قصير المدى، اليوم السابع، رئيس التحرير خالد صلاح؛ باكستان تجري تجربة لإطلاق صاروخ قصير المدى، أخبار 24.

الفصل الأول

الأسباب الإيمانية لنصر وتمكين الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود

المبحث الأول:

مؤهلات السلطان محمود الإيمانية للنصر والتمكين

أولاً: أعماله الصالحة:

كان للسلطان محمود العديد من الأعمال الصالحة التي هيأت له أسباب النصر والتمكين في حكم الدولة الغزنوية، والتي كانت سببًا من أسباب قوته وعظمته في بلاد المشرق الإسلامي، **ومنها:**

1- التواضع لله سبحانه وتعالى:

إن التواضع لله سبحانه وتعالى صفة حميدة، وصاحبها له الدرجات الرفيعة، وكلما كثر تواضع العبد لله سبحانه وتعالى، ازداد قوة ورفعة.

وقد أراد السلطان محمود تشكيل أرضية صلبة يعتمد عليها في تقوية دولته وضمان استقرارها وازدهارها من خلال تواضعه واحترامه للعلماء والفقهاء وتقريبهم منه والسماع لهم وتوقيرهم وإكرامهم ومجالستهم، والإقبال عليهم ومشاورتهم في أمور الدولة والرعية، والذين كثروا في أيامه وذاع صيتهم، وعظمت مكانتهم عنده، ومنهم محمد بن الهيضم[1]، لقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿... **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...**﴾[2].

فقد كان السلطان محمود كثير التواضع للعلماء والفقهاء، وكان يكن لهم كثيرًا من الاحترام والتقدير، حيث أنه كان إذا رأى الواعظ عثمان النيسابوري[3]، قام له احتراماً[4]، فإن كنت متوليًا أمرًا من أمور المسلمين، فتمتع بالبشاشة وانطلاق الوجه وانشراح الصدر.

وبلغ من تواضعه للعلماء والفقهاء أنه أراد ذات يوم زيارة العالم الزاهد أبي الحسن الخرقاني[1]، ليتعظ منه، فأرسل إليه رسولاً يدعوه للحضور إلى قصره، وأن يقرأ عليه إذا رفض

([1]) محمد بن الهيضم: شيخ الكرامية، وأكبر علمائهم في وقته، فقد كان في زمانه رأس طائفته، وقد أورد الذهبي كلمة الهيضم بلفظ الهيصم؛ تاريخ الإسلام، ج28، ص232؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص38.

([2]) آل عمران: 159.

([3]) الواعظ عثمان النيسابوري: كان رجلاً خيرًا صالحًا، وكان يغسل الموتى محتسبًا أجره على الله سبحانه وتعالى، وكان له مكانة كبيرة عند الخلفاء والسلاطين، وقد توفي في عام (416هـ-1025م)؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص24.

([4]) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص24.

الحضور قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...**﴾[2]، فقال العالم الخرقاني للرسول أخبر السلطان محمود بأني لن آخذ بأولي الأمر منكم، فأخبر الرسول السلطان محمود بذلك، فآثر السلطان محمود على نفسه وذهب إلى العالم الخرقاني[3]، فقد أدرك السلطان محمود عظيم قدر المتواضع عند الله سبحانه وتعالى، وفهم أن من أراد الرفعة تواضع لله؛ فإن العزة لا تقع إلا بقدر النزول، حيث قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**...أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ...**﴾[4]، فمن خلال هذه القصة يتضح لنا أن السلطان محمودًا كان في قمة التواضع لله سبحانه وتعالى، حيث أنه ذهب للعالم الخرقاني ليتعظ منه رغم أنه رفض طلب السلطان محمود بالحضور لقصره.

وكذلك عندما دخل السلطان محمود على العالم الخرقاني لم يقف له احترامًا، وجلس السلطان محمود وقال للعالم الخرقاني: "عظني، قال: أحفظ أربعة أشياء: التعفف، وصلاة الجماعة، والكرم، والشفقة على خلق الله، فقال محمود: ادع لي، قال: أدعو في الصلوات الخمس اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، قال: ادع لي دعاء خاصاً، قال: يا محمود لتكن عاقبتك محمودا، ثم قال محمود: أعطني تذكاراً منك، فأعطاه الشيخ قميصا له، ولما عاد محمود، وقف له الشيخ، فقال محمود: عندما جئت أولاً لم تعرن اهتماماً والآن تقف إلى، كيف هذا؟!، فقال الشيخ: جئت في البداية برعونة الملك وكبريائه، والآن تذهب منكسراً"[5]، فقد جاء في الأثر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله محمد ﷺ قال: "...وَلَا تواضع أحد لله إلا رفعه الله"[6].

([1]) علي بن أحمد أبي الحسن الخرقاني: كان شيخ عصره وفريد وقته، وكان في بداية حياته يعمل في كري الحمار وحمل الأثقال عليه، وينسب الخرقاني إلى خرقان: وهي إحدى قرى مدينة سمرقند، وقد توفي الخرقاني يوم الثلاثاء في عاشوراء عام (425هـ-1034م)؛ الأنساب، السمعاني، ج5، ص93-94؛ اللباب في تهذيب الأنساب، ابن الأثير، ج1، ص434؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص162.

([2]) النساء: 59.

([3]) روضة أولي الألباب، البناكتي، ص237-238؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص162.

([4]) المائدة: 54.

([5]) روضة أولي الألباب، البناكتي، ص238.

([6]) صحيح ابن حبان، البُستي، الزكاة/ ذكر البيان بأن الجنة إنما تجب لمن آتى الزكاة مع سائر الفرائض وكان مجتنبا للكبائر، 40/8: رقم الحديث 3248.

وكان السلطان محمود كثير الاعتذار للعلماء، فعندما أرسل في طلب العالم ابن أبي الطيب علي عبد الله بن أحمد النيسابوري[1] لمجلسه ليتعظ ويسمع منه القرآن الكريم في عام (414هـ-1023م)، فلما دخل على السلطان محمود جلس بغير إذن منه وشرع في رواية حديث عن رسول الله محمد ﷺ، فقال السلطان لأحد حراسه: "يا غلام ده رأسه، فلكمه على رأسه لكمةً كانت سبباً إلى قلة سمعه وطرشه"، وكان هدف السلطان محمود من ذلك إسكاته وليس ضربه، حيث أنه قد اعتذر إليه وبرر ذلك بأنه قد خالف قوانين القصر، وخجل السلطان محمود منه وقبل رأسه[2]، لأنه يعلم عظم قدر هؤلاء العلماء عند الله سبحانه وتعالى القائل في كتابه الكريم: ﴿...**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**...﴾[3].

وكان السلطان محمود يكرم العالم محمد بن علي بن محمد بن الحسن، أبو عبد الله الخبازي المقرئ[4] غاية الإكرام، وهو من أكابر علماء مدينة نيسابور، وكان عارفًا بالقراءات ووجوهها، وكان يحيي الليالي بالقراءة والدعاء والبكاء، وكان مستجاب الدعوة[5].

فالتواضع هو من أخلاق الأنبياء، فقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم على لسان نبيه عيسى بن مريم ﷺ: ﴿...**وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا**﴾[6]، فالتجبر والتكبر على عباد الله هو من صفات الطواغيت الذين أهلكهم الله سبحانه وتعالى كما قص علينا في كتابه الكريم

([1]) ابن أبي الطيب النيسابوري: كان عالمًا في تفسير وحفظ القرآن الكريم، وكان من حفاظ العلم، وذا ورع وعبادة، وذا دعوة مستجابة، وله عدة تصانيف في تفسير القران الكريم، كالتفسير الكبير، والأوسط، والصغير، ولم يخلف من الكتب سوى أربع مجلدات أحدها فقهي، وآخر أدبي، ومجلدان في التاريخ؛ وقد ولد في مدينة نيسابور وقد توفي فيها في (8 شوال 458هـ- 3 سبتمبر1066م)؛ تاريخ بيهق، ابن فندمه، ص348؛ معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج4، ص1781؛ الوافي بالوفيات، الصفدي، ج21، ص136-137.

([2]) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج4، ص1781.

([3]) فاطر: 28.

([4]) أبو عبد الله الخبازي المقرئ: ولد بمدينة نيسابور في عام (372هـ-982م)، وقد توفي في عام (449هـ-1057م)؛ تبيين كذب المفتري، ابن عساكر، ص363-364؛ المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، الصريفيني، ص43؛ التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، ابن نقطة، ص90؛ معرفة القراء الكبار، الذهبي، ص230؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج30، ص234-235.

([5]) تبيين كذب المفتري، ابن عساكر، ص363-364؛ المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، الصريفيني، ص43؛ التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، ابن نقطة، ص90؛ معرفة القراء الكبار، الذهبي، ص230؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج30، ص234-235.

([6]) مريم: 32.

من قصص الطواغيت والمتكبرين الذين نالهم غضبه وعذابه المبين، أمثال فرعون وهامان والنمرود، وغيرهم، بينما التواضع لله سبحانه وتعالى يؤهل المجاهدين للنصر والتمكين ويقوي شوكتهم على عدوهم، فبالتواضع لله سبحانه وتعالى يتحصل العبد على القوة والرفعة.

ويلاحظ الباحث مما سبق أن السلطان محمود كان كثير التواضع والاحترام للعلماء والفقهاء لأنه يعرف جيداً قدرهم ومكانتهم عند الله سبحانه وتعالى، إضافة إلى ذلك أن السلطان محمود كان عالمًا ويعرف مكانة العلماء جيدًا ودورهم في جلب النصر والتمكين للدولة الغزنوية ومساهمتهم في قوتها أو ضعفها.

2- الزهد:

لما نزل بالسلطان محمود المرض أحضر الجواهر التي اقتناها من ملوك بلاد المشرق الإسلامي، وكانت سبعين رطلاً، فصفت بين يديه، فلما رآها بكى بكاءً شديدًا وتحسر عليها[1].

وقد اتفق الأطباء أن يحمل على سريره ويطاف به البيمارستانات[2] على المرضى ليهون ما به، وقد طلب منه أحد المرضى أن يأتي له بكيس من القمح فقال السلطان محمود لا استطيع أن احمله لك بنفسي، فقال له المريض: يا مسكين، إذا كنت لا تقدر على حمل كيس من القمح فكيف تقدر يوم القيامة على أن تحمل حقوق العباد كلهم؛ فبكى السلطان محمود، وكان كلما تذكر كلامه يبكي إلى أن توفي[3]، ولسان حاله يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه، لأنه يعلم أنه محاسب عليها بعد الموت، وأنه سيسأل أمام الله سبحانه وتعالى عنها.

وقد أيقن السلطان محمود أن كل ما اتصف به من زيادة مال، ورفعة منزلة، وعظم ملك وجاه، كله من عند الله سبحانه وتعالى القائل في كتابه الكريم: ﴿**مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ...**﴾[4]، لذلك زهد في الحياة الدنيا وطلب الأخرة.

([1]) مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، ج18، ص363.

([2]) البيمارستانات: تعني المستشفيات في زماننا هذا.

([3]) مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، ج18، ص364.

([4]) النحل: 96.

3- طلب النصر والتمكين من الله سبحانه وتعالى والاستعانة به:

كان السلطان محمود كثير الإلحاح بطلب النصر والتمكين من الله سبحانه وتعالى، فمن يتوجه إلى الله سبحانه وتعالى ويُقبل عليه بالدعاء والمناجاة ويكثر الإلحاح يُقبل الله سبحانه وتعالى عليه ويرفع شأنه وينصره على عدوه ويُمكن له في الأرض، لقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾[1].

وقد فطن السلطان محمود لذلك فعندما أخرج جيش ملك الترك أيلك الخان[2] من إقليم خراسان في عام (397هـ-1007م)، تحالف مع أحد أقربائه وهو قدرخان بن بغراخان ملك الخُتَن[3]، لمحاربة السلطان محمود، وأثناء سير المعركة توجه السلطان محمود إلى الله سبحانه وتعالى وسأله النصر والتمكين في المعركة، فاستجاب الله سبحانه وتعالى له ونصره ومكن له[4].

وفي إحدى معارك الدولة الغزنوية ضد أعداء الإسلام كان السلطان محمود يخشى أن يُهزم، فنزل عن دابته ووضع وجهه على التراب، وقال: "يا إلهي بعزتك انصرني على الكفار، على أن أوزع كل الغنائم التي تغنم منهم على فقراء المسلمين"، وقد تحقق له النصر والتمكين في تلك المعركة[5].

فالنصر والتمكين، والعزة لعباد الله سبحانه وتعالى المؤمنين الموحدين حقيقة حتمية الوقوع، ووعد إلهي أكيد، قادم لا محالة، بعز عزيز أو بذل ذليل، نصر في الدنيا، وفوز في الآخرة، لقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**﴾[6].

([1]) محمد: 7.

([2]) أيلك الخان: هو أبو نصر أحمد بن علي، ولقبه شمس الدولة، وهو حاكم بلاد ما وراء النهر والذي سيطر عليها من الدولة السامانية في عام (390هـ-1000م)، وقد توفي في عام (403هـ-1012م)؛ الكامل في التاريخ (7/ 589)؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص18.

([3]) الختن: ولاية في بلاد الترك وراء نهر سيحون، على حدود الصين، وهي معدودة من بلاد تركستان؛ اليميني، العتبي، ص291؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج2، ص347.

([4]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص545.

([5]) روضة أولي الألباب، البناكتي، ص238.

([6]) غافر: 51.

وعندما توجه السلطان محمود لفتح إقليم خوارزم في عام (407هـ-1016م)، استعان هو وجيشه بالصلاة والعبادة لتحقيق النصر والتمكين على الأعداء وقد نال ما كان يسعى إليه وفتحها[1]، وكذلك عندما دخلوا حصن مدينة سومنات فاتحين في عام (416هـ-1025م) دخلوا مهللين مكبرين، وظفر بالنصر والتمكين[2].

فنصرة دين الله سبحانه وتعالى، والقيام به قولاً وعملاً واعتقادًا ودعوة، مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أعظم أسباب النصر والتمكين، فقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[3]، وقال أيضًا: ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ(40) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ(41)**﴾[4]، وقال أيضًا: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ(2) ... وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ(9) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ(10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(11)**﴾[5]، فلا شك أن من يقيم الصلاة ويحافظ عليها يتحصل على الفلاح والتأييد والنصر والتمكين من الله سبحانه وتعالى.

وفي إحدى المعارك التي خاضها في بلاد الهند ضد جيش الهنود بقيادة أحد ملوكها المسمى نندا، تفاجأ السلطان محمود بضخامة جيشهم وكثرة عددهم وعتادهم، فدب في قلبه ما يشبه الخوف، فتوجه بطلب النصر والتمكين من الله سبحانه وتعالى على أعدائه، وفي الليل قذف الله سبحانه وتعالى الرعب والفزع في قلوب جيش نندا فجمع جيشه وهرب، فشكر السلطان محمود الله سبحانه وتعالى، وغنم ما تركه ننداً وجيشه خلفهم من الغنائم[6].

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى العديد من الآيات في كتابه الكريم الدالة على أن النصر والتمكين بيده وحده سبحانه وتعالى القائل في كتابه الكريم: ﴿**...تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ...**﴾[7]، لذلك توجه السلطان محمود لما دب

---

[1] زين الأخبار، جرديزي، ص259.

[2] البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص28؛ شذرات الذهب، ابن العماد، ج5، ص90.

[3] البقرة: 153.

[4] الحج:40-41.

[5] المؤمنين: 1-11.

[6] زين الأخبار، جرديزي، ص262.

[7] آل عمران: 26.

الخوف في قلبه إلى الله سبحانه وتعالى ولم يغتر بقوة جيشه وكثرة عدده وعتاده، فعندما أيقن أن النصر والتمكين من عند الله نصره الله سبحانه وتعالى.

وعندما انتهى السلطان محمود من فتح بلاد الغور[1] في عام (401هـ-1011م) توجه لمحاربة أعداء الإسلام، وسلك طريق الصحراء فلحق بجيشه عطش شديد وكادوا يهلكون، فتوجه السلطان محمود ومن معه بطلب الاستغاثة والاستعانة من الله سبحانه وتعالى، فلطف بهم، وبعث لهم سحابة أمطرت عليهم الماء الوفير فشربوا واستقوا، حتى وصلوا ديار الأعداء، واقتتل الجيشان، فكان النصر والتمكين حليف جيش المسلمين، وحلت الهزيمة بجيش الأعداء، وغنم منهم الكثير من الغنائم[2]، وهنا تتجلى عناية الله سبحانه وتعالى لعباده المسلمين المجاهدين الموحدين، القائل في كتابه الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾[3]، فمن كان الله سبحانه وتعالى معه فمن عليه.

وأصل الاستعانة بالله سبحانه وتعالى أن تثق به ثقة مطلقة، وأن تعتمد عليه اعتمادًا كليًا، فالعبادة تجمع بين الحب والخضوع والاستعانة تجمع بين الثقة والتوكل على الله سبحانه وتعالى القائل في كتابه الكريم: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾[4]، فالاستعانة والتوكل على الله سبحانه وتعالى، ضرورة ومهمة في حياة العبد المؤمن، ولن يستطيع العبد أن ينجز شيئًا من أعماله الدينية أو الدنيوية إلا بعد توفيق الله سبحانه وتعالى وإعانته له.

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾[5]، لذلك يتوجب علينا اليوم أن نعتبر من ما نحن فيه من هم وغم وحزن وضعف وأن نوقن بأن لا ملجأ لنا إلا برجوعنا إلى الله سبحانه وتعالى، والاستعانة به والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للتخلص من ما تمر به الأمة العربية والإسلامية اليوم من أيام حالكة، وفترة من التاريخ قاتمة عصيبة، وغربة لأهل الإسلام شديدة، ومرحلة من الضعف والهوان، لتحقيق النصر والتمكين على أعدائنا والنهوض بأمتنا.

([1]) بلاد الغور: هى جبال عامرة ذات عيون وبساتين وانهار وهى خصيبة منيعة؛ المسالك والممالك، الاصطخري، ص272.

([2]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص571؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج11، ص398.

([3]) محمد: 7.

([4]) إبراهيم: 12.

([5]) الحشر: 2.

وهذا الضعف والهوان الذي أصاب الأمة العربية والإسلامية في عقيدة أهل السنة والجماعة مبشرة مطمئِنة؛ فما من محنة تمر على المسلمين إلا ويعقبها منحة، والعسر لا بد أن يعقبه اليسر، لقول الله سبحانه وتعالى في كتاب الكريم: ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا(5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا(6)**﴾[1].

4- هدم الأصنام وبناء مساجد الإسلام:

كان السلطان محمود يعمل على هدم الأصنام وإقامة مساجد الإسلام بدلاً منها لنشر الدعوة الإسلامية، امتثالاً لقول رسول الله محمد ﷺ، في الحديث الذي رواه مسلم عن عمرو بن عبسة أنه قال، قال رسول الله محمد ﷺ: "أَرْسَلَنِي اللهُ، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ، قَالَ: أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ"[2]، وكذلك الحديث الذي رواه مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله محمد ﷺ: "أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ"[3].

لذلك عمل السلطان محمود على هدم الأصنام فكان كلما توجه إلى بلاد الهند غازيًا وفتح مدينة من مدنها كان يهدم أصنامها[4]، وفي طريقه لفتح مدينة سومنات في عام (416هـ-1025م) وجد عدة حصون وقلاع فيها كثير من الأصنام ففتحها وهدم أصنامها، وعندما وصل صنم بلاد الهند الأعظم المسمى سومنات هدمه[5]، ولسان حاله يقول كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾[6].

ولأن المساجد هي بيوت الله سبحانه وتعالى على الأرض، وأحب الأماكن إليه، فيها يذكر اسمه، وفيها يسبح بحمده، وقد حث الإسلام على بناء المساجد ورتب على ذلك الأجر الكبير من الله سبحانه وتعالى القائل في كتابه الكريم: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ**

([1]) الشرح: 5-6.

([2]) المسند الصحيح، مسلم، صلاة المسافرين وقصرها/ إسلام عمرو بن عبسة، 569/1: رقم الحديث 832.

([3]) المسند الصحيح، مسلم، الجنائز/ الأمر بتسوية القبر، 666/2: رقم الحديث969.

([4]) مرآة الجنان، اليافعي، ج3، ص18؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج27، ص245؛ العبر في خبر من غبر، الذهبي، ج2، ص217؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص10؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص245؛ شذرات الذهب، ابن العماد، ج5، ص56.

([5]) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص28، 37؛ شذرات الذهب، ابن العماد، ج5، ص90.

([6]) الإسراء: 81.

الْمُهْتَدِينَ﴾[1]، فقد أحب السلطان محمود أن ينفق ما أفاء الله سبحانه وتعالى عليه في الفتوحات من الغنائم، في بناء المساجد، كبناء المسجد الجامع في مدينة غزنة، والذي أنفق عليه وعلى العاملين على بنائه، وتزينه الكثير من المال[2].

وقد أدرك رسول الله محمد ﷺ، عظيم فضل بناء المساجد في الإسلام، وأن أصحابه ومن دخل في دينه يحتاجون إلى تربية وتعليم، وتوجيه وإرشاد، وتعلم شرائع الإسلام وأحكامه، فكان أول عمل بدأ به رسول الله محمد ﷺ بعد دخول المدينة المنورة أن شرع هو وأصحابه الكرام في بناء المسجد.

فعمارة المساجد والإنفاق عليها من علامات التقوى والإيمان بالله سبحانه وتعالى، وقد ذكر الخليفة الراشدي عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه سمع رسول الله محمد ﷺ يقول: "مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ، بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ"[3]، فطوبى لمن هيأ لنفسه بيتًا في الجنة سرمديًا أبديًا، ليس كبيوت الدنيا أيامها معدودة والراحة فيها محدودة، فإن فضل بناء المساجد من الأعمال الجليلة التي يؤجر عليها العبد يوم القيامة.

وروى البزار في مسنده من حديث أنس: أن رسول الله محمد ﷺ قال: "سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ، وهُو فِي قَبْرِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَى نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ"[4]، فباسم الله هدم السلطان محمود الأصنام، وبنى مكانها مساجد الإسلام.

وقد دلت الأدلة الشرعية على وجوب هدم الأصنام، كما ذكرنا سابقًا، فوجود الأصنام منكر يجب إزالتها، ولهذا نقول إن ما قام به السلطان محمود من هدم الأصنام التي تعبد من دون الله سبحانه وتعالى عمل مشروع يؤجر عليه، ويأثم تاركه مع القدرة.

وإن معظم غزاة المسلمين قد سلكوا سبيلاً يشبه تمامًا هذا السبيل، مثل ما فعل صحابة رسول الله محمد ﷺ من هدم أصنام البلاد المفتوحة، وأما التعلل بكون هذه الأصنام

([1]) التوبة: 18.

([2]) اليميني، العتبي، ص414-415.

([3]) مسند الإمام أحمد، ابن حنبل، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، 381/1: رقم الحديث506.

([4]) البحر الزخار، مسند أبي ذر الغفاري رضي الله عنه/ مسند أبي حمزة أنس بن مالك، 483/13: رقم الحديث 7289.

والتماثيل من التراث الإنساني ويجب المحافظة عليها كما يدعي البعض، فهو واهم، نعم هي تعتبر من التراث الإنساني، لكنها تراث محرم يجب إزالته، فمثلاً اللات والعزى وهبل ومناة وغيرها من الأصنام والتماثيل التي كانت تراثًا لأهل الجزيرة العربية قديمًا، وقد تدرج بهم الحال إلى أن أصبحوا يعبدونها من دون الله سبحانه وتعالى، وإذا جاء أمر الله ورسوله فالمؤمن يبادر إلى الامتثال له ولا يرد أمر الله سبحانه وتعالى ورسوله ولمثل هذه الحجج الواهية، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[1].

وأما ما يقال بأن المسلمين الأوائل قد تركوا الأصنام في البلاد المفتوحة، فهذا من الظنون والأوهام التي لا يعرج عليها عاقل، فما كان لأصحاب رسول الله محمد ﷺ أن يتركوا الأصنام، وإن ما هو موجود اليوم من أصنام في بعض البلاد كأصنام وتماثيل الفراعنة والرومان والهنود وغيرها، قد بقي إلى اليوم دون أن يهدمه الصحابة والفاتحين من بعدهم، **نقول:**

1- من الممكن أن تكون تلك الأصنام في أماكن نائية لم يصل إليها الصحابة والفاتحين من بعدهم، فإن فتح الصحابة لمصر مثلاً لا يعني وصولهم إلى كل مناطقها.
2- ومن الممكن أن تكون تلك الأصنام غير ظاهرة لهم، إما أنها كانت مطمورة بالتراب، وإما أنها كانت داخل بيوت عُبادها وكانت هذه البيوت مطمورة بالتراب في ذلك الوقت، ومن الممكن أن تكون قد أُكتشفت حديثًا، أو جيء بها من أماكن نائية لم يصل إليها أصحاب رسول الله محمد ﷺ، فقد كان هدي رسول الله محمد ﷺ الإسراع عند المرور على ديار الكُفار والنهي عن دخولها كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله محمد ﷺ لأصحاب الحجر[2]: "لاَ تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلاَءِ المُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ"[3]، فمن الممكن أن يكون هذا أحد أسباب عدم رؤية أو وصول الصحابة لتلك الأصنام.
3- ومن الممكن أن يكونوا قد رأوها ولاسيما الأصنام والتماثيل الكبيرة الضخمة، وتركوها لأنها ضخمة لا يستطيعون هدمها، والواقع يشهد أن بعض هذه الأصنام والتماثيل يعجز الصحابة رضي الله عنهم عن هدمها، ومما يدل على ذلك ما ذكره ابن خلدون أن الخليفة العباسي

([1]) النور: 51.

([2]) المقصود بها مساكن ثمود قوم صالح عليه السلام؛ صحيح البخاري، البخاري، الصلاة/ الصلاة في مواضع الخسف والعذاب، 94/1: رقم الحديث433.

([3]) صحيح البخاري، البخاري، الصلاة/ الصلاة في مواضع الخسف والعذاب، 94/1: رقم الحديث433.

هارون الرشيد (ت 193هـ-809م) عزم على هدم إيوان كسرى، ولكنه عجز عن هدمه لضخامته وقوته، وكذلك حدث مع الخليفة العباسي المأمون(ت 218هـ-833م) الذي أراد أن يهدم الأهرام في مصر فلم يستطع[1]، وعندما أراد تنظيم طالبان في (15 ذو الحجة 1421هـ-12 مارس 2001م)، بأمر من القائد الملا عمر، الذي كان يُعد بمثابة الرئيس الفعلي لأفغانستان آنذاك، بهدم تماثيل بوذا في أفغانستان، قام باستخدام الدبابات والمدافع والصواريخ لهدمه[2]، والتي لم تتوفر للصحابة آنذاك.

5- **حماية حجاج بيت الله الحرام وكسوة الكعبة:**

أدرك السلطان محمود عظم ومكانة مدينة مكة المكرمة عند الله سبحانه وتعالى وعند المسلمين وأهمية حماية حجاجها، ففي عامي (410-411هـ-1019-1020م)، توقف الحج[3]، فتوجه جماعة من الأعيان والعلماء إلى السلطان محمود في عام (412هـ-1021م)، وأخبروه بذلك وقالوا له أنت أعظم حُكام الإسلام، وأثرك في الجهاد مشهور، والحج قد توقف، والتشاغل به واجب، والثواب في فتح طريق الحج أعظم، فاجعل لهذا الأمر نصيبًا من اهتمامك، فأمر السلطان محمود قاضي قضاة بلاده أبي محمد الناصحي بأن يسير بالحجاج، ونادى في إقليم خراسان بالتأهب للحج، وتوجهوا للحج، وفي طريقهم قطع العرب طريقهم وحاصروهم بزعامة حِمَارُ بْنُ عُدَيٍّ[4]، ومعه ألف رجل[5]، فبذل لهم الناصحي خمسة آلاف دينار، فلم

([1]) ديوان المبتدأ والخبر، ج1، ص222، 432.

([2]) ذكرى تحطيم تماثيل بوذا في باميان، نسيم صابر، قنطرة (1429هـ-2008م)؛ بين تدمير تماثيل بوذا واجتثاث مسلمي الروهينغا... درس في النفاق الدولي، عبد الحميد صيام، القدس العربي (1438هـ-2017م).

([3]) وقد توقف موسم الحج إلى بيت الله الحرام أكثر من مرة، ففي عام (403هـ-1013م) لم يحج أهل إقليم خراسان، بسبب قطاع الطرق، وفي عام (416هـ-1025م) توقف الحج في بلاد العراق وخراسان، وكذلك عام (428هـ-1231م) توقف الحج وعادوا حجاج بيت الله الحرام من مكة المكرمة إلى العراق وبلاد الشام لصعوبة الطريق المعتاد؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص682، 691؛ مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، ج18، ص214.

([4]) لقد وردت بلفظ جماز بن عدي؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص245؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص14؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص255-256.

([5]) لم يذكر ابن الأثير، وسبط ابن الجوزي وابن كثير عددًا.

يقتنعوا، فرماه رجل من مدينة سمرقند يوصف بجودة الرمي يُعرف بابن عفان، بسهم فقتله، وتفرق أصحابه، وتابع الحجاج سيرهم فحجوا، وعادوا سالمين[1].

والجدير بالملاحظة مما سبق أن السلطان محمود كان مهتمًا اهتمامًا شديدًا بموسم الحج إلى بيت الله الحرام، من خلال العمل على حماية الحجاج من قُطاع الطرق، وتعيين أكابر وزرائه على رأس قافلة الحج، لإدراكه عظيم أجر حمايتها.

وقد ذكر علي الصلابي أن السلطان محمود من أول حُكام وسلاطين المسلمين الذين عملوا على حماية حجاج بيت الله الحرام، وكان السلطان السلجوقي جلال الدولة ملكشاه (ت 485هـ-1092م) أول من استن سنة حماية حجاج بيت الله الحرام لمن بعده من السلاطين، باستخدام العديد من الوسائل ومنها أنه بنى أحواض الماء على طريق الحجاز، ورفع المكوس ورسوم الحفاوة عن طريق الحج، وأقطع أمراء الحرمين نظير ذلك الإقطاعات والأموال، وتصدق وأنعم كذلك على سكان البادية من العرب المجاورين للكعبة المشرفة[2].

وإن ما يحتاجه حجاج بيت الله الحرام من خدمات ورعاية، يتعلق بأمور عديدة لعب الزمان دوره في شكلها ومضمونها، وإن كان بالمجمل يتعلق بتحقيق الأمان للحاج في نفسه، وماله وعرضه، وقد ورد في حديث ابن عمر أن رسول الله محمد ﷺ قال: "الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْحَاجُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ، وَالْمُعْتَمِرُ وفد الله، دعاهم فأجابوه"[3]، فحجاج بيت الله الحرام هم ضيوف الله سبحانه وتعالى، وحمايتهم هي شرف لكل مسلم.

واهتم السلطان محمود كذلك بكسوة الكعبة المشرفة[4]، ففي عام (466هـ-1074م)، قد جاء إلى مدينة مكة المكرمة رجل أعجمي يعرف بسلار وعلى رأسه عمامة سوداء وبين يديه

([1]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص668-669؛ مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، ج18، ص299؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص245؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص14؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص255-256.

([2]) صلاح الدين الأيوبي، ج1، ص285.

([3]) صحيح ابن حبان، البُستي، فضل الجهاد/ ذكر البيان بأن المجاهدين من وفد الله الذين دعاهم فأجابوه، 474/10: رقم الحديث 4613.

([4]) وكان من عادات حُكام الإسلام كسوة الكعبة المشرفة في مواسم الحج، وقد يختلف لون الكسوة من حاكم لأخر، فقد كساها أبى النصر الاسترابادى في عام (446هـ-1054م) باللون الأبيض، وكساها أحمد الناصر لدين الله أبو العباس باللون الأسود، وقد كساها الخليفة العباسي المأمون (ت218هـ-833م) باللون الأبيض، وكساها منصور بن ربيعه البغداد شيخ الحرم كسوة سوداء من القطن، وقد كسيت الكعبة المشرفة كسوه قصيرة

الطبول والبوقات من جهة السلطان السلجوقي جلال الدولة ملكشاه، بكسوة للكعبة مصنوعة من الديباج الأصفر[1]، وعليها اسم السلطان محمود، وهي من عمله وكانت مودعة بمدينة نيسابور من عهد السلطان محمود عند إنسان يعرف بأبو القاسم الدهقان[2].

6- الغضب لحرمة الإسلام:

كان السلطان محمود شديد الغضب لحرمة المسلمين، فعندما علم بهجوم جيش خوارزم بقيادة خمارتاش على جيشه الذي أرسله بقيادة محمد إبراهيم الطائى لفتح إقليم خوارزم ومحاربة أهل الفساد فيها، وهم منشغلون بصلاة الفجر وقتل منهم الكثير، فضاق صدره وغضب غضبًا شديداً وأرسل بعض جنوده لقتل خمارتاش فقتلوه[3].

وعندما كان مضطرًا لقتال المسلمين بهدف توحيد الجبهة الداخلية لدولته ولبلاد المسلمين، خاصة عندما سيطر على إقليم خراسان بعد القضاء على الدولة السامانية عام (389هـ-999م)، وعلى إقليم سجستان بعد القضاء على الدولة الصفارية في عام (393هـ-1002م)، واستقر له الأمر في تلك البلاد، أحب أن يغزو غزوة على بلاد الهند تكون كفارة لما كان منه من قتال المسلمين[4].

وعندما علم بأن حاكم مدينة تانيشر في بلاد الهند عام (405هـ-1015م) قد غال في الكفر والطغيان بحق المسلمين غضب غضبًا شديدًا وعزم على التوجه إليه لينتقم للمسلمين المستضعفين، وقد انتصر عليهم وفتح مدينتهم، وغنم ما معهم من أموال وفيلة[5].

فوق الكسوة القديمة باللون الأبيض والأسود في عام (775هـ-1374م)، وغيرهم الكثير من الخلفاء والسلاطين الذين عملوا على كسوة الكعبة المشرفة وبألوان مختلفة؛ التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، محمد الكردي، ج3، ص557-558.

([1]) ذكر السيوطي بأن كسوة الكعبة المشرفة كانت من زمن الخليفة العباسي المأمون (ت218هـ-833م)، إلى زمن الخليفة أحمد الناصر لدين الله (ت622هـ-1225م) بالديباج الأبيض، إلى أن جاء السلطان محمود وكساها ديباجًا أصفر؛ تاريخ الخلفاء، ص239.

([2]) النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج5، ص95؛ التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، محمد الكردي، ج3، ص557.

([3]) زين الأخبار، جرديزي، ص259.

([4]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص524؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج27، ص226؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص205.

([5]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص595.

7- **كره المعاصي والآثام:**

إن ارتكاب المعاصي والآثام سبب كل عناء، وطريق كل شقاء، فما حلت بديار إلا أهلكتها، ولا فشت في مجتمع إلا دمرتها، وإن ما يصيب الناس من ضر وضيق في أبدانهم وذريتهم وأرزاقهم وأوطانهم إنما هو بسبب معاصيهم وآثامهم وما كسبته أيديهم، لذلك كان السلطان محمود شديد الكره للمعاصي والآثام، ولا يحب منها شيئًا، ولا أن يسمع بها، ولا يسمح لأحد أن يظهر معصية في دولته[1].

وتتفق آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة على أن للمعاصي والآثام التي نهى عنها الله سبحانه وتعالى تأثيرات سلبية على الفرد والمجموع، فقد قال في كتابه الكريم: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾[2]، بالإضافة إلى أن المعاصي والآثام تؤدي إلى إضعاف القلب، وتُذهب النعم وتجلب النقم والمحن والفتن، وهلاك الأمم، كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿...**فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ**﴾[3].

وتأمل ما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء، وما حل بقوم نوح من الغرق، وما حل بقوم عاد، وما حل بقوم صالح، وما حل بقوم لوط، وما حل بفرعون وقومه وغيرهم الكثير، وهكذا تتوالى نذر الله سبحانه وتعالى على عباده المسرفين بارتكاب المعاصي والآثام، فقال في كتابه الكريم: ﴿**فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾[4]، فكم أهلك من الأمم بسبب عصيانهم وآثامهم.

إن هجر المعاصي والآثام من الأمور المهمة في حفظ المجتمع المسلم وصيانة دينهم، وتساعد على بناء الإنسان المسلم بناءً إسلاميًا صحيحًا ليكون قادرًا على بناء مستقبله ومستقبل بلاده، وخصوصًا أن أمتنا العربية والإسلامية تمر بمرحلة حرجة تحتاج فيها إلى تضافر قوى الخير لهجر المعاصي والآثام لبناء دولة قوية ومتماسكة.

---

(1) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص83.
(2) الشورى: 30.
(3) الأنعام: 6.
(4) العنكبوت: 40.

8- **الإخلاص في العمل:**

الإخلاص في العمل هو من الأمور المهمة في قيام الأمم ونهوضها، فقد عين السلطان محمود للإشراف على بناء المسجد الجامع في مدينة غزنة أحد رجاله لحث العاملين في بنائه بصدق العمل وتجنب حدوث أي إخلال أو تقصير[1].

وقد قال رسول الله محمد ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ"[2]، والمقصود بالإتقان هنا هو الإخلاص في العمل.

والعمل الصالح يأخذ بصاحبه إلى الجنة وينجيه في الدنيا والآخرة، ويزيد الحاكم قوة ومنعة، لقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَالْعَصْرِ(1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(3)**﴾[3]، وقال أيضًا: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا**﴾[4]، وقد أحسن أمير الشعراء أحمد شوقي عندما قال:

دَقَّاتُ قَلْبِ المَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ ... إِنَّ الحَيَاةَ دَقَائِقٌ وَثَوَانِي

فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ بَعدْ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا ... فَالذِّكْرُ لِلإِنْسَانِ عُمْرٌ ثَانِي[5].

ثانيًا: إقامة العدل:

لقد فطر الله سبحانه وتعالى العباد على محبة العدل، وجاءت به الرسالات السماوية، واتفقت على حسنه العقول الحكيمة، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾[6]، فالعدل خلق كريم، وصفة عظيمة، ومحببة إلى النفوس، وتبعث الأمل لدى المظلومين، وبها يسعد الناس، وتستقيم الحياة، وبالعدل تصاغ العلاقة في الدولة بين الحاكم والمحكوم، وبه تساس الرعية، وتُحفظ حقوقها.

([1]) اليميني، العتبي، ص415.

([2]) مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي، مسند أنس بن مالك/ مسند عائشة، 349/7: رقم الحديث 4386.

([3]) العصر: 1-3.

([4]) الكهف: 107.

([5]) قيمة الزمن عند العلماء، عبد الفتاح أبو غدة، ص114؛ موارد الظمآن لدروس الزمان، عبد العزيز السلمان، ج3، ص462؛ معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار ج1، ص332.

([6]) الحديد: 25.

حتى جعل القرآن الكريم إقامة العدل بين الناس هو هدف الرسالات السماوية كلها، فقال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾[1].

وقد جاء الإسلام لإخراج الناس من جور الأديان إلى عدل وسماحة الإسلام، فبالعدل قامت السماوات والأرض، واتصف الحق سبحانه وتعالى بها، القائل في كتابه الكريم: ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا**...﴾[2]، وبقدر ما أمر الإسلام بالعدل وحث عليه، حرم الظلم أشد التحريم، وقاومه أشد المقاومة، سواء ظلم النفس أو ظلم الآخرين، وبخاصة ظلم الأقوياء للضعفاء، وظلم الأغنياء للفقراء، وظلم الحكام للمحكومين، وكلما اشتد ضعف الإنسان كان ظلمه أشد إثمًا، وقد نفى الله سبحانه وتعالى عن نفسه الظلم وجعله بين عباده محرمًا، فقال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**...﴾[3]، وقال أيضًا: ﴿...**وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾[4]، وفي الحديث القدسي الذي يرويه أبو ذر الغفاري عن النبي محمد ﷺ فيما يرويه عن ربه: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا..."[5]، فالله سبحانه وتعالى عدل في أحكامه، ولا يقر الظلم، بل هو دائمًا مع الحق أينما كان، دون التفريق بين أحد صديقًا كان أو عدوًّا، ويأمر كذلك بالعدل حتى مع الكفار، فقال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿...**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ**...﴾[6]، لذلك فالعدل واجب على كل مسلم موحد.

وفي تقرير واضح وصريح لإحقاق العدل وتطبيقه حتى على أقرب المقربين، لقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ**...﴾[7]، وقال أيضًا: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ**

([1]) الحديد: 25.

([2]) الأنعام: 115.

([3]) النساء: 40.

([4]) آل عمران: 57.

([5]) المسند الصحيح، مسلم، البر والصلة والآداب/ تحريم الظلم، 1994/4: رقم الحديث 2577.

([6]) المائدة: 8.

([7]) النساء: 135.

أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا...﴾[1].

فقد حرص السلطان محمود طوال حياته على إقامة العدل حتى على أقرب المقربين منه، فعندما اشتكى له أحد رعيته يومًا بأن ابن أخته يعتدي على حرمة بيته ويخرجه منه ويختلي بزوجته، محتميًا بقرابته من السلطان، فلما سمع السلطان محمود بذلك غضب غضبًا شديدًا، ونذر ألا يأكل ولا يشرب حتى يأخذ بحق هذا الرجل الضعيف، وقال للرجل، متى جاءك فائتني وأخبرني، وفي يوم من الأيام هاجمه ذلك الشاب وأخرجه من بيته واختلى بزوجته، فذهب باكيًا إلى السلطان محمود فخرج معه بنفسه، وضبط ابن أخته وهو يزني بامرأة هذا الرجل قسرًا عنها، فأطفأ السلطان الضوء وقتله، فقال له الرجل: "بالله لم أطفأت الشمعة؟ قال: ويحك إنه ابن أختي، وإني كرهت أن أشاهده حالة الذبح"[2]، لقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: **﴿...وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾**[3].

فقد كان يرفض الظلم الواقع على رعيته ولو كان من أحد أقربائه، حتى يرتدع كل من تسول له نفسه أن يعتدي على حرمة الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله محمد ﷺ قال: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ..."[4]، قال أيضًا: "الخلق عيال اللَّه، وأحب الناس إلى اللَّه أشفقهم على عياله"[5].

فالعدل في الإسلام لا يتأثر بحب أو بغض، ولا يفرق بين قريب وبعيد، ولا بين كبير وصغير، ولا بين مسلم وكافر، فالعدل في الإسلام ميزان الله سبحانه وتعالى على الأرض، به يؤخذ للضعيف حقه، ويحفظ لصاحب الحق حقه، ويقتص المظلوم ممن ظلمه، فعن زهير بن حرب قال: قال رسول الله محمد ﷺ: "إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا"[6].

([1]) النساء: 58.

([2]) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص38.

([3]) المائدة: 42.

([4]) المسند الصحيح، مسلم، الزكاة/ فضل إخفاء الصدقة، 715/2: رقم الحديث 1031.

([5]) الفتح المبين بشرح الأربعين، أحمد أبو العباس، كثرة طرق الخير وتعدد أنواع الصدقات، ص456.

([6]) المسند الصحيح، مسلم، الإمارة/ فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، 1458/3: رقم الحديث 1827.

وعندما مرض السلطان محمود واقترب موعد وفاته ضبط أرسلان الحاجب أحد أمراء السلطان محمود أمور الدولة الغزنوية ضبطًا حسنًا، ونشر العدل بين الناس ولم يدع إنسانًا يتطاول على مقام إنسان آخر[1]، فمن العدل أن يتم اختيار البطانة الصالحة التي تحفظ حقوق الناس وتعمل على نشر العدل بينهم.

وقد كان السلطان محمود عادلاً حتى مع خصومه وأعدائه، فعندما قبض على الأمير السلجوقي أرسلان بن سلجوق وجيشه وسجنهم، استشار قادة جيشه فيما يفعل به، فأشار القائد أرسلان الجاذب، بأن يقطع أباهمهم لئلا يرموا بالنشاب، أو يغرقوا في نهر جيحون[2]، فقال له السلطان أنك قاسي القلب، وقرر أن ينفيهم ويفرق شملهم في إقليم خراسان[3].

وقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ(4) فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ(5)**﴾[4]، فإن الله سبحانه وتعالى ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة؛ ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة، والدنيا تدوم للعادل ولو كان كافرًا ولا تدوم للظالم ولو كان مسلمًا[5]، فالعدل ميزان كل شيء، وقد تنبه السلطان محمود لذلك فعمل على إرساء العدل في دولته وعلى رعيته، فاستحق نصر وتمكين الله سبحانه وتعالى له.

فللعدل بالغ الأثر في حياة المجتمعات البشرية، وله أهمية كبيرة في جلب النصر والتمكين:

1- فالعدل يصنع للدولة والحاكم هيبة ومكانة ومنعة، ويُقوم السلوك السياسي فيها.
2- ويؤدي كذلك لتطوير العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ويؤدي بالرعية إلى السمع والطاعة للحاكم، إذا وازن بين الحقوق والواجبات وأعطى كل ذي حق حقه، وكان يحرص على أن لا تضيع الحقوق في دولته، لتعم الطمأنينة بين رعيته.
3- والعدل يحد من بطش الأمراء وتسلطهم، وبالتالي يسود الأمن والأمان في البلاد وبين العباد.

---

(1) زين الأخبار، جرديزي، ص274.

(2) نهر جيحون: نهر عظيم في بلاد الهند والسند؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج2، ص196.

(3) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج8، ص7.

(4) الأعراف: 4-5.

(5) الخلاصة في شرح الخمسين الشامية، علي الشحود، ص335.

4- والعدل يولد –أيضًا- حالة من النشاط في الدولة، فيشجع على التنمية والتجارة والصناعة، لأن أرباب هذه القطاعات يعلمون أنهم في دولة قوية عادلة لا تضيع فيها حقوقهم، وهذا يعود على الدولة والمجتمع بالفائدة والتطور.
5- والعدل يشجع الرعية على البحث والتعلم، لأنه يضمن للأفراد الحصول على حقوقه الفكرية والعلمية.

وبسبب محاربة السلطان محمود للفرق الضالة والمذاهب والفرق الفاسدة في بلاد المشرق الإسلامي، جعلت كثيرًا من مؤرخيهم ينتقصون من قدره وينسبون إليه بعض الصفات الذميمة والأكاذيب الباطلة فقد ذكر ابن الأثير أن السلطان محمود كان يحب جمع الأموال ولو من غير حقها، فبعد أن بلغه أن أحد رجال مدينة نيسابور كثير المال، فأحضره إلى مدينة غزنة وقال له: بلغنا أنك قرمطي (إحدى فرق الشيعة)، فقال: لست بقرمطي، وخذ من مالي ما تشاء وأعفنى من هذا الاسم، فأخذ منه المال(1)، ويذكر ابن الجوزي أن السلطان محمود دخل يوماً على الواعظ عثمان النيسابوري وقال له قد ضاق صدري، فقال له الواعظ النيسابوري لقد بلغني أنك تأخذ أموال الضعفاء فكف عن ذلك(2)، وقد ذكر الذهبي أيضًا: "ولولا ما في السّلطان محمود من البِدْعة لَعُدَّ من ملوك العدْل"(3).

وهذه تهم باطلة تتنافى مع سيرة وحياة السلطان محمود، وتدحض هذه الأقوال من عدة وجوه:

1- لا يعقل أن يصدر تصرف كهذا من السلطان محمود وهو الموصوف بكثرة العدل والإحسان إلى رعيته(4)، وقد شهد بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في حديثه عن فتوحات السلطان محمود في بلاد الهند، بأنه نشر من العدل ما لم ينشره أحد مثله(5).
2- وهو الذي أنفق الكثير من الأموال عندما ضرب القحط الشديد إقليم خراسان في عام (401هـ-1011م)، وانقذ حياتهم(6)، وهو الذي رفض الأموال العظيمة التي عرضها عليه ملوك بلاد الهند بهدف ترك صنم الهند الأعظم سومنات عندما أراد أن يهدمه فرفض وأصر

(1) الكامل في التاريخ، ج7، ص734.
(2) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج15، ص173.
(3) تاريخ الإسلام، ج29، ص72.
(4) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص734؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص37.
(5) مجموع الفتاوى، ج41، ص22.
(6) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص10.

على هدمه في عام (416هـ-1025م)[1]، فلو كان يحب المال كما يدعي البعض لقبل بما عرضه عليه ملوك بلاد الهند من أموال عظيمة، وغيرها من النماذج الكثيرة من سيرة السلطان محمود.

3- ويؤكد الباحث على ضرورة عدم الحُكم على أي حدث تاريخي دون تدقيق وتمحيص للمعلومات الواردة، لأن ظروف الحادثة لا نعلمها يقينًا ومن الممكن أن يكون هناك تزوير للأحداث بغرض التشويه أو الانتقاص من شخصية السلطان محمود والافتراء عليه، فعصر السلطان محمود عصر كثر فيه أهل البدع والضلالة والذين لاقوا من السلطان محمود العذاب الشديد، إضافة إلى أن عصره كذلك كان عصر فتوحات وغزوات ونشر للإسلام، ولا يعقل أن يصدر منه مثل هذه التصرفات.

---

(1) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص28؛ شذرات الذهب، ابن العماد، ج5، ص90.

المبحث الثاني:
إحياء ونشر الدعوة الإسلامية

أولاً: محاربة أهل البدع والضلالة:

بعد أن أقام السلطان محمود العدل ونشره في أرجاء دولته، سار على منهج السنة النبوية والسلف الصالح في إحياء ونشر الدعوة الإسلامية ونشر السنة النبوية المشرفة، ومحاربة أهل البدع والضلالة المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة وتعاليم الدين الصحيح، في بلاد المشرق الإسلامي، لتوحيد الصف، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(104)**﴾[1]،

فقد عمل السلطان محمود على الأتي:

1- محاربة الفرق الضالة[2]:

إذا لم يُغير الناس ما بأنفسهم فإن النصر والتمكين قادم بعد أن يستبدلهم الله بجيل يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله سبحانه وتعالى ولا يخافون لومة لائم، ويحققون أسباب النصر والتمكين والتغيير فيشرفهم الله بنصره المبين، ويدفع بهم فساد المفسدين، ويعذب بأيديهم الكافرين، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿...**وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم**﴾[3].

لذلك امتثل السلطان محمود أمر الخليفة العباسي القادر بالله، لمحاربة الفرق الضالة والمذاهب الفاسدة والخارجة عن الإسلام، لمخالفتهم تعاليم الإسلام الصحيحة بعد أن استتابهم

---

(1) آل عمران: 103- 104.

(2) ومن صفات هؤلاء الفرق الضالة والمذاهب الفاسدة أنهم لا يقيمون الصلاة، ولا يؤتون الزكاة، ولا يعترفون بشعائر الإسلام الصحيحة، ولا يميزون بين الحلال والحرام، ويجاهرون بقذف وشتم الصحابة، ويعتقدون ذلك ديانة، وبعض فرقهم لا يؤمنون بالله سبحانه وتعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ وقد رجع السلطان محمود إلى العلماء الفقهاء في التعرف على أحوالهم ومعتقداتهم، فاتفقوا على أن هؤلاء الفرق أهل فساد وعناد وخارجون عن الطاعة، ويجب محاربتهم وقتلهم، ويعتقدون مذهب الإباحة في الأموال والفروج والدماء، ويدعون الإسلام بإعلان الشهادة، ثم يجاهرون بترك الصلاة والزكاة والصوم والغسل، وأكل الميتة، ومن هذه الفرق: المعتزلة والرافضة والإسماعيلية والقرامطة والجهمية والمشبهة؛ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج15، ص126، 195؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص267.

(3) محمد: 38.

في عام (408هـ-1017م) ولم يتوبوا، فأحل فيهم القتل وأنزل بهم العذاب وحبس بعضهم ونفى البعض الآخر منهم، وأمر بلعنهم على المنابر[1].

وكان يسكن في بلاد جبال الغور، قوم من أهل البدع والضلال الخارجين عن الإسلام وقطاع الطرق الذين يتحصنون بتلك الجبال العالية والوعرة، مستغلين صعوبة مسلكها، فقد هم السلطان محمود أمرهم وصمم على محاربتهم، ورفض أن يكون مثل أولئك المفسدين جيرانه، وهم على هذه الحال من الفساد والكفر، فجهز جيشه وتوجه لقتالهم في عام (401هـ-1011م)، وأبادهم قتلاً وأسرًا، وتمكن من أسر زعيمهم ابن سورى، وفتح مدينتهم وقلاعهم، وأمر بإقامة شعائر الإسلام فيها وصدحت المنابر بكلمة التوحيد، ولعظم ما حل بممالك ابن سورى، شرب السم في سجنه ومات وخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين[2].

وإن إنزال أقصى العقوبات بالفرق الضالة والمذاهب الفاسدة هو أفضل حل لمنعهم من نشر فكرهم وضلالتهم قبل أن يتكاثروا، وليتعظ منهم كل من يحاول تشويه صورة الإسلام الصحيحة، وهذا دأب السلف الصالح وخير مثال على ذلك ما فعله خليفة رسول الله محمد ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما حاول بعض المسلمين أن يتوقفوا عن دفع الزكاة فلو تركهم لأصبح ذلك سنة في الإسلام ولكنه حاربهم واستأصل جذورهم، وعندما أراد الناصر صلاح الدين الأيوبي تحرير بيت المقدس من الصليبيين عمل على توحيد الجبهة الداخلية للمسلمين على كلمة رجل واحد.

وعندما علم السلطان محمود بخبث اعتقاد وإلحاد أبو الفتوح والي إقليم المولتان في بلاد الهند، وأنه قد دعا أهل ولايته إلى ما هو عليه، فأجابوه، توجه لمحاربته، وضرب عليهم الحصار، إلى أن تمكن من اقتحامها وفتحها[3].

وفي بلاد الري[1] كان يؤمها الكثير من أصحاب الفرق الضالة، والمخالفة لكتاب الله سبحانه وتعالى والسنة النبوية المشرفة، والذين يتجاهرون بشتم الصحابة، بقيادة الأمير مجد

([1]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص28؛ مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، ج18، ص264؛ العبر في خبر من غبر، الذهبي، ج2، ص215؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص8؛ شذرات الذهب، ابن العماد، ج5، ص50.

([2]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص570-571؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج27، ص245-246.

([3]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص541.

الدولة رستم بن علي الديلمي بن بويه[2]، فأرسل إليهم السلطان محمود في عام (420هـ-1029م) غالب الحاجب أحد قادته على رأس جيشه لمحاربتهم، وسيطر على مدينتهم دون تعب أو نصب، وقبض على قائدهم الأمير مجد الدولة رستم الديلمي بن بويه وعلى رؤوس الفرق الضالة والمذاهب الفاسدة في جيشه معترفين بذنوبهم، وشاهدين بالكفر والرفض، وأكثر فيهم قتلاً ذريعًا، وصلبًا شنيعًا، ورجموهم بالحجارة، ونفى بعضهم إلى إقليم خراسان مقيدين حتى ماتوا في سجونه، وأحرق كتبهم، وصادر أموالهم التي ادخروها من سنين طويلة والتي لا تعد ولا تحصى[3]، فخلت هذه البقعة من دعاة الفرق الضالة والمذاهب الفاسدة، وانتصرت السنة.

ولما انتهى من القضاء على الفرق الضالة والمذاهب الفاسدة في بلاد الري، منع جميع الفرق والمذاهب فيها من الكلام على المنابر، غير مقدم أهل السنة الحافظ أبي حاتم بن حاموش[4]، ومن دخل بلاد الري من أصحاب الفرق والمذاهب الأخرى يعرض اعتقاده على أبي حاتم، فإما يسمح له بالكلام مع الناس وإما أن يمنعه[5]، وذلك منعًا للجدل والمشاحنة، التي تؤدي لجلب الضعف والهزيمة للدولة، فإن الاتحاد وتوحيد الكلمة يؤدي إلى وحدة الصف والكلمة، فلم يكن السلطان محمود متسلطًا على العلماء وأصحاب المذاهب الأخرى، وإنما كان

([1]) بلاد الري، هي بلاد مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات، وهي أهم مدن إقليم الجبال (إيران الحالية)؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج3، ص116.

([2]) ذكر الفقهاء بأن الأمير البويهي مجد الدولة بن بويه كان يملك أكثر من خمسين امرأة من الحرائر ولدن له ثلاثة وثلاثين ولدًا من الذكور والإناث، وحين سئل عن ذلك وأنه تجاوز حد المستباح له في عدد الزوجات، قال أن هؤلاء النساء زوجاته، وأن أولادهن أولاده، وأنه لم يخالف عادات أسلافه، فقد كانوا يرون إباحة ذلك، وقد وجد عنده من المال والجواهر ما يقارب خمسمائة ألف دينار، ومن النقد على مائتين وستين ألف دينار، ومن الذهب والفضة على ما بلغ قيمته ثلاثين ألف دينار، ومن أصناف الثياب على خمسة آلاف وثلاثمائة ثوب؛ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج15، ص195-196؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص711؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص266؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص33.

([3]) زين الأخبار، جرديزي، ص273؛ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج15، ص194-196؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص710-711؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص266-267؛ الوافي بالوفيات، الصفدي، ج14، ص81؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص33.

([4]) وفي أحد الأيام دخل رجل بلاد الري فسأله أحد أهلها عن مذهبه، فقال له أنا حنبلي، فقال هذا مذهب لم اسمع به من قبل وهذا بدعة، فأرسله إلى مجلس الحافظ أبي حاتم ليشتكي عليه بأن مذهبه يخالف مذهب الدولة الغزنوية، فقال له الحافظ أبي حاتم اتركه، فكل من لم يكن حنبليًا فليس بمسلم؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج33، ص57-58.

([5]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج33، ص58.

يرفض العلم الذي يقوم على الجدل والسفه، والتمسك بمنهج الإسلام الصحيح والسنة النبوية الشريفة.

وبعد انتهاء السلطان محمود من بلاد الري توجه في نفس العام إلى منطقة قزوين وقلاعها ساوة وآوة ويافت وفتحها، وقتل من بها من الفرق الضالة والمذاهب الفاسدة ونفاهم وأحرق كتبهم[1].

ويذكر خالد علال أنه حدث في التاريخ الإسلامي عدة وقائع أُحرقت فيها كُتب المخالفين تعصبًا عليهم وانتصارًا لمذاهبهم، ومنها: ما حدث لكُتب أبي محمد بن حزم الأندلسي[2]، بسبب الخصومة التي كانت بينه وبين فقهاء مذهب المالكية بالأندلس والتي جعلتهم يحرقون كتبه، وكذلك ما حدث لكُتب الفرق الضالة والمذاهب الفاسدة ببلاد الري عام (420هـ-1029م)، بعد أن أظهر هؤلاء الكفر البواح، وسبوا الصحابة، واستحلوا المحرمات، فتصدى لهم السلطان محمود، وشردهم وقتلهم، وأحرق كتبهم، وهذا تعصب للحق وليس للباطل، لأن ما أظهره هؤلاء الضالون هو خطر على دين الإسلام وأمته، فأصبح من الواجب عليه التصدي لهم وقتالهم، وكذلك ما حدث لكتب حجة الإسلام أبي حامد الغزالي (ت505هـ-1111م) ببلاد المغرب الإسلامي في عهد دولة المرابطين (451-541هـ/1059-1146م)، بعد أن أمر بإحراقها السلطان علي بن يوسف بن تاشفين، ويبدوا أنهم فعلوا ذلك لما وجدوا فيها من مقالات كلامية وأشعرية وفلسفية وصوفية، تخالف ما هم عليه من مذهب السلف وأهل الحديث، وغيرها من الحوادث[3].

ويقول خالد علال أيضًا وفيما يخص الحكام المتعصبين للمذهب، نذكر منهم السلطان صلاح الدين الأيوبي (ت589هـ-1193م)، فقد كان شافعي الفروع أشعري الأصول، وقد

([1]) ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص638.

([2]) ابن حزم الأندلسي: هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، صاحب مذهب الحزمية وكان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، وقد ولد بمدينة قرطبة في عام (384هـ-994م)، وكان حافظًا فقيهًا، مستنبطًا للأحكام من الكتاب والسنة، وقد درس مذهب الإمام الشافعي وتعمق في دراسته وتعصب له، ثم انتقل إلى مذهب الظاهرية، ودرس فقه المالكية، وقد اتخذ لنفسه بعدها مذهبًا خاصًا وآراء تفرد بها، وقد توفي في عام (456 هـ- 1064م)؛ جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي، ص3.

([3]) التعصب المذهبي في التاريخ، ص160-163.

انتصر لهذين المذهبين انتصارًا كبيرًا وتعصب لهما على حساب مذاهب الطوائف الأخرى[1]، ومن مظاهر التعصب المذهبي في الحياة السياسية لبعض الدول الإسلامية، ذكر منها: تمذهب الدول الإسلامية وتعصبها لمذاهبها، وتعصب الطبقة الحاكمة لمذاهبها، وتمذهب جهاز القضاء وتعصبه، واستخدام الطوائف المذهبية للسلطة خدمة لمذاهبها[2].

ولا شك أن انتشار البدع والضلالة والمذاهب الفاسدة تجلب للأمة الهزائم والويلات، وتنسيها الأخذ بأسباب النصر والتمكين والقوة والعلم، لركونها إلى الأوهام والجهل، والفتن والقلاقل تثير العامة وتحرفهم عن منهج الله سبحانه وتعالى، لذلك لم يتوانَ السلطان محمود عن محاربتهم والقضاء عليهم.

2- مخالفة دعوة الدولة الفاطمية (الشيعية):

لقد تفطن السلطان محمود منذ البداية لمحاولات الدولة الفاطمية التقرب منه، وعلم أن العقيدة السليمة هي التي ترضي الله سبحانه وتعالى وتجلب نصره وتجعل المسلم يضحي بالغالي والنفيس من أجلها، فقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ(24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ(26) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ(27)**﴾[3]، وإن الانحراف عن أصول العقيدة الثابتة كفر، فقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ...**﴾[4]، وكذلك تجلب الخسران والبوار في الدنيا والآخرة.

فقد حاولت الدولة الفاطمية التقرب من السلطان محمود بعد أن عظمت دولته في بلاد المشرق الإسلامي، من خلال إرسال الخُلع والهدايا ورسائل المودة لكسب وده ودعوته لطاعتهم، وإتباع مذهبهم الباطل، فكان السلطان محمود يبصق فيها ويحرقها[5]، فقد كان الحاكم الفاطمي الحاكم بأمر الله (ت411هـ-1021م) يحاول كثيرًا التقرب من السلطان محمود دون جدوى،

([1]) التعصب المذهبي في التاريخ، ص222.

([2]) المرجع السابق، ص216.

([3]) إبراهيم: 24-27.

([4]) الزمر: 7.

([5]) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص37.

فلما توفي تولى حكم الدولة الفاطمية ابنه الظاهر لإعزاز دين الله[1]، الذي أراد تحقيق حلم أبيه في التقرب من السلطان محمود، فأحب في عام (411هـ-1021م)[2] أن يكتب للسلطان محمود كتابًا ويرسل إليه الخُلع، ويدعوه إلى طاعته وإتباع مذهبهم الباطل، وأن يخطب باسمه في بلاد المشرق الإسلامي، فلم يهتم السلطان محمود لكتابه، وبعث به وبالخُلع التي أرسلها إلى الخليفة العباسي القادر بالله في بغداد وتبرأ من الظاهر لإعزاز دين الله، وجمع الخليفة القضاة والأشراف والجند وغيرهم في بغداد، وأخرج الخُلع وأحرقها وسبك الذهب، وحولها إلى خمسمائة وأربعون ألف دينار وتصدق بها على الضعفاء[3].

ولما جاء الداعي الفاطمي التاهرتي من مصر على السلطان محمود يدعوه سرًا إلى مذهب الباطنية والدعوة الفاطمية، فهم السلطان محمود خبث ما كان يدعو إليه، وبطلان ما حثه عليه، فأمر بقتله وأهدى بغله إلى شيخ مدينة هراة القاضي أبي منصور محمد بن الأزدي الشافعي، وقال: "كان هذا البغْل يركبه رأس الملحدين، فلْيَرْكَبْه رأسُ الموحّدين"[4].

ولقد أعطى السلطان محمود اهتمامًا بالغًا لأمر الدولة الفاطمية، فليس من الحكمة أن يسمح أو يتهاون مع مثل هؤلاء المبتدعة لنشر الفتن والمذاهب الفاسدة في دولته، في الوقت الذي يقوم بمحاربة أصحاب الفرق المبتدعة والضالة.

([1]) الظاهر لإعزاز دين الله: هو الظاهر لإعزاز دين الله أبو هاشم، وقيل: أبو الحسن، علي بن الحاكم بأمر الله أبى علي منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد بن المنصور إسماعيل بن القائم محمد بن المهدي عبيد الله العبيدي الفاطمي المغربي الأصل، المصري المولد والمنشأ والوفاة، وهو رابع حكام الدولة الفاطمية في مصر، ولد في مدينة القاهرة في ليلة الأربعاء (10 رمضان 395هـ- 21 يونيو 1005)؛ وتولى حكم الدولة الفاطمية بعد مقتل أبيه الحاكم بأمر الله في عام (411هـ-1021م)؛ وقال سبط ابن الجوزي في كتابه تولى حكم الدولة الفاطمية يوم عيد الأضحى، وكان يبلغ من العمر ست عشرة سنة وثمانية أشهر؛ مرآة الزمان، ج18، ص404؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص247.

([2]) ذكر سبط ابن الجوزي وابن كثير أنه قد كاتب السلطان محمود في عام (415هـ-1024م)؛ مرآة الزمان، ج18، ص318؛ البداية والنهاية، ج12، ص22.

([3]) مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، ج18، ص318؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص22؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص251.

([4]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص71-72.

3- دحض ادعاءات ابن فُورَك[1]:

كان السلطان محمود شديد التعامل مع أصحاب الآراء والأفكار الضالة، ولا يسمح لأحد داخل الدولة الغزنوية أو خارجها كبيرًا كان أو صغيرًا أن ينشر أو يبث البدع والضلالة بين الناس.

فقد كان السلطان محمود على عقيدة السلف الصالح خاصة في باب الأسماء والصفات وله مناظرة شهيرة مع كبير فرقة الأشاعرة (إحدى الفرق المبتدعة) في وقته الفقيه المتكلم أبو بكر بن فورك والتي جرت بينه وبين محمد بن الهيضم في مسألة العرش، فمال السلطان محمود إلى قول ابن الهيضم، ونقم على ابن فورك كلامه، وأمر بطرده[2].

وقد قتله السلطان محمود في عام (406هـ-1015م)، بالسم بعد أن تطاول على رسول الله محمد ﷺ، بقوله: "كان رسول الله ﷺ رسولاً في حياته فقط، وإن روحه قد بطل وتلاشى، وليس هو في الجنة عند الله تعالى (يعنى روحه)"[3]، وقد زعم أن هذا هو قول جميع الأشعرية[4].

وفي رواية أخرى قال أبو علي بن البناء: "حكى عليّ بن الحُسين العُكْبَرِيّ أنّه سمع أبا مسعود أحمد بن محمد البَجَليّ قال: دخل ابن فُورَك على السُّلطان محمود فقال: لا يجوز أن يوصف الله بالفَوْقيّة، لأنه يلزمك أن تَصِفَه بالتَّحْتيّة، لأن من جاز أن يكون له فوق، جاز أن يكون له تحت، فقال السّلطان: ليس أنا وصفته حتّى تُلْزِمَني. هو وصف نفسه، فبُهِت ابن فُورَك. فلمّا خرج من عنده مات، فيقال: انشقّت مرارته"[5].

([1]) أبو بكر ابن فورك: هو المتكلم والأصولي والأديب والنحوي والواعظ الأصبهاني محمد بن الحسن بن فورك، كان رجلاً صالحًا، درس العلوم في بلاد العراق، ثم توجه إلى بلاد الري، وأقام في مدينة نيسابور وبنى له بها مدرسة ودارًا، وله تصانيف كثيرة بلغت مصنفاته في أصول الفقه والدين ومعاني القرآن ما يقارب مائة مصنف، وقد دعي إلى مدينة غزنة، ثم عاد إلى مدينة نيسابور فسم في الطريق فمات ونقل إليها ميتًا ودفن فيها في عام (406هـ-1015م)؛ وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج4، ص272؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج17، ص214-215؛ شذرات الذهب، ابن العماد، ج5، ص42-43.

([2]) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص38.

([3]) النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص240.

([4]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص148.

([5]) المصدر السابق، ج29، ص73.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأظهر السلطان محمود لعنة أهل البدع على المنابر وأظهر السنة وتناظر عنده ابن الهيضم وابن فورك في مسألة العلو فرأى قوة كلام ابن الهيضم فرجح ذلك"[1].

ويتبين للباحث من هذه المناظرة مدى تمسك السلطان محمود بالأثر، وأنه لم يتهاون مع ابن فورك لأن نشر البدع والضلالة بين المسلمين أعظم من الكفر نفسه، على الرغم من أنه عالم وفقيه ومتكلم، ولم يتهاون معه لكبر سنه، لأن فكر الكبير سيصل إلى الصغير، فالحمد لله أن وفق السلطان لقتل ابن فورك قبل أن يضل المسلمين ويردهم عن دينهم وينشر بينهم البدع والضلالة، ويتعظ به غيره ويكون عبرة لهم، والتاريخ الإسلامي مليء بمثل هؤلاء الضلاليين والمبتدعة، كمحمد بن تومرت الذي ظهر في دولة الموحدين في بلاد المغرب الإسلامي زمن السلطان المنصور الموحدي (580-595هـ/1184-1199م) وبدأ بنشر فكره ومنهجه الباطل بين الناس فقبض عليه السلطان المنصور الموحدي وقتله[2].

فقد كان السلطان محمود يكره البدع وأهلها والفرق الضالة بأسرها، لذلك فقد أزال من كل البلاد التي فتحها في بلاد المشرق الإسلامي كل أثر للاعتقادات الباطلة والفرق المبتدعة الضالة والمذاهب الفاسدة، وعمل على نشر الإسلام الصحيح، وانتصر لعقيدة السلف الصالح.

ومما لا شك فيه أن محاربة البدع والضلالة والمذاهب الفاسدة وأصحابها يجلب نصر وتمكين الله سبحانه وتعالى للأمة، ويثبت عقيدة التوحيد الحق في قلوب الناس والتي بها نجاتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة، وحتى لا تفسد عقائد حديثي الإسلام في تلك البلاد، فكم دجال خرج وأهلك وراءه أممًا ببدعه وضلالته، وقد صدق رسول الله محمد ﷺ حينما قال: "لَيَكُونَنَّ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ، وَكَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ أَوْ أَكْثَرُ"[3].

ثانياً: نشر الإسلام:

بعد أن حارب السلطان محمود الفرق الضالة والمذاهب الفاسدة وقضى عليها تفرغ لنشر الإسلام، وإحياء السنة النبوية المشرفة في بلاد المشرق الإسلامي، بعد ان أحيا السلطان محمود السنة النبوية المشرفة في نفسه، تم انطلق لإحيائها ونشرها في البلاد وبين العباد في البلاد

([1]) درء تعارض العقل والنقل، ج6، ص253.

([2]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج8، ص657-658؛ نفح الطيب، المقري، ج4، ص66.

([3]) مسند الإمام أحمد، ابن حنبل، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، 188/5: رقم الحديث 5694.

المفتوحة، فالفكرة قبل أن تحيا في المجتمعات وتستنشق روحها الأمم لا بد أن تتأصل في صاحبها، فقد ذكر ابن عجيبة "ولا شك أن الوعظ من المخلصين وأهل القلوب، أشد تأثيرًا من غيرهم، فإن الكلام إذا خرج من القلب وقع في القلب، وإذا خرج من اللسان حده الآذان، وفي الحكم تسبق أنوار الحكماء أقوالهم، فحيث ما صار التنوير وصل التعبير، فأهل النور تسري أنوارهم في الجالسين قبل أن يتكلموا، وربما انتفع الناس بصمتهم، كما ينتفعون بكلامهم"(1).

فقد اشتهر السلطان محمود بعقيدته القوية وحبه لنشر الإسلام الصحيح والسنة النبوية الشريفة، إلى جانب شهرته العسكرية، ورعايته للعلوم والآداب، وكان عالمًا في الفقه(2)، وكان معظمًا للسنة على طريقة أهل الحديث، وقد أثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: كانت الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود من أفضل دول الإسلام في ذلك الزمان، فقد كان الإسلام في دولته أعز، وكانت السنة النبوية في أيامه ظاهرة والبدع في أيامه مقموعة(3).

وكان السلطان محمود في بداية أمره من أتباع المذهب الحنفي ثم أصبح من أتباع المذهب الشافعي، فقد ذكر إمام الحرمين الجويني(4)، أن السلطان محمود كان على مذهب الإمام أبي حنيفة وكان مولعًا بعلم الحديث، يسمع من العلماء والفقهاء ويستفسر منهم الأحاديث، فوجد أكثرها موافقاً لمذهب الإمام الشافعي، فأحب مذهب الإمام الشافعي، فجمع العلماء والفقهاء من كلا المذهبين في مدينة مرو، لترجيح أحد المذهبين على الآخر، فوقع الاتفاق فيما بينهم على أن يصلوا أمام السلطان محمود بكلا المذهبين، لينظر فيها السلطان ويتفكر، ويختار أي المذهبين أصح وأفضل، فصلى الإمام القفال ركعتين بطهارة مسبغة وشرائط معتبرة من الطهارة والسترة واستقبال القبلة على مذهب الإمام الشافعي، ثم صلى ركعتين على مذهب الإمام أبي حنيفة، ولبس جلد كلب مدبوغ، ولطخ ثيابه بالنجاسات، وتوضأ بنبيذ التمر، فاجتمع عليه الذباب والبعوض، ثم استقبل القبلة، وأحرم بالصلاة من غير نية للوضوء، وكبر

---

(1) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ج7، ص34-35.

(2) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص734؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص273.

(3) مجموع الفتاوى، ج4، ص22.

(4) الإمام العلامة أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله إمام الحرمين الجويني الشَّافعي النيسابوري من أعظم مفكري مدينة نيسابور وكان إمام عصره، وهو شيخ الإمام الغزالي، وقد كان أصوليًا، ومتكلمًا، وأديبًا، ومحققًا، وقد حج إلى بيت الله الحرام ومكث بمكة أربعة أعوام، يدرس ويفتي فيها، فلقب بإمام الحرمين؛ مرآة الجنان، اليافعي، ج3، ص24؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص72؛ سلم الوصول إلى طبقات الفحول، حاجي خليفة، ج2، ص305.

بالفارسية، ثم نقر نقرتين كنقرات الديك، وتشهد وضرط في آخره من غير نية السلام، وقال للسلطان محمود هذه صلاة الإمام أبي حنيفة، فقال له إن لم تكن هذه صلاة الإمام أبي حنيفة قتلتك، لأن مثل هذه الصلاة لا تجوز، فأنكرت الحنفية أن تكون هذه صلاة الإمام أبي حنيفة، فأمر القفال بإحضار كتب الإمام أبي حنيفة، وأمر السلطان محمود نصرانياً أن يقرأ عليه مذهب الإمام أبي حنيفة، فوجد الصلاة على مذهب الإمام أبي حنيفة كما فعل القفال، فأعرض السلطان محمود عن مذهب الإمام أبي حنيفة، وتمسك بمذهب الإمام الشافعي[1].

وما أورده الذهبي واليافعي فيما سبق من قصة صلاة الإمام القفال أمام السلطان محمود ليس لها صحة؛ من عدة وجوه:

1- إن السلطان محمود كان منذ نشأته قد برع في الفقه وكان معدودًا من العلماء وصنف كتبًا في فقه المذهب الحنفي[2]، لذلك لا يحتاج إلى من يعلمه كيفية الصلاة على مذهب أبي حنفية أو المذاهب الأخرى، فمن البديهي أن يكون السلطان محمود عالمًا على الأقل بكيفية صلاة كل مذهب من المذاهب الأربعة.
2- وإن الدارس لسيرة الإمام القفال يعلم جيدًا بأنه من المستبعد أن يقع عالم كبير كالقفال بمثل هذه القبائح من كشف العورة والضراط في الملأ وتحكيم رجل نصراني في قراءة كتب مذهب الإمام أبو حنيفة والافتراء عليه، فهذا كله أخبار موضوعة ومنسوبة للإمام القفال من أهل البدع والضلالة وأهل التحامل والتعصب.
3- وعندما قرر الخليفة العباسي القادر بالله تولية رجل من أصحاب المذهب الشافعي منصب القضاء في العراق، وكان هذا المنصب حكرًا على أصحاب المذهب الحنفي، اعترض أصحاب المذهب الحنفي على قرار الخليفة فسخط عليهم، وقد وصل الخبر للسلطان محمود بذلك وكان وقتئذ على المذهب الحنفي، فما أعجبه ذلك[3]، وهذا أيضًا يدل على بطلان ما جاء في الرواية السابقة.

([1]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص72؛ مرآة الجنان، اليافعي، ج3، ص19-20.

([2]) النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص273.

([3]) مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، ج18، ص190.

وكان السلطان محمود أيضًا على رأي الكرامية[1] في الاعتقاد[2]، فعظم أمر أهل السنة والجماعة في أيامه وقويت شوكتهم في مواجهة أصحاب الفرق الضالة والمذاهب الفاسدة.

وتعددت حملات وفتوحات الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود والذي عمل جاهدًا في كل مرة أن يحقق نصرًا ويضيف إلى دولته رقعة جديدة ويغنم غنائم عظيمة، ويهدم بيوت الأصنام ويقيم بدلاً منها مساجد الإسلام، ويترك عندهم من يعلمهم تعاليم الدين وشرائعه، من خلال جهاده المتواصل في سبيل الله سبحانه وتعالى دون كلل أو ملل لفتح بلاد الشرك ونشر الإسلام فيها، من شدة حرصه على دخولهم في الإسلام، وكذلك نصر الإسلام وتثبيته في البلاد المفتوحة.

فقد مد نفوذه على بلاد الهند مدفوعًا في ذلك بعامل الجهاد الديني والرغبة في نشر الإسلام بين أهلها، وقد بلغت فتوحاته في بلاد الهند حدًا لم تبلغه رايات الإسلام من قبل، ودخلت في دين الله أفواج عديدة من أهل بلاد الهند، وكانت فتوحاته من أكبر أسباب انتشار الإسلام فيها[3].

وعندما غزا السلطان محمود إقليم كشمير في بلاد الهند في عام (407هـ- 1016م) أسلم صاحبها، تم توجه إلى حصن هودت، أحد ملوك الهند، فارتعب من جيش الدولة الغزنوية، وعلم أنه لا ينجيه إلا الإسلام، فأسلم هو ومن معه[4]، وفي عام (410هـ-1019م) افتتح السلطان محمود بلاد الهند، وأسلم نحو من عشرين ألفاً من عباد الأوثان[5]، وعندما غزا بلاد الهند في عام (411هـ-1020م) توجه لوادي قيرات، ووادي نور، فأسلم كثير منهم، وبدؤوا في تعلم شرائع الدين والعمل بها، وانتشر الإسلام بينهم[6].

([1]) الكرامية: هي فئة من فرقة المرجئة، والتي تنسب إلى شيخ الطائفة الزاهد أبي عبد الله محمد بن كرام السجستاني؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص69.

([2]) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص38.

([3]) مرآة الجنان، اليافعي، ج3، ص18؛ شذرات الذهب، ابن العماد، ج5، ص56؛ نزهة الأنظار، محمود مقديش، ج1، ص300-301.

([4]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص612-613؛ تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، ج1، ص317.

([5]) مرآة الجنان، اليافعي، ج3، ص18؛ العبر في خبر من غبر، الذهبي، ج2، ص217؛ شذرات الذهب، ابن العماد، ج5، ص56.

([6]) زين الأخبار، جرديزي، ص263.

وكان السلطان محمود كلما فتح من بلاد الهند فتحًا، وهدم صنمًا يقول الهنود إن هذه الأصنام قد سخط عليها سومنات، ولو أنه راض عنها لأهلك من يقصدها بسوء، فلما وصل الخبر للسلطان محمود بذلك، عزم على هدمه، ظنًا منه أن الهنود إذا فقدوه، ورأوا كذب ادعائهم الباطل، دخلوا في الإسلام، فتوجه إليه في عام (416هـ-1025م) وهدمه[1].

وعند قيام الفتوحات الإسلامية كان بناء المساجد من أهم الأعمال التي حرص القادة عليها لنيل الثواب استنادًا لقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾[2]، ومن أجل تثبيت الإسلام وتعليمه للعباد عمل السلطان محمود على بناء الكثير من المساجد الجامعة في كل البلاد المفتوحة وأرسل الدعاة والعلماء ليعلموا الناس الإسلام[3].

وقام بإعادة إعمار وتوسعة المسجد الجامع بمدينة غزنة، وقد أضيف إلى المسجد مدرسة تحتوي على الكثير من تصانيف الأئمة والعلماء، وكثير من علوم الأولين والآخرين، وكان يُدرس فيها علماء وفقهاء مدينة غزنة علوم الدين[4].

فإقامة المسجد تُعتبر اللبنة الأولى التي يتحتم على المسلمين بناؤها في سبيل الدعوة إلى الله وإقامة ركائز الدين وإعلاء كلمة التوحيد، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[5].

ولاشك أن إقامة المساجد تعتبر من أكبر مراكز الدعوة الإسلامية بما امتازت به هذه المساجد من إعلاء صوت الحق، واجتماع المسلمين لإقامة الصلوات الخمس، ويلاحظ الباحث مما سبق أن السلطان محمود كان كثير الحرص على نشر الإسلام والعقيدة الصحيحة بتلك الأقاليم التي كانت مرتعًا للعقائد الضالة والمذاهب الفاسدة وأفكار الفلاسفة وعباد الأصنام، بعد

([1]) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص28؛ شذرات الذهب، ابن العماد، ج5، ص90.

([2]) التوبة: 18.

([3]) زين الأخبار، جرديزي، ص258؛ مرآة الجنان، اليافعي، ج3، ص18؛ شذرات الذهب، ابن العماد، ج5، ص56؛ نزهة الأنظار، محمود مقديش، ج1، ص300-301.

([4]) اليميني، العتبي، ص414، 418.

([5]) آل عمران: 104.

أن أدرك أن الالتزام بالسنة له أثر كبير في قوة الدولة وثباتها، فكان السلطان محمود بحق سلطان السنة القوي، وحامي حمى الإسلام والمسلمين.

ومن خلال مما سبق يتبين للباحث أن السلطان محمود كان يحب الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم محمد ﷺ ويحب نشر الإسلام ويعمل على تطبيقه، وكذلك محاربة الفرق الضالة والمذاهب الفاسدة، والدعوة لدين الله سبحانه وتعالى، وإن نشر الإسلام ليس مقتصرًا على الدعاة والعلماء والفقهاء فحسب فكل مسلم مطالب بنشر دين الله وتبليغه للناس بما يستطيع.

الفصل الثاني

الأسباب السياسية والإدارية والحضارية للنصر والتمكين للدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود

المبحث الأول:
الأسباب السياسية للنصر والتمكين

أولاً: حُسن اختيار البطانة الصالحة:

إن مسؤولية الحَاكم الناجح تبدأ من الحرص على حُسن اختياره البطانة الصالحة، والجليس الصالح، والصاحب التقي، الذي يعين على الخير، فكثيرًا ما نرى حُكامًا من أهل الصلاح من يزل زلات، إنما استدرجته إليها بطانته الفاسدة، التي زينت له الباطل وحجبت عنه الحق، فحسن اختيار البطانة الصالحة أمر مهم لكل حَاكم يأخذ بأسباب النصر والتمكين.

وإذا أردت أن تحتاط لأمر دينك، فخذ بوصية رسول الله محمد ﷺ القائل: "لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يأكل طعامك إلا تقي"[1]، وقال أيضًا: "خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ،..."[2].

وحين سأل ابن مسعود عن أيام الهرج متى تكون؟ أجابه رسول الله محمد ﷺ، فقال: "...، حِينَ لاَ يَأْمَنُ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ، ..."[3]، فهذا أمر يحتاج إلى التحري واصطفاء صفوة الناس واتخاذهم بطانة صالحة، حتى يجد الحَاكم من يأمنه ويطمئن لبطانته وقربه منه.

فمن أهم أسباب النصر والتمكين حُسن اختيار البطانة بدقة عالية، فإن البطانة الصالحة إذا صلحت فإنها تحول دون شر كبير، وتحض على الخير العظيم، ومن خطورة البطانة إذا فسدت، أنها قد تُحسن القبيح، أو تُقبح الحسن، لذلك حرص السلطان محمود على اختيار بطانته ممن يتوسم فيهم الصلاح والكفاءة، لجلب الخير لدولته ورعيته، فكان يختار العلماء والفقهاء والأدباء، وأصحاب الكفاءات العلمية، والقادة الأفذاذ، لإدارة دولته، كما سنلاحظ فيما سيأتي.

وعندما انتظم الأمر للسلطان محمود، في حكم الدولة الغزنوية بعد السيطرة على إقليم خراسان في عام (389هـ-999م)، أكرم أمراءه وبطانته وسائر حاشيته وأمر لهم من الخلع والهدايا ونفائس الأمتعة بما لم يسمع بمثله[1].

([1]) صحيح ابن حبان، البُستي، البر والإحسان/ الصحبة والمجالسة، 314/2: رقم الحديث 554.

([2]) الجامع الكبير، الترمذي، البر والصلة/ ما جاء في حق الجوار، 397/3: رقم الحديث 1944.

([3]) مسند الإمام عبد الله بن المبارك، ابن المبارك، ص58.

ويقول أحمد الجوارنة أن السلطان محمودًا قد اتخذ تقليدًا سياسيًا في اختيار الكفاءات للمناصب الحكومية العليا في دولته، من خلال تدريبهم وصقل مهاراتهم[2].

وقد كان من بطانته الصالحة ما يأتي:

1- الوزراء:

كان للسلطان محمود مجموعة من الوزراء الذين يساعدونه في إدارة شؤون الدولة الغزنوية، وهؤلاء الوزراء هم النخبة أو الصفوة التي يستشيرها الحاكم أو يستعين بها في تدبير أمور السياسة والإدارة سواء أكانت هذه المشاركة بالرأي أم بالعمل، فقد أحاط السلطان محمود نفسه بتلك النخبة السياسية التي شاركته صنع القرار[3].

ويقول أحمد الجوارنة أن الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود ارتكز فهمها لمنصب الوزارة على أساس ربما لم يتوفر لدى الدول الإسلامية الأخرى، كجعلها مبدأ الشورى أساسًا لترشيح واختيار الوزير، من خلال ترشيح الأكفاء بواسطة أعيان الدولة وكبار رجالاتها، بأمر سلطاني في الغالب بعد مداولات ومباحثات يتم من خلالها استعراض مزايا المرشح ومناقبه وأهليته لتولي هذا المنصب، وعندما يُجمع أعيان الدولة على شخص الوزير يصدر مرسوم سلطاني بهذا الأمر[4].

ومن هؤلاء الوزراء:

الوزير أبو العباس الفضل بن أحمد الإسفرايني والذي كان أول وزير للسلطان محمود وقد كان يعمل وزير لوالده الأمير سبكتكين[5]، والوزير أبو القاسم أحمد بن الحسن الميمندي (ت424هـ-1033م)، والذي عمل كوزير للسلطان محمود، ولم يكن هناك شخص يصلح

---

(1) نزهة الأنظار، محمود مقديش، ج1، ص300-301.

(2) طبيعة الوزارة في عهد الدولة الغزنوية، ص63.

(3) المرجع السابق، ص49.

(4) المرجع النفسه، ص62.

(5) اليميني، العتبي، ص295؛ طبيعة الوزارة في عهد الدولة الغزنوية، أحمد الجوارنة، ص50.

للوزارة أكفأ أو أعلم منه[1]، ثم جاء من بعده في منصب الوزارة للسلطان محمود الوزير أحمد حسين بن ميكال الشهير بحسنك[2].

وقد كان للعناية الكبيرة التي أولاها وزراء الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود في إدارة الدولة والحفاظ عليها، ونجاحهم في تحقيق الأمن والاستقرار لها سببًا وراء تفرغ السلطان محمود لتجهيز الحملات العسكرية المتلاحقة في بلاد المشرق الإسلامي والتي حققت النصر والتمكين لها[3].

وإن أمثال هذه النخبة من الوزراء والذي منهم العلماء والفقهاء وأهل الصلاح، لنعمة البطانة الصالحة، وهذا من حسن توفيق وتأييد ونصر وتمكين الله سبحانه وتعالى، فقد قال رسول الله محمد ﷺ: "مَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ عَمَلًا فَأَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرًا صَالِحًا، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ"[4].

2- الحَجَبَة:

كان للسلطان محمود العديد من الحجبة الذين قربهم منه واعتمد عليهم في العديد من أمور الدولة الغزنوية، وكما أخبر رسول الله محمد ﷺ: "مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً"[5]، لذلك حرص السلطان محمود على أن يكون حجبته من أهل الصلاح والتقوى، **والذين كان منهم:**

الحاجب الكبير أحمد الفتحي، والذي كان من كبار قادة جيش أبيه الأمير سبكتكين، وعندما سيطر السلطان محمود على إقليم سجستان في عام (393هـ-1003م) استخلفه عليها وأحسن السيرة في أهلها[6].

([1]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص733، 759؛ مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، ج18، ص368.

([2]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص733؛ طبيعة الوزارة في عهد الدولة الغزنوية، أحمد الجوارنة، ص49.

([3]) طبيعة الوزارة في عهد الدولة الغزنوية، أحمد الجوارنة، ص74.

([4]) المجتبى من السنن، النسائي، البيعة/ وزير الإمام، 159/7: رقم الحديث 4204.

([5]) صحيح البخاري، البخاري، الذبائح والصيد/ المسك، 96/7: رقم الحديث 5534.

([6]) لقد وردت بلفظ الحاجب قنجى؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص529؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج27، ص228؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص435.

والحاجب علي بن إيل أرسلان أمير مدينة طوس[1]، وهو الذي ضبط أمور الدولة الغزنوية ضبطًا حسنًا عندما توفي السلطان محمود، ولم يدع إنسانًا يتطاول على مقام إنسان آخر[2].

وكان من حُجابه كذلك الحاجب الكبير أبو سعيد ألتونتاش، حاكم مدينة هراة، وهو من أكبر أمراء وخواص السلطان محمود، وقد عينه السلطان محمود لحكم إقليم خوارزم، بعد فتحها في عام (408هـ-1017م)[3].

ومن حُجابه أيضًا الحاجب الطيطاش، والذي كان يتولى حكم إقليم خوارزم للسلطان محمود،[4]، والحاجب غالب الذي وجهه السلطان محمود على رأس جيش لمحاربة أهل البدع والضلالة وأصحاب المذاهب الفاسدة في بلاد الري، وقبض عليهم وأكثر فيهم القتل والنفي في عام (420هـ-1029م)[5]، وكذلك الحاجب بلكاتكين[6]، والحاجب علي خويشاوند[7].

ويلاحظ الباحث مما سبق أن السلطان محمود كان يسند قيادة الجيش لحجابه لفتح البلاد ونشر الإسلام، وإن حاكمًا حجابه من العلماء والفقهاء والصالحين، لهو حاكم صالح مدرك أهمية ذلك في جلب النصر والتمكين لدولته.

---

(1) مدينة طوس: يقال لها: نوقان، وهي قريبة من مدينة نيسابور، وبها قبر الخليفة العباسي هارون الرشيد؛ البلدان، اليعقوبي، ص93.

(2) زين الأخبار، جرديزي، ص274؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج8، ص32.

(3) زين الأخبار، جرديزي، ص259؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص570.

(4) المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء، ج2، ص166.

(5) زين الأخبار، جرديزي، ص273؛ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج15، ص195؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص266؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص33.

(6) زين الأخبار، جرديزي، ص267.

(7) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص733.

3- أهل العلم والمعرفة:

إن أولى الناس باتخاذهم بطانة والتقرب منهم، هم أهل العلم والمعرفة، وبقدر تقربك منهم تكن بعيدًا عن الزلل، وقد توج البخاري أحد أبواب صحيحه بقوله: "وَكَانَتِ الأَئِمَّةُ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَشِيرُونَ الأُمَنَاءَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ..."[1].

لذلك حرص السلطان محمود كل الحرص على اختيار بطانته من العلماء والفقهاء والأدباء وأهل التقوى والصلاح، وأصحاب الكفاءات، فقد كان يحب أهل الخير والدين والصلاح، ويحسن إليهم، ويقربهم منه، ويبغض أصحاب الأهواء والبدع والضلالة، وأهل الفسق والملاهي والآثام[2]، وقد فهم السلطان محمود قول رسول الله محمد ﷺ: "مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى"[3]، لذلك كان يقرب الصلحاء ويبعد عنه أهل الفساد.

فقد كان من جملة بطانته الصالحة العالم الفقيه أبو عبد الله محمد بن الهيضم، شيخ الكرامية، وعالمهم في إقليم خراسان، وليس للكرامية مثله، فقد كان كبير طائفته وأعلمهم، وكان السلطان محمود يكثر من مجالسته والسماع منه[4]، وكذلك العالم الفقيه عبد الله بن أحمد بن عبد الله أبو بكر المروزي القفال[5] شيخ الشافعية بإقليم خراسان، وقد حبب الله إليه الفقه، واشتغل به، وكان وحيد زمانه فقهًا وحفظًا وورعًا وزهدًا، وهو الذي استعان به السلطان محمود لتوضيح الفرق بين المذهب الحنفي والشافعي، وقد توفي في عام (417هـ-1026م) بمدينة

([1]) صحيح البخاري، الاعتصام بالكتاب والسنة/ نهي النبي صلى الله عليه وسلم على التحريم إلا ما تعرف إباحته، وكذلك أمره، 9/ 112: رقم الحديث 7368.

([2]) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص38.

([3]) صحيح ابن حبان، البستي، الأحكام/ بطانة الإمام وأهل مشورته، 77/9: رقم الحديث 7198.

([4]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص232؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص38.

([5]) أبو بكر القفال: هو شيخ الشافعية بإقليم خراسان، وقد كان يعمل في صغره بصنع الأقفال لذلك يسمى بالقفال، فلما بلغ من العمر الثلاثين عامًا أحس من نفسه ذكاء، فترك صنعته وأقبل على تعلم علم الفقه، فبرع فيه وفاق أقرانه ولم يكن في زمانه أفقه منه، وقد توفي بمدينة مرو وله من العمر تسعون عامًا؛ مرآة الجنان، اليافعي، ج3، ص24؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص422-423.

مرو عن عمر تسعين عامًا[1]، وقد قال رسول الله محمد ﷺ: "الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ"[2]، فكان السلطان محمود يختار بدقة من يجالسهم ويتخذهم بطانة.

ومن بطانته أيضًا العالم الفقيه والحافظ أبو حاتم بن حاموش والذي كان إمام أهل السنة في بلاد الري، وهو الذي استعان به السلطان محمود عندما منع جميع الفرق من الكلام على المنابر في بلاد الري، غير الحافظ أبي حاتم لصلاحه وتقواه، فإما يسمح لهم بالكلام مع الناس وإما أن يمنعهم، بعد أن انتهى من القضاء على الفرق الضالة والمذاهب الفاسدة فيها في عام (420هـ-1029م)[3].

ونجد أن السلطان محمود قد ولى العلماء والفقهاء المناصب المهمة في الدولة، حيث أنه أسند منصب قاضي القضاة للعالم الفقيه أبو محمد الناصحي عبد الله بن الحسين، وكان ورعًا مجتهدًا، ومن أكبر علماء عصره، وهو الذي أوكل إليه السلطان محمود مسؤولية تسير وحماية حجاج بيت الله الحرام في عام (412هـ-1021م) بعد أن توقف عامي (410-411هـ/1019-1020م)[4].

ومن بطانة السلطان محمود الصالحة التي استعان بها في حكم الدولة الغزنوية وإدارتها الأديب والكاتب والمؤرخ أبو النصر محمد بن عبد الجبار العُتْبي[5] مؤرخ الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود وصاحب سيرته[6]، ومؤلف كتاب اليميني[7] الذي أرخ فيه غزوات

([1]) مرآة الجنان، اليافعي، ج3، ص24؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص422؛ طبقات الفقهاء الشافعية، ابن الصلاح، ج1، ص496؛ الوافي بالوفيات، الصفدي، ج17، ص27.

([2]) مسند الإمام أحمد، ابن حنبل، ابتداء مسند أبي هريرة، رضي الله عنه/ صحيفة همام بن منبه، 307/8: رقم الحديث 8398.

([3]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج33، ص58.

([4]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص668-669؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص245؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص14؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص255-256.

([5]) العتبي: نسبة إلى عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب ابن أمية بن عبد شمس؛ سمط النجوم العوالي، العصامي، ج1، ص60.

([6]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج27، ص226؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص16؛ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الطالبي، ج1، ص72.

([7]) سبب التسمية باليميني نسبة للسلطان محمود الملقب بيمين الدولة؛ سمط النجوم العوالي، العصامي، ج1، ص60.

وفتوحات ومناقب السلطان محمود[1]، وهذا قد أتاح له معرفة كثير من الأسرار التي كانت تجري في الدولة الغزنوية، مما جعل لكتابه أهمية كبيرة.

ومن بطانته الصالحة أيضًا العالم أبو ريحان محمد بن أحمد البيروني[2] والذي كان في خدمة السلطان محمود، وأقام مدة طويلة في بلاد الهند وتعلم لغتهم واطلع على كتبهم، ويعد البيروني من أعظم رجال الحضارة الإسلامية وأبرزهم، وقد نال تقديرًا علميًا كبيرًا، وهو من أكبر علماء الرياضيات، وكان على دراية بعلم الفلك والنجوم والتاريخ والجغرافيا والفيزياء وعلم الأدوية، وقد شهد المستشرق ول ديورانت أن علماء المسلمين كانوا من أعظم علماء العصور الوسطى كابن سينا والرازي والبيروني[3].

وإذا أردت أن تدرك هل أراد الله بهذا الحاكم خيرًا أو شرًا؛ فانظر في بطانته ومن يقوم على أمره؛ فإن وجدت العلماء والفقهاء وأهل الصلاح والتقوى وذوي العقول الراجحة؛ فاعلم أن الله سبحانه وتعالى أراد به الخير، وهداه إلى رشده، فمن ثمرات البطانة الصالحة جلب النصر والتمكين للدولة والحاكم المسلم.

4- وظائف الدولة الأخرى:

للسلطان محمود العديد من الأمراء الذين كانوا يتمتعون بكفاءة عالية وحسن سيرة وسلوك، والذي اعتمد عليهم في إدارة وحكم الدولة الغزنوية، **ومنهم:**

الأمير أبو محمد الناصحي قاضي قضاة بلاده[4]، والأمير أبو منصور الحسن بن محمد التميمي التاهرتي الأصل المعروف بابن الربيب[1]، الذي كان يتولى منصب القضاء في الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود، وقد كان أديبًا، ولغويًا، ونحويًا، ونسابًا، وشاعرًا[2].

([1]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج27، ص226؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص16؛ سمط النجوم العوالي، العصامي، ج4، ص144؛ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الطالبي، ج1، ص72.

([2]) أبو ريحان البيروني: هو محمد بن أحمد، ولد في عام (362هـ-973م) في إقليم خوارزم؛ روضة أولي الألباب، البناكتي، ص338، 369.

([3]) قصة الحضارة، ج13، ص196.

([4]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص668-669؛ مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، ج18، ص299؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص245؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص14؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص255-256.

والأمير أبو نصر موسكان كاتب إنشاء السلطان محمود، وكان من الكُتاب المفلقين[3]، وقد كان ينوب عنه في هذا المنصب المؤرخ أبو الفضل محمد بن الحسين البيهقي[4].

والكاتب والشاعر الكبير أبو الفتح علي بن محمد البستي[5]، كان يعمل كاتبًا للسلطان محمود، وكان قبل ذلك يعمل كاتبًا لأبيه الأمير سبكتكين، وقد توفي البستي في عام (401هـ-1011م)[6].

والأمير أبو زيد محمد بن على الغضائرى الرازى، والذي كان من مداحي السلطان محمود، وقد رافقه في فتح سومنات في عام (416هـ-1025م)، وقد توفي في عام (432هـ-1041م)[7].

وقد سمعنا في التاريخ ورأينا في واقعنا المعاصر أناسًا خاصموا وفجروا وعلقوا في شباك وساوس شياطين الإنس بتحريض بطانتهم السيئة، مع ما يعرف من صلاحهم الشخصي، فالبطانة لها دور كبير في تحديد طبيعة الحاكم، فمن باب أولى على الحاكم المسلم أن يختار لنفسه بطانة صالحة، يأمرونه بالخير، ويحضونه عليه، لقول الله سبحانه وتعالى في كتابه

([1]) ومن خلال البحث والاطلاع على شخصية الوزير ابن الربيب، قد اتضح للباحث أن هناك وزيرًا آخر يحمل نفس اللقب، وهو الوزير الحسين بن محمد بن الحسين بن محمد الروذاراوري أبو منصور ابن أبي شجاع كان يلقب بالربيب، والذي تولى منصب الوزارة للخليفة العباسي المستظهر بالله في عام (508هـ-1114م)، وتوفي في عام (513هـ-1119م) بمدينة همذان وله من العمر سبعًا وأربعين عامًا وحمل تابوته إلى مدينة بغداد؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص640؛ الوافي بالوفيات، الصفدي، ج13، ص24-25.

([2]) وقد ولد ابن الربيب في عام (340هـ-951م)، وتوفي في عام (420هـ-1029م) عن عمر ناهز الثمانين عامًا؛ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء، ج2، ص230؛ معجم المؤلفين، كحالة، ج3، ص277-278؛ طبقات النسابين، ابن عثمان، ص97.

([3]) وردت بلفظ أبو نصر بن مشكان؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص797؛ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء، ج2، ص163؛ تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، ج1، ص335.

([4]) وقد تولى البيهقي كذلك الإنشاء لأبناء السلطان محمود، الأمير محمد ثم للأمير مسعود، وله العديد من المصنفات ومنها كتاب زينة الكتاب وتاريخ ناصر الدين محمود بن سبكتكين وسماه الناصري، وقد توفي في عام (470هـ-1077م)؛ الوافي بالوفيات، الصفدي، ج3، ص17.

([5]) يذكر أبو الفداء أنه توفي في عام (407هـ-1016م)؛ المختصر في أخبار البشر، ج2، ص139؛ العبر في خبر من غبر، الذهبي، ج2، ص199؛ الوافي بالوفيات، الصفدي، ج22، ص105.

([6]) الوافي بالوفيات، الصفدي، ج22، ص105؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص474.

([7]) روضة أولي الألباب، البناكتي، ص257.

الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾[1]، والابتعاد عن البطانة السيئة، لقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿...**وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً**﴾[2]، فإن كانت لك بطانة فأحسن اختيارها، واعمل بما يشيرون عليك من الخير، فالبطانة الصالحة هي التي تستجلب النصر والتمكين للدولة والحاكم، وإن كنت بطانة لغيرك فكن صريحًا صادقًا أمينًا، وحض على الخير.

ثانيًا: تقوية وتثبيت الجبهة الداخلية:

من أهم ركائز الدولة القوية أن تكون جبهتها الداخلية متماسكة ومستقرة، لتستطيع فتح البلاد ونشر الإسلام وتحافظ على قوة نفوذها أمام الأعداء، وتتصدى لكل من يحاول النيل من استقرارها، فعدم استقرار الجبهة الداخلية يفتح الباب أمام أهل الفساد والعناد والمرتدين عن الإسلام للنيل من قوتها وتماسكها، فقد جاء النداء من الله سبحانه وتعالى لعباده المسلمين في كتابه الكريم: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[3]، فالاتحاد والاجتماع والمحافظة عليها قوة ومهابة والتفرق ضعف وانهيار.

وقد بدأ السلطان محمود حكمه بضم الأقاليم الإسلامية المجاورة لدولته، من أجل تقوية وتثبيت الجبهة الداخلية للدولة الغزنوية فقام بمحاربة أهل الفساد والعناد والمرتدين عن الإسلام، وكل من تسول نفسه بث الفتن والقلاقل في دولته، وتعامل معهم بحزم وصرامة، كما سنلاحظ في الأتي.

فقد كان السلطان محمود منذ بداية توليه حكم الدولة الغزنوية مصر على تثبيت الجبهة الداخلية، ولم يكن يطمع بالحكم وكان هدفه تقوية الدولة وتثبيت أركانها، فعندما اقتتل مع أخيه الأمير إسماعيل على حكم الدولة الغزنوية بعد وفاة أبيهم الأمير سبكتكين، وحاصره في قلعة مدينة غزنة وتمكن من هزيمته استأمنه وعفا عنه وأكرمه وأعلى منزلته[4]، لأنه يعلم بأن مع الوحدة قوة ومع الاختلاف ضعف، وفهم كذلك أن الاختلاف يزيد المسلمين تفككًا وضعفًا، لقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ**

([1]) التوبة: 119.

([2]) الكهف: 28.

([3]) آل عمران: 105.

([4]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص488-489.

فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]، وقال أيضًا: ﴿...**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**...﴾[2].

وإن الدارس لسيرة رسول الله محمد ﷺ يدرك أن أول خطوة قام بها لبناء دولة الإسلام الأولى في المدينة المنورة، عمل على تقوية وتوحيد الجبهة الداخلية لدولته من خلال المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، لضمان استقرارها وتماسكها، كما أن المُطلع على تشريعات الإسلام يجد بأن الإسلام دعوة عملية للاتحاد، لقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**...﴾[3]، وقال أيضًا: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾[4].

وعندما تولى السلطان محمود حكم الدولة الغزنوية بعد أن سيطر على مدينة غزنة من أخيه الأمير إسماعيل، رجع إلى مدينة بلخ فوجد الأمير بكثرزون قائد جيوش الدولة السامانية قد تولى حكم إقليم خراسان من قبل الدولة السامانية، فبعث السلطان محمود إلى الأمير الساماني منصور بن نوح يطلب استرجاع إقليم خراسان، فاعتذر له عنها وولاه مدينة ترمذ[5] وبلخ، فلم يوافق على ذلك، فتوجه السلطان محمود لقتال بكثرزون وألحق به الهزيمة واستتب له الأمر فيها في عام (389هـ-999م) وقضى على حكم الدولة السامانية[6]، وإن الاقتتال بين المسلمين أمر صعب قد يتخذه أي شخص، لكن في بعض الأحيان يكون هو الطريق الوحيد لتقوية وتثبيت الجبهة الداخلية للدولة وضمان استقرارها.

([1]) الأنعام: 153.

([2]) الأنفال: 46.

([3]) آل عمران: 103.

([4]) الصف: 4.

([5]) مدينة ترمذ: تقع على نهر جيحون من جانبه الشرقي، ويحيط بها سور، وأسواقها مفروشة بالآجر؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج2، ص26.

([6]) المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء، ج2، ص134؛ في عام (388هـ-998م)؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص470؛ نزهة الأنظار، محمود مقديش، ج1، ص300-301.

وعندما تمرد الشار الشاه[1] حاكم إقليم غرشستان[2] في عام (389هـ-999م)، وعصى أوامر السلطان محمود عندما استدعاه لمشاركته في غزو بلاد الهند، فأرسل إليه جيشًا للقضاء عليه ففتحوا بلاده وتم أسره وحمل إلى السلطان محمود، فأودعه السجن إلى أن توفي[3].

وبعد أن سيطر الأمير الصفاري خلف بن أحمد[4] حاكم إقليم سجستان على إقليم قهستان وبوشنج[5] في عام (390هـ-1000م)، الخاضعة لحكم الأمير بغراجق عم السلطان محمود، وقتله، فغضب السلطان محمود من ذلك وجمع جيشه لقتال الأمير خلف بن أحمد، وتثبيت حكمه فيها، فحاصره إلى أن طلب الأمان من السلطان محمود فاستأمنه ونفاه إلى الجوزجان[6]، وأقام بها أربع سنين، ولكنه بدأ يتمرد ويحرض الرعية على السلطان محمود، فنقله إلى مكان آخر وحبسه فيه إلى أن توفي في عام (399هـ-1009م)[7].

ولما سيطر السلطان محمود على مدينة سجستان في عام (393هـ-1003م) وولاها لأمير كبير من قادته، وهو الحاجب أحمد الفتحي والذي كان من كبار قادة جيش أبيه الأمير سبكتكين، فأحسن التعامل مع أهلها، ولكن بعد عدة أشهر قام جماعة من المفسدين بالتمرد على

([1]) الشار: هو لقب يطلق على حاكم إقليم غرشستان، ككسرى للفرس، وقيصر للروم، والنجاشي للحبشة، وهكذا، والشاه هو اسم الحاكم؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص504؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج4، ص193.

([2]) إقليم غرشستان: ويطلق عليها غرشتان وغرجستان، ويحده من جهة الغرب مدينة هراة، ومن جهة الشرق بلاد الغور، ومن جهة الشمال مدينة مرو، ومن جهة الجنوب مدينة غزنة؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج4، ص193.

([3]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص503-504.

([4]) كان الأمير خلف عالمًا، فاضلاً، محبًا للعلماء، لذلك عهد حكم إقليم سجستان لابنه الأمير طاهر وتفرغ للعلم وقراءة الكتب؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص527.

([5]) مدينة بوشنج: مدينة قريبة من مدينة هراة؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج1، ص508.

([6]) الجوزجان: منطقة واسعة في مدينة بلخ بإقليم خراسان، وتقع بين مدينة مرو وبلخ، وقد فتح المسلمون الجوزجان عنوة في عام (33هـ-654م)؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج4، ص182.

([7]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص515؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص434-435.

والي السلطان محمود، فتوجه إليهم السلطان محمود، وحاصرهم في حصن أوال[1] إلى أن تمكن من فتحه وقتل من فيه وولاها أخاه نصرًا[2].

وعندما بلغه تمرد الأمير أيلك الخان قائد الترك وهجومه على إقليم خراسان في عام (396هـ-1006م) مستغلاً انشغال السلطان محمود في غزو بلاد الهند، رجع إلى إقليم خراسان لتثبيت حكمه فيها، وأخرج الأمير أيلك الخان منها، وفي عام (397هـ-1007م)، تآمر الأمير أيلك الخان والأمير قدر خان بن بغرا خان ملك الختن لقرابة بينهما، من أجل محاربة السلطان محمود، وتقاتل الجيشان إلى أن ألحق السلطان محمود الهزيمة بجيشيهما وتمكن من تثبيت حكمه فيها من جديد[3].

فهناك الكثير ممن يسعون في الأرض فسادًا بين المسلمين من أجل أن يضعفوا قوتهم ويشتتوا شملهم ويوقعوا بينهم الفتن والقلاقل، من المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، والذي يجب علينا محاربتهم والتصدي لهم للمحافظة على أمن واستقرار الجبهة الداخلية لبلادنا، لقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم مخاطبًا رسوله محمدًا ﷺ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾[4]، وقال أيضًا: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ...**﴾[5].

ولما فرغ السلطان محمود من محاربة الأمير أيلك الخان توجه لغزو بلاد الهند، وتثبيت أركان دولته فيها في عام (397هـ-1007م)، بعد أن وصله خبر ارتداد نواسه شاه أحد أبناء ملوك بلاد الهند عن الإسلام، وتحالفه مع أهل الكفر والطغيان بعد أن كان قد أسلم على يده، واستخلفه على بعض المدن التي فتحها من بلاد الهند، فلما وصله هرب واستعاد السلطان محمود ما قد استخلفه عليه، وأعادها لحكم الدولة الغزنوية من جديد[6].

([1]) وردت بلفظ حصن أرك؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص529.

([2]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص529؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج27، ص228؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص434-435.

([3]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص542، 545.

([4]) التحريم: 9.

([5]) الأحزاب: 1.

([6]) اليميني، العتبي، ص297؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص546؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص484؛ المعارك الإسلامية في الهند، أحمد الجوارنة، ص28.

وبعد أن انتهى السلطان محمود من غزو بلاد الهند وتمكن من القضاء على المرتدين، تفرغ لتثبيت حكمه في جبال بلاد الغور، فتوجه إليهم عام (400هـ–1010م) وأعادها إلى بيت الطاعة[1].

وعندما اغتر حاكم مدينة قصدار[2] بحصانة مدينته، ووعورة مسالكها، واحتمائه بالأمير أيلك الخان، أعلن تمرده على السلطان محمود بعد أن كان قد صالحه على جزية يدفعها، فتوجه إليه في عام (402هـ–1011م) وفتح المدينة وملكها، وقضى على تمرده، فطلب الأمان من السلطان محمود وأخذ منه المال المستحق عليه، وأقره على ولايته مرة أخرى[3].

وقد أفسد جماعة من أوباش مدينة خوارزم وأكثروا فيها الفساد والعناد، وقتلوا كثيرًا من العباد من بينهم خوارزم شاه صهر السلطان محمود، وصل الخبر إلى السلطان محمود فعزم على محاربتهم والقضاء عليهم وتثبيت حكمه فيها، فتوجه إليهم في عام (407هـ–1016م) وأهلك جميع جيش الخوارزميين وألقى القبض على بعضهم بما فيهم قائدهم خمارتاش[4].

وقصد السلطان محمود وادي نور في بلاد الهند في عام (411هـ–1020م) بعد أن تمردوا على السلطان محمود، فأرسل الحاجب علي بن إيل أرسلان لفتحها من جديد وتثبيت حكم السلطان محمود[5].

وبعد انتهاء السلطان محمود من فتح مدينة سومنات في بلاد الهند في عام (416هـ–1025م) بلغه أن حاكم مدينة المنصورة[6]، قد ارتد عن الإسلام، فتوجه إليها السلطان محمود واستعادها وثبت حكمه فيها من جديد[7].

([1]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج27، ص245–246.

([2]) مدينة قصدار: مدينة قرب مدينة غزنة، وهي من نواحي بلاد السند؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج4، ص353.

([3]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص576.

([4]) اليميني، العتبي، ص399؛ زين الأخبار، جرديزي، ص259.

([5]) زين الأخبار، جرديزي، ص263.

([6]) مدينة المنصورة: تقع في بلاد السند وتعتبر من أهم مدنها، وهي مدينة كبيرة كثيرة الخيرات، وسميت المنصورة بهذا الاسم نسبة إلى الأمير منصور بن جمهور عامل بني أمية؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج5، ص211.

([7]) ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص493.

ولما كثر فساد الأتراك الغزية أتباع السلطان السلجوقي ألب أرسلان في صحراء مدينة بخارى في عام (420هـ-1029م)، توجه إليهم السلطان محمود، وقتل منهم الكثير، وهرب وتشتت بعضهم، وألقى القبض على زعيمهم أرسلان بن سلجوق وسجنه في بلاد الهند وقضى على فسادهم، ووصل السلطان محمود إلى مدينة بخارى للقضاء على حاكمها علي تكين[1] وتثبيت حكمه فيها، لأنه كان يكثر من معارضة السلطان محمود ويقطع الطريق على رسله المتوجهين لملوك الترك[2].

وتوجه السلطان محمود إلى بلاد الري في عام (420هـ-1029م)، بعد أن أرسل إليه حاكمها الأمير البويهي مجد الدولة أبو طالب رستم بن فخر الدولة بن بويه، يشكو إليه قوة نفوذ جنده وتسلطهم عليه، وقد كان متشاغلاً بالنساء، ومطالعة الكتب، وكانت والدته تدير أمور حكمه، فلما توفيت في عام (419هـ-1028م) زاد تسلط جنوده عليه وطمعوا في حكمه، فسير السلطان محمود إليه جيشًا، وأمره بالقبض على الأمير مجد الدولة، وسيطر على بلاد الري، من أجل توحيد الجبهة الداخلية ومنع حدوث أي اختلاف أو اقتتال بين المسلمين على حكمها[3].

وقد قال أبو القاسم علي بن الحسن الحافظ: ذكر الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد الأصبهاني عمن أدرك من شيوخ مدينة أصبهان[4]، أنه عندما فتح السلطان محمود مدينة أَصبهان، ولى عليها واليًا من أمرائه، فتمرد أهلها وقتلوا الوالي، فعاد السلطان محمود إليها، وأمنهم حتى اطمأنوا، وفي يوم الجمعة وهم في المسجد قتل منهم الكثير، وكانوا قبل ذلك قد منعوا الحافظ أبو نعيم الأصبهاني[5] من الجلوس في المسجد فسلم مما جرى لهم وكان يعد ذلك من كراماته[1].

([1]) زوج بنت الأمير سلجوق مؤسس الدولة السلجوقية؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج5، ص29.

([2]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص715؛ تاريخ مختصر الدول، ابن العبري، ج1، ص180-181؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص333.

([3]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص710؛ الإنباء في تاريخ الخلفاء، ابن العمراني، ص306؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص637-638.

([4]) مدينة أَصبهان: من أعظم المدن وأشهرها، وهي من إحدى مدن إقليم الجبال، وقد تم فتحها في أواخر خلافة الصحابي الجليل عمر بن الخطاب وأوائل خلافة الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنهم؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج1، ص206؛ رسائل ابن حزم، ابن حزم الأندلسي، ج2، ص130.

([5]) الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الإمام الجليل الحافظ أبو نعيم الأصبهاني الصوفي الجامع بين الفقه والتصوف، ولد في عام (306هـ-919م) بمدينة

وهنا يوجد مسألة خطيرة وجب الوقوف عندها والتنويه عليها، وهي قتال السلطان محمود لهم وهم في المسجد، فأقول وبالله التوفيق:

1- نستدل من قواعد السياسة الشرعية التي وضعها العلماء، ومن خلال الاستناد على قاعدة (ارتكاب أخف الضررين)، فإن هؤلاء قد تمردوا على ولي الأمر وأفسدوا في الأرض، ومن الممكن أن يكونوا قد تحصنوا في هذا المسجد، فأراد السلطان محمود أن يتخلص منهم دون أن تعم الفوضى والقتال بين المسلمين وبالتالي تضعف الجبهة الداخلية للمسلمين ويكون قتلهم داخل المسجد أخف ضررًا من تركهم يخرجون خارج المسجد ويتحصنون في قلاعهم، وبالتالي يصعب القضاء عليهم إلا إذا نشب قتال كبير بين الطرفين وبالتالي ستزهق أرواح كثيرة من الطرفين وتكون الخسارة أكبر، فلا شك أن في قتل هؤلاء داخل المسجد مفسدة، ولكن المفاسد التي كانت ستحصل من وراء تركهم أكبر.

2- وبالنظر للحالات التي يجوز فيها قتل المسلم، نجد بينها جواز قتل المسلم المرتد، لقول رسول الله محمد ﷺ: "مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ"[2] وقوله: "لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا فِي إِحْدَى ثَلَاثٍ: رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ، أَوْ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ، أَوْ نَفْسٌ بِنَفْسٍ"[3].

3- في حال اتخاذ المرتدين وأهل الفساد والفتن والقلاقل المساجد وغيرها حصنًا ووسيلة للاحتماء فيها، فيجوز على ولي الأمر هدمها للضرورة، وهناك حالات يمكن فيها هدم المساجد، وذلك إذا اتخذت كل الوسائل الممكنة لمنع تحصنهم وخروجهم منها، وكان فى بقائهم واستمرارهم في المسجد إعانة لهم وقوة على زيادة تمردهم وفسادهم؛ وهذا حرصًا على مصلحة المسلمين، ويؤيد ذلك ما روي عن رسول الله محمد ﷺ أنه: "دَخَلَ مكة عَامَ الفَتْحِ، وَعَلَى رَأْسِهِ المِغْفَرُ، فَلَمَّا نَزَعَهُ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ ابْنَ خَطَلٍ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الكَعْبَةِ

أصبهان، وتلقى العلم من كبار علماء عصره، ويعد أحد المحدثين وأعلام الإسلام، وله العديد من المصنفات، وقد توفي في عام (403هـ- 1012م) عن عمر أربعة وتسعون عامًا؛ طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ج4، ص18-22.

([1]) تبيين كذب المفتري، ابن عساكر، ص247؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص278-279؛ طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ج4، ص21-22.

([2]) مسند الإمام أحمد، ابن حنبل، مسند بني هاشم/ مسند عبد الله بن العباس بن عبد الطلب، 434/2: رقم الحديث 1871.

([3]) مسند الإمام أحمد، ابن حنبل، مسند أهل البيت/ مسند بني هاشم، 351/1: رقم الحديث 437.

فَقَالَ اقْتُلُوهُ"[1]، لأنه قتل خادمه وارتد عن الإسلام.

4- قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[2]، وغاية الحكيم أن يضع كل أمر في نصابه وأن يصل إلى غايته بأسهل الطرق وأقل الأخطار والتضحيات، لدفع المفاسد وجلب المصالح للمسلمين.

ويرى الباحث أنه لو لم يكن السلطان محمود قد عمل على فرض سيطرته على أقاليم بلاد المشرق الإسلامي، إضافة على تثبيت حكمه في الأقاليم الخاضعة له، وقام بتقوية وتثبيت الجبهة الداخلية لها، ولو لم يضرب بيد من حديد كل من تسول له نفسه بالتمرد والفساد والانفصال، لكان ذلك باعثًا لأمراء أقاليم بلاد المشرق الإسلامي على الاستقلال في أكثر من مكان، ولكن السلطان محمودًا قد وفق في توحيد جميع الأقاليم تحت إرادته فنالت أعماله إعجاب الجميع.

وقد خلص الباحث مما سبق على الأتي:

1- ضرورة المحافظة على سلامة الجبهة الداخلية للدولة الإسلامية من الاختلاف والفتن، وعدم التساهل مع أهل الفساد والعناد والمتمردين، والعمل على محاربتهم والقضاء عليهم، لتبقى الجبهة الداخلية متماسكة وقوية ومستقرة، وعصية على الاختراق، فديننا دين الاجتماع والمحبة والتآلف، لذلك شرع لنا الله سبحانه وتعالى الاجتماع في المساجد لصلاة الجماعة، من أجل أن نتآلف ونتعارف ويتفقد بعضنا بعضًا، وكذلك شرع لنا الاجتماع في صلاة العيدين وهو اجتماع أكبر، وكذلك شرع لنا اجتماع المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها في الحج، وقد أمرنا رسول الله محمد ﷺ بالتحابب، فقال: "لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُون حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ"[3]، فمن باب أولى أن تكون أيضًا كلمتنا واحدة وقوتنا مجتمعة.

2- علينا أن نتمسك بديننا، ونأخذ بالأسباب للمحافظة على وحدة كلمتنا وأمتنا واستقرار جبهتنا الداخلية وتماسكها من الانهيار والضعف، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ**

([1]) صحيح البخاري، البخاري، جزاء الصيد/ دخول الحرم، ومكة بغير إحرام، 17/3: رقم الحديث 1846.

([2]) النحل: 125.

([3]) المسند الصحيح، مسلم، الإيمان/ بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، 74/1: رقم الحديث 93.

أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[1].

3- الحرص على الوحدة ورص الصفوف، وتسخير كل الإمكانيات والطاقات وتكاتف الجميع من أجل حماية الجبهة الداخلية من المتمردين وأهل الفساد والعناد ومحاربتهم والقضاء عليهم، وعدم تركهم وإعطائهم الحرية لنشر فسادهم، ولنحذر أيضًا من أعداء هذا الدين الذين يحاولون ليلاً ونهارًا منذ أن بعث الله سبحانه وتعالى رسوله محمدًا ﷺ- زعزعة استقرار هذا الدين ورد المسلمين عن دينهم، وقد حذرنا الله سبحانه وتعالى منهم قائلاً في كتابه الكريم: ﴿...**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**...﴾[2]، فهذا دأبهم وديدنهم، ولن ينجو المسلمون اليوم من مكائدهم وشرورهم إلا بالاتحاد والعمل على تقوية وتثبيت الجبهة الداخلية لدولهم ومجتمعهم.

4- إذا تصفحنا صفحات التاريخ ندرك من خلاله أن الأمة الإسلامية كلما كانت متوحدة كانت مهابة وعزيزة وقوية، وأكبر شاهد على هذا؛ نموذج الخلافة الراشدة، والخلافات الإسلامية المتوالية، فتاريخنا الإسلامي كان زاخرًا بالتقدم والازدهار في شتى المجالات عندما كانوا متحدين متماسكين كالجسد الواحد، فقد قال رسول الله محمد ﷺ: "افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: الْجَمَاعَةُ"[3]، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، لذلك فطن أعداؤنا إلى أهمية الوحدة وأثرها على قوة الدولة الإسلامية، فعملوا على تمزيقها من خلال دب الخلاف والفرقة بين المسلمين، ولما غاب الاتحاد أصبحنا نعاني، فقد انحلت عرانا ووهنت قوانا، وتحولت القوة إلى ضعف، والمهابة والعزة إلى الذل والانكسار، وتسلط عليهم العدو من كل حدبٍ وصوب.

5- اتحادنا قوة واختلافنا ضعف، لذلك علينا أن نسعى لمصلحة هذا الدين ولمصلحة الأمة ونسير نحو توحيد الصف ونبذ الفرقة ودرء الفتن عن الأمة، فإن الاتحاد يقوي الضعفاء

([1]) الشورى: 13.

([2]) البقرة: 217.

([3]) سنن ابن ماجه، ابن ماجة، الفتن/ افتراق الأمم، 1322/2: رقم الحديث 3992.

ويزيد الأقوياء قوة على قوتهم، فهو وسيلة العزة لهذه الأمة التي يجب أن تعود لعزتها وتستعيد هيبتها بين الأمم، فالحفاظ على الجبهة الداخلية وتحصينها وتماسكها وثباتها واستقرارها أقوي سلاح للتصدي لأي هجوم من قبل العدو وكيد الكائدين.

6- إن حدث اختلاف وفرقة بين المسلمين فلنسارع للإصلاح بينهم، وإن بغى أحد المسلمين على الأخر بعد الصلح فعلينا أن نرد ونقاتل الذي يبغي، حتى تعود للأمة وحدتها وتجتمع كلمتها وتبقى لها قوتها وهيبتها، كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(9) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(10)**﴾[1].

فهذه الخطوات أضحت ضرورية من أجل تعزيز الجبهة الداخلية والتصدي لكل من يحاول أن يمس سلامة الدولة الإسلامية، لقول رسول الله محمد ﷺ: "عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ"[2]، فلا بد من الإتحاد على كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله محمد ﷺ إن كنتم تريدون النجاة في الدنيا والآخرة، وكذلك طاعة ولاة أمور المسلمين بالسمع والطاعة، فالعجب كل العجب من أمة تتحد في قبلتها، وعبادتها، وكتاب ربها، وسنة نبيها، ثم لا تجد سبيلاً لتحقيق وحدتها.

فتقوية وتثبيت الجبهة الداخلية وعدم السماح للفوضى أن تسود، وتوحيد جميع الأقاليم تحت إرادته، أمر مهم جدًا لحماية دولته والدفاع عنها لتبقى الدولة قوية ومتماسكة، وتستطيع التوسع وبسط نفوذها وتجلب للدولة النصر والتمكين، وانتشار الفوضى والفتن وعدم استقرار الجبهة الداخلية يؤدي إلى الضعف والهوان وتجلب الهزيمة للدولة والأمة.

---

(1) الحجرات: 9-10.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجة، الإيمان وفضائل الصحابة والعلم/ أتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، 15/1: رقم الحديث 42.

المبحث الثاني:
الأسباب الإدارية والحضارية للنصر والتمكين

اكتسبت الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود مكانتها في التاريخ الإسلامي بجهودها الإدارية والحضارية التي لم يشغلها عنها الغزوات والفتوحات، وقد كانت لقوة وثبات الجبهة الداخلية لها أثر كبير في قوتها الحضارية والمعرفية والثقافية.

ومن هذه الأسباب ما يأتي:

أولاً: حُسن إدارة أمور الدولة والرعية:

جاء الإسلام بتشريعات كاملة لتنظم علاقات الدولة والمجتمع من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وإدارة أمور الدولة وشؤونها الداخلية والخارجية في حالتي السلم والحرب، وكذلك إدارة أمور الرعية، فكون بذلك نظامًا كاملاً وشاملاً للحياة.

ولهذا عمل السلطان محمود على إصلاح أحوال الدول الغزنوية لحظة بلحظة من خلال غزواته وفتوحاته[1]، وكان يحمي النواحي ويحوطها، ويحرس الطرق ويضبطها، ويقيم السياسة على أفضل رسومها وأكمل شروطها[2]، وهذا يدل على عقلية السلطان محمود وطريقة تفكيره في أهمية إصلاح أحوال دولته ورعيته.

1- إدارة الدولة:

لإدارة الدولة الغزنوية بشكل جيد وضع السلطان محمود نظامًا صارمًا لتدعيم حكمه فيها، وعمل على إقامة علاقات مع الدول المجاورة لدولته، لكي يتفرغ للجهاد والغزو في سبيل الله سبحانه وتعالى والعمل على نشر الإسلام، فقد تجلت حُسن إدارة السلطان محمود للدولة الغزنوية من خلال الآتي:

أ- **علاقته بالخلافة العباسية:**

رأت الخلافة العباسية في سطوع نجم السلطان محمود في بلاد المشرق الإسلامي باعثًا للثقة والاطمئنان بعد أن دب الضعف في أركانها، لما يتمتع به من قوة وعزم وشجاعة ورغبة كبيرة لنشر الإسلام وإعلاء شأن أهل السنة والجماعة، خصوصًا وأن السلطان محمود والخليفة

---

(1) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص73؛ العبر في خبر من غبر، الذهبي، ج2، ص245.

(2) مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، ج18، ص365.

العباسي القادر بالله على مذهب أهل السنة والجماعة إضافة إلى رغبة الخليفة الشديدة في نشر السنة وتمكينها في الأرض، وإعادة ضبط أمور الخلافة وتقوية نفوذها[1].

لذلك امتازت علاقتهم بعلاقة من الود والاحترام والولاء، وقد دل على ذلك:

- **تبادل الكُتب:**

فقد تجلى حُسن العلاقة بين السلطان محمود والخلافة العباسية، من خلال التواصل الدائم، وتبادل الكُتب التي كانت لا تنقطع بينه وبين الخليفة العباسي القادر باللَّه، فقد كان السلطان محمود يزف إليه نبأ انتصاراته وما فتحه من البلاد، وإخباره بتفاصيل غزواته، وعدد القتلى وما وصل إليه من أموالهم وغنائمهم، وعدد الأصنام التي وجدها وهدمها، ومساحة المدينة وعدد سكانها، وطبيعة جيوشها وعددها وعتادها، وطبيعة فتحها، وما حدث معه في طريقه للغزو، وما حصل عليه من هدايا، وكذلك إرسال الخراج بصورة منتظمة للخلافة العباسية، إلخ...[2].

فعندما توغل السلطان محمود في بلاد الهند في عام (403هـ-1012م) أرسل كتابًا للخليفة القادر بالله يذكر فيه معركة جرت بينه وبين الهنود، وأنه قد انتصر فيها عليهم بفضل الله سبحانه وتعالى، وغنم من الغنائم ما لم يغنمه أحد قبله[3]، وكذلك أرسل إليه في عام (414هـ-1023م) كتابًا يخبره فيه بأنه وصل إلى قلعة عظيمة فيها ستمائة صنم، وتسعة وخمسمائة فيل، وعشرين ألف دابة، فحاصرتها حتى طلب قائدها الأمان، فآمنته وأقررته على ولايته بخراج يدفعه[4].

ومن مظاهر حُسن العلاقة بين السلطان محمود والخلافة العباسية كذلك، مراسلة الخليفة العباسي القادر بالله وإخباره بمحاولات وإغراءات حُكام الدولة الفاطمية (الشيعية) في

---

[1] الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص734؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص273.

[2] المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج15، ص133، 159؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص592؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص250-251؛ العبر في خبر من غبر، الذهبي، ج2، ص217، 234؛ مرآة الجنان، اليافعي، ج2، ص18؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص10؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص245، 266؛ شذرات الذهب، ابن العماد، ج5، ص56، 90؛ تاريخ الإمارات الإسلامية بالمشرق الإسلامي، السامرائي، ص141.

[3] مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، ج18، ص214.

[4] تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص250-251؛ العبر في خبر من غبر، الذهبي، ج2، ص226.

مصر للتقرب منه وكسب وده، وإرسال الخلع، والكُتب التي يدعونه فيها إلى طاعتهم، وأن يخطب باسمهم في البلاد التي يحكمها، ورفضه وتصديه لتلك المحاولات، والتبرؤ منهم، وتجديد ولائه وإقراره بسلطة الخلافة العباسية[1].

وقد كان السلطان محمود يُخاطب الخليفة العباسي بأفضل العبارات والأقوال، من باب الاحترام والتقدير لخليفة الإسلام والمسلمين، ففي عام (414هـ-1023م)، أرسل للخليفة القادر بالله كتابًا بعنوان: "عبدُ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَصنِيعَتُه محمود بْن سُبُكْتِكين"[2]، وكذلك في عام (420هـ-1029م) أرسل إليه كتابًا عندما طهر بلاد الري من الفرق الضالة والمذاهب الفاسدة، يقول فيه: "سلامٌ علىَ سَيدنَا وَمَوْلَانَا الْإِمَام القادر باللَّه أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ"[3].

وقد ساهم قوة ووجود السلطان محمود السلطان السني القوي في بلاد المشرق الإسلامي في تعزيز موقف الخليفة العباسي القادر بالله في بغداد، حيث كانت العلاقات بينهما وثيقة، ففي المقابل اعترف الخليفة العباسي القادر بالله بالسلطان محمود، وأرسل إليه العديد من الهدايا نظرًا لجهوده في نشر الإسلام والغزوات التي قام بها في بلاد المشرق الإسلامي، ومنحه العديد من الألقاب المختلفة[4]، فقد كان بينهم احترام متبادل وثقة واطمئنان من قبل الخلافة العباسية بالسلطان محمود.

وكذلك تبادل الهدايا ففي عام (401هـ-1011م) فتح السلطان محمود إقليم المولتان في بلاد الهند، وغنم منها صنمًا من ذهب يزن أربعمائة رطل فأهداه للخليفة العباسي القادر بالله[5].

وكان السلطان محمود شديد الاهتمام بأخبار بلاد العراق مركز الخلافة العباسية، ومحبًا لما يصدر منها، ومن ذلك أنه كان مهتمًا بحجاج بيت الله الحرام، فعندما توقف حج أهل بلاد العراق عامي (410-411هـ-1019-1020م) بسبب قُطاع الطرق، فقام بحمايتهم

([1]) مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، ج18، ص318؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص17؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص22؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص232-251.

([2]) النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص259.

([3]) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج15، ص194؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص266.

([4]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص489؛ تاريخ مختصر الدول، ابن العبري، ج1، ص178؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص69.

([5]) البستان الجامع، أبو حامد الأصفهاني، ص276.

وتأمين خط سيرهم في عام (412هـ-1021م)[1]، وهذا يدل على أن السلطان محمود كان مُطلعًا على أخبار العراق ومهتمًا بها لأنها مركز الخلافة العباسية.

- **إرسال خلع التفويض:**

ومن مظاهر تلك العلاقة الجيدة بين السلطان محمود والخلافة العباسية، إرسال الخلافة العباسية خلع التفويض للسلطان محمود، فبسبب حُسن العلاقة بينهم من تبادل للكُتب، والتواصل الدائم بينهم، وبسبب جهوده في خدمة الإسلام والمسلمين في بلاد المشرق الإسلامي كان الخليفة العباسي القادر بالله يرسل خلع التفويض للسلطان محمود ويقره على البلاد التي يفتحها، مشجعًا وداعيًا له[2]، من أجل الثبات على هذا الطريق ومواصلة جهوده في فتح المزيد من البلاد وضمها للدولة الإسلامية.

وقد كان السلطان محمود دائمًا يطلب من الخليفة العباسي القادر بالله أن يعترف ويرسل له العهد على البلاد التي يفتحها[3]، ففي عام (389هـ- 999م) قام الخليفة القادر بالله بتولية السلطان محمود على إقليم خراسان، بسبب كثرة ما كان يسمع عن سيرته وأخباره الحسنة، وأرسل إليه الخلعة الفاخرة والتاج التي لم يرسل مثلها قط خليفة إلى أي سلطان من قبل وأطلق عليه كثيرًا من الألقاب[4]، وعندما سيطر السلطان محمود على بلاد الري في عام (420هـ-1029م)، أرسل إليه الخليفة القادر بالله خلع التفويض وأقره على ما يملك من أقاليم بلاد المشرق الإسلامي[5].

- **إقامة الخطبة للخليفة العباسي:**

بعد منح الخلافة العباسية خلع التفويض للسلطان محمود وأقرته على البلاد التي فتحها، حرص السلطان محمود في المقابل على إعلان خضوع دولته الضخمة وتبعيتها للخلافة

([1]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص668-669؛ مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، ج18، ص299؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص245؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص14؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص255-256.

([2]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص592؛ تاريخ الإمارات الإسلامية بالمشرق الإسلامي، السامرائي، ص141.

([3]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص592.

([4]) زين الأخبار، جرديزي، ص149، 251؛ الإنباء في تاريخ الخلفاء، ابن العمراني، ص184؛ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الطالبي، ج1، ص72.

([5]) الإنباء في تاريخ الخلفاء، ابن العمراني، ص184.

العباسية ببغداد، وإقامة الخطبة باسم الخليفة العباسي القادر بالله في أقاليم الدولة الغزنوية، للتأكيد على حسن العلاقة بينهم.

فعندما استتب الأمر للسلطان محمود في بلاد المشرق الإسلامي، بعد القضاء على الدولة السامانية في عام (389هـ- 999م)، أقام الخطبة للخليفة العباسي القادر بالله على منابر تلك البلاد، بعد أن كانت تقام باسم الخليفة الطائع لله[1].

ويذكر السامرائي أنه ومع هذا كله كان للسلطان محمود طموحات كبيرة تتمثل في السيطرة على مدينة بغداد، حيث أنه قد طلب من الخليفة العباسي القادر بالله أن يذكر اسمه في الخطبة وينقش على السكة، فرفض الخليفة ذلك، وأرسل له رسالة مكتوب فيها البسملة وأحرف (ألف- لام- ميم) فقط فلم يفهم السلطان محمود قصد الخليفة من ذلك، واستعان بالعلماء على تفسيرها ففسروها على أنها تدل على قول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ**﴾[2]، فتراجع السلطان محمود عن ذلك، ولعل من أبرز مبررات محاولات توجه الدولة الغزنوية نحو مدينة بغداد هو حسب قولهم التحضير للهجوم على أعداء الخلافة العباسية من الدولة الفاطمية الشيعية[3].

ويذكر محمود مقديش أن السلطان محمود كان قائد جيوش الخلافة العباسية وناصر دولتهم وفي طاعتهم[4].

ويرى الباحث أن سياسة السلطان محمود الحكيمة كانت تقتضي أن تكون علاقته بالخلافة العباسية علاقة تتسم بالولاء والحب والاحترام، فكان يقيم الخطبة باسم الخليفة العباسي، وكذلك كانت العلاقة الحسنة بين الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود والخلافة العباسية في عهد الخليفة القادر بالله تعود إلى وجود قاسم مشترك بينهم وهو الرغبة في نشر الإسلام والسنة النبوية الشريفة، ومحاربة أهل البدع والضلالة وأصحاب المذاهب الفاسدة والمنحرفة، لذلك كانت أعمال السلطان محمود تنال مباركة الخلافة العباسية على الدوام.

([1]) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، مسكويه، ج7، ص391، زين الأخبار، جرديزي، ص251؛ الإنباء في تاريخ الخلفاء، ابن العمراني، ص184؛ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج15، ص211؛ مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، ج18، ص116؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص37.

([2]) الفيل: 1.

([3]) تاريخ الإمارات الإسلامية بالمشرق الإسلامي، ص142-143.

([4]) نزهة الأنظار، ج1، ص300.

ب-**استشارة العلماء وكبار رجال دولته:**

إن الشورى في الإسلام طاعة لله سبحانه وتعالى، واقتداء برسوله محمد ﷺ، فهي نظام سياسي إسلامي عظيم، وحلقة وصل بين الحاكم وبطانته، وقد ورد في الأثر أن رسول الله محمد ﷺ كان يشاور أصحابه رضي الله عنهم في الأمور التي تنزل بالمسلمين، ولا يكون فيها نص شرعي يجب أتباعه، ويلزم فيها الاجتهاد لاختيار القرار الأنسب للأمة لجلب المصالح ودرء المفاسد، واقتداءً برسول الله محمد ﷺ، حيث قال أبو هريرة رضي الله عنه: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مَشُورَةً لأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[1]، وقد ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن الصحابة قد استشاروا رسول الله محمد ﷺ في أسرى يوم بدر[2].

وقد كان السلطان محمود يستعين في حكم الدولة الغزنوية بالعلماء والفقهاء وكبار رجال دولته وكبار قادة جيشه ليستنير بآرائهم في كافة الأمور المهمة، فكان يقربهم منه ولا يستغنى عن مشورتهم في أمور حُكم الدولة الغزنوية، انطلاقًا من قول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿...**وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ**...﴾[3]، فقد كان يشاور أهل الاختصاص من ذوي العلم والفهم، والعقل والخبرة والحنكة، كلاً حسب اختصاصه وعلمه، وكان مجلسه مقصد العلماء والفقهاء[4]، فالشورى وسيلة مهمة للكشف عن المواهب والقدرات لبناء الدولة وتنمية قدراتها في كافة المجالات، كما ورد في الحديث الشريف "مَا تَشَاوَرَ قَوْمٌ إِلَّا هُدُوا لِأَرْشَدِ أَمْرِهِمْ"[5].

فمن الدلائل التي تدل على أهمية الشورى في الإسلام، أن الله سبحانه وتعالى أمر بها رسوله محمدًا ﷺ، قائلاً في كتابه الكريم: ﴿...**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾[6]، بل إن الإسلام جعلها من صفات المؤمنين الصالحين، فقال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ**

([1]) الجامع الكبير، الترمذي، أبواب الجهاد/ ما جاء في المشورة، 265/3: رقم الحديث 1714.

([2]) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج4، ص78.

([3]) الشورى: 38.

([4]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص73-74.

([5]) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، ج9، ص343.

([6]) آل عمران: 159.

بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1]، وأخبر رسول الله محمد ﷺ فقال: "إِنَّ الْمُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ..."[2]، فالشورى مهمة لكل حاكم يسعى لجلب النصر والتمكين لدولته وأمته.

وقد اشتهر السلطان محمود كذلك بحبه ورعايته للعلماء والفقهاء وتقريبهم منه والذين قصدوه من مختلف الأقاليم الإسلامية[3]، فالشورى هي السبيل إلى الرأي الجماعي، الذي هو خير للمجتمع والفرد، فقد قال رسول الله محمد ﷺ: "إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ..."[4].

وعندما توجه السلطان محمود لبلاد الري في عام (420هـ-1029م)، من أجل محاربة أهل البدع والضلالة والمخالفين لكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله محمد ﷺ، ويتجاهرون بشتم الصحابة، وقبض عليهم، رجع إلى العلماء والفقهاء للتعرف على أحوالهم وأفكارهم ومعتقداتهم، واستشارهم في أمرهم[5]، فالحاكم الجيد والناجح هو من يتخذ من العلماء والفقهاء وأهل العلم والصلاح مستشارين يرجع إليهم ويسترشد بآرائهم وعلمهم.

وقد بين رسول الله محمد ﷺ إلى ضرورة اختيار المستشارين وأهمية اختيار الأصلح والابتعاد عن مستشاري السوء، فقد قال: "... مَنِ اسْتَشَارَهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ رُشْدٍ فَقَدْ خَانَهُ، ..."[6]، فانظر فيمن وثقت، وبمن استرشدت لكي لا تقع في الخطأ والزلل والخسران المبين.

وتقول فتحية النبراوي بأن الشورى تعتبر أصلاً من الأصول الأولى للنظام السياسي الإسلامي، بل امتدت لتشمل كل أمور المسلمين؛ وتأسيسًا على ذلك فإن الدولة الإسلامية تكون قد سبقت النظم الديمقراطية الحديثة في ضرورة موافقة الجماعة على اختيار من يقوم بولاية

([1]) الشورى: 38.

([2]) سنن ابن ماجه، ابن ماجة، الأدب/ المستشار مؤتمن، 1233/2: رقم الحديث 3745.

([3]) النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص273.

([4]) سنن ابن ماجه، ابن ماجة، الفتن/ السواد الأعظم، 1303/2: رقم الحديث 3950.

([5]) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج15، ص194-196؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص266-267.

([6]) مسند الإمام أحمد، ابن حنبل، ابتداء مسند أبي هريرة، رضي الله عنه/ صحيفة همام بن منبه، 259/8: رقم الحديث 8249.

أمورها ورعاية مصالحها وتدبير شؤونها؛ مما يؤكد قيمة وفاعلية الإجماع والشورى عند المسلمين[1]، والذي برع السلطان محمود بالعمل فيه.

ت-الزواج السياسي:

كان يجمع السلطان محمود وبعض أمراء المسلمين علاقات تصاهر فيما بينهم، فعندما عاد السلطان محمود من إحدى غزواته من بلاد الهند في عام (391هـ-1001م) أرسل إليه الأمير إيلك الخان يطلب منه مصاهرته[2].

وقد أرسل خوارزمشاه أبو العباس مأمون بن مأمون حاكم إقليم خوارزم والجرجانية للسلطان محمود وخطب إليه أخته فزوجه السلطان واتفقت كلمتهما وأصبحا يدًا واحدة إلى أن توفي[3].

وعندما توفي خوارزمشاه أبو العباس مأمون بن مأمون تولى حكم إقليم خوارزم والجرجانية ابنه علي، ولما استقر في الحكم راسل السلطان محمودًا ليخطب له أخته فأجابه إلى ذلك وزوجه، فداما على الاتفاق والاتحاد مدة من الزمن[4].

وقد كان بين السلطان محمود وبين أمراء الدولة البويهية كذلك علاقة تصاهر، حيث أن السلطان محمودًا تزوج بابنة غرة الدولة البويهية أبو الحارث محمد، وتزوج أبي نصر بن غرة الدولة البويهية من أخت السلطان محمود[5].

ويبدو أن السلطان محمودًا أراد من خلال هذه المصاهرات السياسية أن يثبت حكمه في بلاد المشرق الإسلامي، وأن يبني علاقات جيدة مع حكام البلاد المجاورة لدولته، لكي يتفرغ لمواصلة جهاده وغزواته لفتح بلاد ومناطق جديدة وخاصة في بلاد الهند.

ث-تبادل الرسل والوفود:

رسم السلطان محمود الكثير من النظم الإدارية والدبلوماسية والتي سار عليها في تسيير أمور دولته ومنها نظام تبادل الرسل والوفود.

---

(1) تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، ص24-25.

(2) زين الأخبار، جرديزي، ص251.

(3) زين الأخبار، جرديزي، ص259؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص611.

(4) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص491.

(5) اليميني، العتبي، ص302-303؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص485.

فقد ازدادت رغبة الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود في تحسين العلاقات مع البويهيين بعد سيطرة السلطان محمود على إقليم خراسان والقضاء على الدولة السامانية، فقد كان السلطان محمود منذ سيطرته على إقليم خراسان يسعى للحصول على اعتراف شرعي من الخليفة العباسي بحكمه عليها؛ فراسل بهاء الدولة البويهي في ذلك وبعث إليه رسوله أبا عمر البسطامي وبعض الهدايا وسأله التوسط لدى الخليفة القادر بالله فوجه بهاء الدولة أحد رجاله بصحبة رسول السلطان محمود إلى الخليفة العباسي القادر بالله ليسأله ما طلب السلطان محمود فأجابه القادر بالله إلى ذلك واعترف بحكمه عليها[1].

وفي المقابل كانت الوفود تأتي لمقابلة السلطان محمود، فقد قام الأمير منوجهر بن قابوس حاكم إقليم جرجان بإرسال وفد إلى السلطان محمود في عام (406هـ-1015م)[2].

ج-سياسة حسن الجوار:

كان السلطان محمود يعتمد سياسة حسن الجوار مع الدول والأقاليم الإسلامية المجاورة للدولة الغزنوية، من أجل تحقيق استقرار الجبهة الداخلية من ناحية والتفرغ للجهاد في سبيل الله وفتح مناطق جديدة ونشر الإسلام من ناحية أخرى، فقد كان على علاقة حسنة مع الأمير البويهي بهاء الدولة أحمد بن عضد الدولة بن بويه (ت403هـ-1013م) بحكم الجوار[3].

ولما توفي أيلك الخان في عام (403هـ-1013م)، الذي كان في حالة عداء مع السلطان محمود وتولى بعده أخوه طاغان حكم بلاد ما وراء النهر[4]، تراسلوا وتصالحوا لأنهم رأوا أن مصلحة المسلمين في ذلك واتفقوا على أن يتركوا بعضهم البعض وينشغلوا في غزو بلاد الكفر[5]، حيث رأى السلطان محمود بأن مصلحة المسلمين تكمن في ترك الخلافات جانبًا والتفرغ لغزو بلاد الهند ونشر الإسلام فيها.

---

(1) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص18.

(2) المصدر السابق، ج29، ص192.

(3) المصدر نفسه، ج28، ص18.

(4) بلاد ما وراء النهر: يحدها من جهة الشرق الراشت وما يتاخم بلاد الختل في بلاد الهند، ومن جهة الغرب بلاد الغزية، ومن جهة الشمال بلاد الترك وفرغانة، ومن جهة الجنوب نهر جيحون؛ صورة الأرض، ابن حوقل، ج2، ص459-460.

(5) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص589؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص18.

وكان السلطان محمود مثالاً يُحتذى به للحاكم المسلم في إدارة حكم دولته والذي يعلم جيدًا مهام الحاكم والواجبات المنوطة به، لذلك جاءت حياته وفترة حكمه تصديقًا لهذه الواجبات والمهام الموكلة إليه، وهكذا استطاع السلطان محمود إدارة زمام أمور الدولة الغزنوية في كافة نواحيها الإدارية والسياسية ببراعة وحكمة ورجاحة عقل ومهارة منقطعة النظير.

2- إدارة الرعية:

عندما تسلم السلطان محمود حُكم الدولة الغزنوية في عام (388هـ-998م)، استقبل الخاصة والعامة المهنئين له بتوليته الحكم[1]، فقد كان كثير الإحسان إلى رعيته والرفق بهم، وبقضاء مصالحهم[2].

وقد عمل السلطان محمود على حماية حجاج بيت الله الحرام ففي عام (412هـ-1021م)، عندما توقف الحج في العامين السابقين بسبب قُطاع الطريق وأهل الفساد، وفر لهم الحماية ليحجوا بسلام[3].

وقد كان السلطان محمود يكثر من مجالسة الناس ويتعرف على مشاكلهم وهمومهم ويتقرب منهم، فعندما مرض مرضًا شديدًا في آخر عامين من حياته لم يمنعه ذلك المرض من مجالسة الناس والسماع لهم حتى أنه كان يصطنع القوة بالحيلة والتكلف حتى يبدو أمام الناس وليس به مرض أو ألم، إلى أن توفاه الله سبحانه وتعالى وهو كذلك[4].

فالتقرب من الرعية أمر مهم للحاكم الجيد والناجح لكسر الحاجز بينه وبين رعيته لكي يفهم مشاكلهم ويعمل على حلها ويعلم ما يريدون فيصحح من أخطائه ويزيد من نجاحاته، ولنا

([1]) زين الأخبار، جرديزي، ص251.

([2]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص734؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص73-74؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص37.

([3]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص668-669؛ مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، ج18، ص299؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص245؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص14؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص255-256.

([4]) زين الأخبار، جرديزي، ص273؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص731؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص38.

في رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة حيث كان يجالس الناس ويسمع لهم، وهو الذي قال: "كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"[1].

ومن هنا يمكنني القول بأن الإدارة الإسلامية بهذه الشمولية، هي عقيدة لأن تلك المبادئ والقواعد والقوانين التي تعتمد عليها، مستندة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وأن القدرة على استخدام هذه المبادئ والقوانين، تجعل الحَاكم المؤمن يضع نصب أعينه مخافة الله سبحانه وتعالى، والحرص على إتباع أوامره واجتناب نواهيه، للوصول بالدولة إلى أفضل النتائج.

ثانيًا: الاهتمام بالحياة العمرانية والعلمية:

اهتمت الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود بفن العمارة وبنوا العديد من المساجد والقصور، فعندما انتهى السلطان محمود من فتح إقليم كشمير في بلاد الهند في عام (407هـ-1016م)؛ وعاد إلى مدينة غزنة، أمر بإعادة بناء المسجد الجامع، فبنى بناء لم يسمع بمثله، ووسع فيه، وأنفق عليه المال الكثير، ونقل إليه من بلاد الهند والسند جذوعًا توافقت قدودًا ورصانة، وتناسبت تدويرًا وثخانة، وقد أضاف للمسجد بيتًا لخاصته، مكعب البناء، موسع الفناء، متناسب الزوايا والأرجاء[2].

وقد بنى السلطان محمود على نهر جيحون في عام (421هـ-1030م) جسرًا كبيرًا وأنفق عليه الكثير من المال، وهذا شيء لم يتفق لأحد من الحُكام قبله[3]، فإن الإنفاق في سبيل الله مما يستنزل به النصر والتمكين من عند الله سبحانه وتعالى القائل في كتابه الكريم: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ(3) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ(4)**﴾[4]، فالمنفق في سبيل الله سبحانه وتعالى لا بد أن ينصره الله ويمكن له في الأرض.

([1]) صحيح البخاري، البخاري، الجمعة/ الجمعة في القرى والمدن، 5/2: رقم الحديث 893.

([2]) اليميني، العتبي، ص414-416.

([3]) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص37-38.

([4]) الأنفال: 2-4.

وقد بنى السلطان محمود العديد من القصور، ومنها قصره (الفيروزي) بمدينة غزنة، وكان أيام مقامه بمدينة غزنة، يؤثره على سائر قصوره[1].

وعمارة الأرض تجلب النصر والتمكين، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بعمارة الأرض فقال: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...**﴾[2]، وقال أيضًا: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ...**﴾[3].

ويعتبر العلم سلاحًا يحارب به الإنسان الظلمة وينير به طريقه، وينقله من الجهل إلى التقدم، فالعلم أساس تقدم المجتمعات وازدهارها، والعصب الحقيقي لتطورها وتقدمها، والسمة التي تتفاخر بها الأمم، وتسعى للوصول إلى أعلى المراتب فيه، لما لها من أهمية كبيرة وأثر عظيم يعود على الفرد والمجتمع، حيث لا يمكن للمجتمع أن يتقدم من غير العلم والمعرفة.

وإن الاهتمام بالعلماء والتواضع لهم لهو من صلب عقيدة الإسلام، فقد أمر رسول الله محمد ﷺ المسلمين بطلب العلم، وبين فضل العلماء على الناس، فقال: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ"[4]، وإن أقوامًا يثني عليهم أهل السموات والأرض ويستغفرون لهم، ولهم من الفضل ما جعلهم ورثة الأنبياء ويهتمون ويقدمون العلماء، أفلا ينصرون ويمكن لهم في الأرض ويؤيدهم الله سبحانه وتعالى بالنصر والتمكين والرفعة.

فمن المبادئ السامية التي أرساها السلطان محمود في دولته والتي ميزتها عن مثيلاتها من الدول المستقلة هي نهضتها الحضارية والثقافية، واحترامها وتقديرها للعلماء والفقهاء والأدباء، فقد اشتهر بحبه وتشجيعه للعلوم والأدب، والعمل على نشره في بلاد المشرق الإسلامي، حتى قصده العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء من مختلف الأقاليم الإسلامية، وأغدق

---

(1) مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، ج18، ص365؛ قصة الحضارة، وِل ديورَانت، ج13، ص251.

(2) البقرة: 30.

(3) سورة ص: 26.

(4) سنن أبي داود، أبو داود، العلم/ الحث على طلب العلم، 317/3: رقم الحديث 3641.

عليهم الأموال الكثيرة، فقد كان مجلسه مورد العلماء والفقهاء، ومقصد الأئمة والقضاة والأدباء[1]، وقد كان يكرمهم ويجالسهم ويقبل عليهم ويعظمهم ويحسن إليهم، ويوقرهم[2].

ويرجع سبب اهتمام السلطان محمود بالحياة العلمية بشكل واضح وكبير إلى أنه كان عنده علم ومعرفة، فقد كان عالمًا في الفقه، ومولعًا بعلم الحديث، وله مصنفات في الفقه والعلوم الأخرى، ومنها تأليفه كتابًا في فقه الحنفية قبل توليه الحكم بعامين[3]، فحب السلطان محمود للعلم وعمله به، انعكس بشكل إيجابي على ازدهار الحياة العلمية في الدولة الغزنوية، وبالتالي أدى إلى قوة نفوذ الدولة الغزنوية وعلو شأنها ورفع مكانتهم في بلاد المشرق الإسلامي، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾[4].

فبعد أن كانت هذه النهضة العلمية محصورة في مدينة بغداد عاصمة الخلافة العباسية، سعت الدول المستقلة عنها لجعل بعض المدن الكبرى التابعة لها مركزًا علميًا وثقافيًا، فقد برزت مدينة غزنة في عهد السلطان محمود كمركز للعلم والثقافة، وكان عهده أحد ألمع فترات ازدهار وتطور الحياة العلمية في الدولة الغزنوية، واكتسبت مدينة غزنة في عهده شهرة واسعة وازدهارًا كبيرًا، وأصبحت دارًا للعلم ومقرًا للعلماء والفقهاء، وقبلة للشعراء والكتاب والأدباء، ومحط أنظار الكثير منهم، ومركزًا ثقافيًا وعلميًا، وقد نشطت الرحلة في طلب العلم بينها وبين المدن والأقاليم الإسلامية الأخرى، وكان طلاب العلم ينهلون منها العلم في شتى ميادين المعرفة[5].

فقد أنشأ السلطان محمود العديد من المدارس في الدولة الغزنوية، كالمدرسة السعيدية بمدينة نيسابور في عام (390هـ-1000م)، والتي بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود عندما كان واليًا على مدينة نيسابور من قبل السلطان محمود[6].

([1]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص734؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص73.

([2]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص734؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص38؛ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الطالبي، ج1، ص72-73.

([3]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص734؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص72، النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص273؛ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الطالبي، ج1، ص72.

([4]) المجادلة: 11.

([5]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص734؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص73؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص38؛ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الطالبي، ج1، ص72-73.

([6]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص311.

ولقد أمر السلطان محمود ببناء مدرسة في المسجد الجامع في مدينة غزنة عام (407هـ-1017م)، مزودة بمكتبة تحتوي على نفائس الكتب والكثير من تصانيف العلماء والفقهاء والأدباء، وكثير من علوم الأولين والآخرين، ويُدرس بها العلماء والفقهاء علوم الدين، وأصبحت مقصدًا معروفًا لأهل العلم والمعرفة[1]، وشعارهم فيها كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿...**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[2]، وكذلك بنى في بلاد الهند كثيرًا من المساجد[3].

وبالتالي يتبين للباحث بأن السلطان محمودًا قد بنى المدارس قبل نظام الملك الطوسي[4] الذي أنشأ المدارس النظامية في عام (459هـ-1067م)، والذي يعتبره كثير من المؤرخين أول من بنى المدارس[5].

واهتم السلطان محمود كذلك بتشجيع علماء الدين والحركة الدينية وبلغ اهتمامه بهم مدى كبيرًا جدًا، فالتف حوله كثير من العلماء والفقهاء، وضم بلاطه كثيرًا منهم، ومن أشهرهم: العالم الفقيه أبو محمد الناصحي[6]، والعالم الفقيه محمد بن الهيضم[7]، والعالم الفقيه أبو بكر القفال[8]، والعالم الفقيه والحافظ أبو حاتم بن حاموش[9]، والعالم الزاهد أبي الحسن الخرقاني[10]، والعالم الفقيه ابن أبي الطيب النيسابوري[11]، والواعظ عثمان النيسابوري[1]، والعالم أبي الخير

([1]) اليميني، العتبي، ص417-418.

([2]) طه: 114.

([3]) مرآة الجنان، اليافعي، ج3، ص18.

([4]) نظام الملك الطوسي: هو الوزير الحسن بن علي بن إسحاق، وزير السلطان السلجوقي ألب أرسلان وولده السلطان ملكشاه، كان من خيار الوزراء، ولد بمدينة طوس في عام (408هـ-1018م)، وعمل بالعلم والقراءات والتفقه وكان على مذهب الإمام الشافعي؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص172-173.

([5]) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص172-173؛ حسن المحاضرة، السيوطي، ج2، ص255.

([6]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص668-669؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص245؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص14؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص255-256.

([7]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص232؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص38.

([8]) مرآة الجنان، اليافعي، ج3، ص24؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص422؛ طبقات الفقهاء الشافعية، ابن الصلاح، ج1، ص496؛ الوافي بالوفيات، الصفدي، ج17، ص27.

([9]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج33، ص58.

([10]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص162؛ روضة أولي الألباب، البناكتي، ص237-238.

([11]) تاريخ بيهق، ابن فندمه، ص348؛ معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج4، ص1781؛ الوافي بالوفيات، الصفدي، ج21، ص136-137.

الميهنى[2]، والعالم أبو عبد الله الخبازي المقرئ[3]، والمؤدب المقرئ أبو علي الشرمقاني[4]، وغيرهم.

فالعلماء لهم قوة الرأي وبعد النظر، وهم زينة الحُكام والسلاطين، ومظهر استقرار الدولة، ولنخرج بنتيجة مفادها أن الدولة التي تحترم وتقدر العلماء دولة قوية ومزدهرة، وأن الدولة التي تحارب العلماء وتقلل من احترامهم دولة ضعيفة منهزمة، وقد مدح الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم العلماء بقوله: ﴿...**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**...﴾[5].

وقد ازدهر الأدب والشعر في الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود، وعاش في كنفها كثير من كبار الأدباء والشعراء، وكانت لهم مكانة كبيرة داخل الدولة الغزنوية، ولعل من أشهرهم: الكاتب والشاعر الكبير أبو الفتح البستي[6]، والشاعر أبو زيد الرازى[7]، والشاعر أبو الفضل أحمد ابن الحسين الهمذاني المشهور بالبديع، والذي كان يؤلف الشعر للسلطان محمود ويجعله باسمه[8]، والشاعر أبو النصر النيسابوري أحمد بن علي بن إسماعيل بن عبد الله بن

([1]) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج8، ص23؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص24.

([2]) أبى الخير الميهنى: هو أبو سعيد فضل الله، ولد في عام (357هـ-968م)، وتوفي في عام (446هـ-1054م)؛ روضة أولي الألباب، البناكتي، ص204.

([3]) تبيين كذب المفتري، ابن عساكر، ص363-364؛ المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، الصريفيني، ص43؛ التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، ابن نقطة، ص90؛ معرفة القراء الكبار، الذهبي، ج1، ص413-414؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج30، ص234-235.

([4]) أبو علي الشرمقاني: هو الحسن بن أبي الفضل، ينسب إلى بلدة شرمقان الواقعة بمدينة نيسابور، وكان أحد حفاظ القرآن الكريم ومن العالمين باختلاف القراءات ووجوهها، وقد توفي في عام (451هـ-1059)؛ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج8، ص414؛ الأنساب، السمعاني، ج8، ص88؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج30، ص304-305.

([5]) فاطر: 28.

([6]) ويذكر أبو الفداء أنه قد توفي في عام (407هـ-1016م)؛ المختصر في أخبار البشر، ج2، ص139؛ العبر في خبر من غبر، الذهبي، ج2، ص199؛ الوافي بالوفيات، الصفدي، ج22، ص105؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص474.

([7]) روضة أولي الألباب، البناكتي، ص257.

([8]) ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص485.

ميكال، والذي كان يُضرب به المثل في الخصال الحسنة، وكان أديبًا وشاعرًا وله شعر حسن، وأدب رائع، وبلاغة وبراعة، وقد توفي في عام (406هـ-1015م) في مدينة غزنة[1].

وقد زخرت الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود بطائفة كبيرة من أعلام التاريخ، وكانت محط إعجاب كثير من المؤرخين، وكان من أشهر هؤلاء المؤرخين: أبو النصر العتبي[2]، وأبو الفضل البيهقي[3]، وأبو الريحان البيروني[4].

وقد اهتمت الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود بالفن والزينة إلى جانب اهتمامهم بالأدب، ففي المسجد الجامع بمدينة غزنة أنفق السلطان محمود على تزينه الكثير من الأموال، ووضع عليه من الأصباغ ما تستوقف الأبصار، وتقيد النظار، وزين جدران المسجد بالذهب[5]، وقد زين كذلك قصره بصور تمثله هو وجيوشه، وفيلته[6].

وإن التاريخ لا يعتد بحساب الأزمان والأيام، وإنما يعتد بحجم التأثير الحضاري والفكري الذي يتركه الحاكم والدولة، والدليل على ذلك أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز تبوأ مكانته المعروفة في التاريخ بفترة حكم لم تتجاوز العامين، وبقى ذكره حيًا في القلوب، وعنوانا للعدل والإنصاف والتقدم الحضاري.

وعلى أية حال؛ فإن الرعاية والاهتمام الذي شهده الجانب الحضاري خلال فترة حكم الدولة الغزنوية وخاصة في عهد السلطان محمود، قد بقى آثارها إلى يومنا هذا في مدينة غزنة بأفغانستان من مبانٍ أثرية وتقدم في الحياة العلمية وغيرها، وقد حصلت مدينة غزنة في عام (1434هـ-2013م) على لقب (عاصمة الثقافة الإسلامية في القارة الأسيوية)[7]، لما فيها من

([1]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص138؛ ديوان الإسلام، أبو المعالي، ج4، ص203.

([2]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج27، ص226؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص16؛ سمط النجوم العوالي، العصامي، ج4، ص144؛ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الطالبي، ج1، ص72.

([3]) الوافي بالوفيات، الصفدي، ج3، ص17.

([4]) روضة أولي الألباب، البناكتي، ص338، 369.

([5]) اليميني، العتبي، ص416.

([6]) قصة الحضارة، وِل ديورَانت، ج13، ص251.

([7]) مدينة غزني (دولة أفغانستان الإسلامية): عاصمة الثقافة الإسلامية لعام 2013 عن المنطقة الأسيوية، إيسيسكو؛ انظر: شكل (3): بعض آثار مدينة غزنة، ص 144؛ انظر: شكل (4): بعض آثار مدينة غزنة، ص1445.

أماكن علمية ومراكز ثقافية يعود تاريخها إلى الدول الإسلامية التي حكمت تلك المنطقة بما في ذلك الدولة الغزنوية.

الفصل الثالث

الأسباب العسكرية للنصر والتمكين للدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود

المبحث الأول:

التخطيط والإعداد لتحقيق النصر والتمكين

أولاً: حُسن التخطيط والإعداد العسكري:

ظهرت كفاءة السلطان محمود العسكرية عبر المواجهات التي قادها ضد أعدائه، والتي استخدم فيها التكتيكات العسكرية، والرؤى الإستراتيجية، استنادًا لقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...**﴾[1].

وقد اعتمد السلطان محمود على العديد من أساليب التكتيك العسكري، **ومنها:**

1- أسلوب استكشاف ورصد العدو:

اعتمد السلطان محمود أسلوب الرصد واستكشاف جيوش العدو في كثير من معاركه، للبقاء على أهبة الاستعداد والتركيز على تحركاته واختيار الأسلوب والوقت المناسب وتجهيز العتاد اللازم لمواجهته والهجوم عليه وتحقيق النصر والتمكين لجيشه.

ففي إحدى المعارك التي خاضها السلطان محمود في بلاد الهند ضد جيش الهنود بقيادة أحد ملوكها المسمى نندا في عام (410هـ-1019م)، صعد إلى مكان مرتفع لاستكشاف عدد وعتاد وطبيعة تسليح وجاهزية معسكر جيش نندا، وأرسل أحد جنوده ليستطلع جيشهم، ويحصي عدده ويجمع المعلومات عنه من حيث عدد الخيام والفرسان والمترجلين والأفيال، ليستطيع وضع الخطة المناسبة التي تمكنه من الانتصار عليهم[2].

وقد كان للسلطان محمود فرق استطلاع خاصة منتشرة في كل مكان لرصد وتتبع أخبار الأعداء، فعندما هرب أحد الأمراء من السلطان محمود على الصحراء، بث السلطان محمود عيونه لملاحقته، وقد وجدوه قد احتمى عند الأمير إسرائيل بن سلجوق، وتمكنوا من القبض عليه[3].

---

(1) الأنفال: 60.

(2) زين الأخبار، جرديزي، ص262.

(3) المصدر السابق، ص267.

2- استخدام أسلوب الخدع العسكرية، واختيار وقت المعركة المناسب:

اعتمد السلطان محمود على أسلوب تضليـل العـدو لتحقيق مبدأ المباغتة في مواجهة جيوش الأعداء، لتحقيق النصر والتمكين لدولته، من خلال الاستعداد الجيد للمعركة، واختيار وقت الحرب المناسب للمحافظة على سلامة جنود جيشه، وقد اهتدى بهدي رسول الله محمد ﷺ عندما قال: " الْحَرْبُ خَدْعَةٌ"[1].

فقد كان قبل أي معركة يخوضها ضد أعدائه يعسكر في مكان المعركة وينتظر ملاقاة الأعداء[2]، فعندما علم السلطان محمود بتحالف الأمير أيلك الخان ملك الترك مع قدر خان بن بغرا خان ملك الختن لقرابة بينهما، وتوجههما إلى إقليم خراسان من أجل محاربته في عام (397هـ-1007م)، سبقهم السلطان محمود إلى مدينة بلخ، وعسكر في مكان يصلح للحرب وتجهز لمقابلتهم، وتحقق له النصر والتمكين عليهم في تلك المعركة[3].

وتوجه السلطان محمود في عام (400هـ-1010م) للقضاء على المفسدين المتواجدين في بلاد الغور بقيادة ابن سورى، وعندما التقى الجيشان، أمر السلطان محمود جيشه أن ينسحب بهدف استدراج جيش ابن سورى إلى مكان بعيد ليغتنم الفرصة المناسبة وينقض عليهم، ففرح جيش ابن سورى وظن أنه قد انتصر، وقد باغتهم وضرب عليهم الحصار فأصبح جيش ابن سورى كهشيم محتضر، أو كأعجاز نخل منقعر، وأوقع جيش السلطان محمود فيهم قتلاً وأسرًا، ودخل السلطان محمود بلاد الغور فاتحًا غانمًا[4].

وعندما عزم السلطان محمود على فتح مدينة قصدار، من أجل حماية دولته من خطر الأمير أيلك الخان ليتقي شره، فجهز جيشه وتوجه لمحاربتهم في عام (402هـ-1011م)، وتظاهر بأنه متجه إلى مدينة هراة، لمباغتتهم، وعندما اطمأنوا توجه إليهم بسرعة كبيرة وقطع المضائق والجبال الوعرة دون أن يشعروا به، وضرب عليهم حصارًا محكمًا، فخارت قواهم وطلبوا الصلح والأمان من السلطان محمود، فآمنهم[5].

([1]) مسند الإمام أحمد، ابن حنبل، مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، 470/1: رقم الحديث 697.

([2]) ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج5، ص22.

([3]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص545.

([4]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص570؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج27، ص245-246.

([5]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص576.

وقصد السلطان محمود قلعة نندنه في عام (404هـ-1013م)، ولما علم ملك بلاد الهند آنذاك تروجنبال هرب إلى إقليم كشمير وترك بعض جنودها فيها، فأمر السلطان محمود بحفر سردابٍ تحت الأرض لاقتحام القلعة، والاحتماء من سهام جيش القلعة، ولما رأى جنود القلعة ما صنع السلطان محمود وجنوده وإصرارهم على فتح القلعة طلبوا الأمان واستسلموا فى الحال[1].

ولما توجه السلطان محمود لغزو منطقة تانشير في بلاد الهند في عام (405هـ-1014م) وجد في طريقه طريقًا وعرة ونهرًا صعب المخاض، يعسكر عليه جيش الهنود لمنع جيش السلطان محمود من عبوره، فأمر السلطان محمود شجعان جيشه بإشغال جيش الهنود بالقتال ليتمكن هو وباقي جيشه من العبور، فعبرو النهر وقاتلوا جيش الهنود حتى انتصروا وغنموا منهم الكثير من الغنائم[2].

وعندما توجه لغزو بلاد الهند في عام (406هـ-1015م) ضرب حصار على قلعة لوه كوث القريبة من إقليم كشمير لكنه بعد فترة من محاصرتها اضطر لتركها والرجوع إلى مدينة غزنة بسبب البرد والثلج الشديد[3]، وبعدها عزم السلطان محمود على فتح إقليم كشمير، وتوجه إليها في عام (407هـ- 1016م)، وفي الطريق وصل إلى قلعة كلجند، فأرسل قائد قلعة كلجند جيشه للتصدي لجيش السلطان محمود فترك السلطان محمود عليهم بعض جيشه ليقاتلوهم وسلك هو وباقي الجيش طريقًا آخر مختصرًا إلى القلعة دون أن يشعر بهم جيش القلعة وقاتلهم قتالاً شديدًا حتى تمكن من هزيمتهم والسيطرة على قلعتهم[4].

وقد استخدم السلطان محمود السلالم لاقتحام القلاع والحصون لمباغتة العدو، فعندما فتح مدينة سومنات في بلاد الهند في عام (416هـ-1025م)، استخدم الجيش الغزنوي السلالم، للصعود على أسوار قلعتها واقتحامها من أجل فتحها والتغلب على جيش الهنود المتحصنين داخلها[5].

([1]) زين الأخبار، جرديزي، ص258.

([2]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص595.

([3]) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الطالبي، ج1، ص72.

([4]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص612-613؛ تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، ج1، ص317.

([5]) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص28.

وكان السلطان محمود يختار وقت الحرب المناسب بدقة، فعندما أراد محاربة الفرق الضالة والمذاهب الفاسدة في بلاد الري، توجه إليهم في عام (420هـ-1029م) وقد توقف في إقليم جرجان، وعسكر فيها بسبب فصل الشتاء، وبعد انتهاء فصل الشتاء أكمل المسير إلى بلاد الري وطهرها من دعاة الباطنية الكفرة والمبتدعة الفجرة، وقضى عليهم[1].

وقد استخدم السلطان محمود أسلوب الدهاء والمكر في التعامل مع معارضيه والتخلص منهم، فعندما قويت شوكة الأمير السلجوقي أرسلان بن سلجوق وكثر عدد جنوده، أرسل إليه واستماله، وعندما وصله قبض عليه وسجنه[2].

ويتضح للباحث مما سبق رجاحة عقل وحنكة السلطان محمود في قيادة الجيش واستخدام الخدع العسكرية لتشتيت وخلخلة توازن جيش أعدائه، والعمل على زعزعة استقراره، وهذا يؤدي بالتالي إلى انهياره وضعفه وبعدها يسهل إلحاق الهزيمة به والانتصار عليهم.

3- تجهيز الجيوش:

ظهرت كفاءة السلطان محمود في تجهيز الجيوش والعمل على إعدادها بشكل جيد والاهتمام في أمورها في وقت الإعداد والحرب.

فقد اهتم السلطان محمود بتجهيز الجيوش تجهيزًا جيدًا، قبل خوض أي معركة، وكان يسند قيادة الجيش لخيرة كبار قادته، ويرتب الجيش ويقسمه، ويختار أنسب الأماكن لخوض المعارك[3]، ويختار من الجيش ووحداته القتالية عددًا يتناسب مع طبيعة تلك المعركة أو المهمة التي يتجهز لها[4].

وعمل على تسهيل حركة الجيش من خلال بناء الجسور، فقد بنى جسرًا على نهر جيحون في إحدى غزواته على بلاد الهند[5]، وحرص كذلك على التزود بالطعام والشراب قدر الكفاية عند الخروج للغزو ....

---

(1) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج15، ص194-196.

(2) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج8، ص7.

(3) زين الأخبار، جرديزي، ص259، 265؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص503؛ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء ج2، ص157؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص637-638.

(4) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص525.

(5) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص37-38.

والجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى[1].

وقد اهتم السلطان محمود ببناء القلاع والحصون، لحماية جنود جيشه وإرساء قواعد حكمه، فعندما توجه السلطان محمود لغزو بلاد الهند في عام (411هـ-1020م) أرسل الحاجب علي بن إيل أرسلان على رأس جيش لفتح وادي نور ومحاربة المتمردين على حكمه ففتحها وبنى فيها قلعة[2].

4- الهمة العالية:

كان السلطان محمود وجيشه ذي همة عالية لا يكل ولا يمل وفي جهاد متواصل في سبيل الله سبحانه وتعالى لجعل كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى، ورفع راية الإسلام عالية ونشره بين الأمم وكذلك فتح البلاد وتحرير العباد وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

فقد كانت همة السلطان محمود وجيشه تناطح السحاب، فقد خاض الصحاري وقطع مسافات كبيرة فسيحة الأقطار والأطراف وقلية الماء وواجهوا صعوبة وقاسوا مشقة للجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى[3]، فعندما قرر غزو بلاد الهند عام (400هـ-1010م) استنفر الجيش، واخترق الجبال والسهول، إلى أن توسط بلاد الهند فاستباحها، وهدم أصنامها[4]، فهو لا يتوانى عن رفع راية الحق والإسلام وهدم الأصنام على الرغم من وعورة الطريق وصعوبة مسلكه.

وقد امتاز كذلك بسرعة التحرك بالجيش وقطع المسافات الكبيرة للوصول إلى هدفه، فعندما توجه لغزو بلاد الهند في عام (404هـ-1013م) سار شهرين، حتى قارب مقصده، وعندما توجه إليها في عام (407هـ-1016م) عازمًا على فتح إقليم كشمير قطع إليها مسافة ثلاثة أشهر سيرًا متواصلاً دون توقف[5]، فرغم المسافات البعيدة ووعورة الطريق وقلة الماء إلا أنه كان يصر على مواصلة الجهاد وفتح البلاد وتحرير العباد[6].

([1]) ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص492.

([2]) زين الأخبار، جرديزي، ص263.

([3]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص595.

([4]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج27، ص245.

([5]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص592، 612.

([6]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص71.

وعندما علم السلطان محمود بفساد أهل جبال بلاد الغور صمم على أن يخوض تلك الجبال الوعرة لمحاربتهم انتصارًا للإسلام والمسلمين وإعلاءً لكلمة الحق المبين ودفاعًا عن شعائر الدين[1].

ولما غزا بلاد الهند في عام (406هـ-1015م) وصل إلى مناطق غريبة وأرض قد غمرها الماء فخاض هو وجيشه الماء أيامًا وغرق كثير من جيشه[2]، وبعد أن علم بأن بهيم زعيم منطقة انهلوارة في بلاد الهند قد توجه لقلعة تسمى كندهة في البحر في عام (416هـ-1025م)، لحق به وتوجه إليها وخاض البحر هو وجيشه وقضى عليه[3].

وعندما كان يتوجه لفتح منطقة ما كان يفتح القلاع والحصون القوية والمنيعة في طريقه بوقت قصير جدًا دون توقف أو تعب وخاصة في بلاد الهند، فمثلاً عندما توجه لفتح إقليم كشمير في عام (٤٠٧هـ- ١٠١٦م) فتح كثيرًا من القلاع والحصون في طريقه وبوقت قصير[4].

ولما سمع السلطان محمود بصنم الهند الأعظم سومنات وتقديس الهنود له وتعظيمه وعلو شأنه عندهم عزم على هدمه وإذلال كبرياء عُباده من أهل الهند[5].

وعندما علم السلطان محمود بخبث اعتقاد وإلحاد أبي الفتوح والي إقليم المولتان في بلاد الهند، وأنه قد دعا أهل ولايته إلى ما هو عليه، فأجابوه، توجه لمحاربته وقد واجه في طريقه أنهارًا كثيرة الزيادة، عظيمة المد، وخاصة نهر سيحون، فأرسل إلى أندبال أحد ملوك بلاد الهند يطلب منه أن يأذن له للعبور ببلاده إلى إقليم المولتان، فلم يوافق على ذلك، فاقتحم السلطان محمود بلاده وسيطر عليها، وأكثر القتل فيها واحرق مساكنها، وقال نجمع بين غزوتين، ثم توجه إلى إقليم المولتان وضرب عليها الحصار حتى تمكن من فتحها عنوة[6].

([1]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص570-571؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج27، ص245.

([2]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص607؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص3.

([3]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص685.

([4]) ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص492-493.

([5]) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص28؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص71؛ شذرات الذهب، ابن العماد، ج5، ص90.

([6]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص541.

وقد توجه السلطان محمود إلى بلاد الري في عام (420هـ-1029م) وتمكن من فتحها[1]، مع أن في هذا العام سقط في بلاد المشرق الإسلامي مطر وبرد شديد، وحدث كثير من الفيضانات[2].

ورغم شدة مرضه لم يترك السلطان محمود ساحات الجهاد في سبيل الله، فقد ظل في جهاد دائم لا يكل ولا يمل، رغم إخباره من قبل الأطباء بضرورة الخلود للراحة، ولكنه كان يصطنع القوة بالحيلة والتكلف حتى يبدو أمام الناس وليس به مرض أو ألم، وذلك لشهامته وصرامته، وقوة عزمه[3]، فقد كان يتمتع بهمة عالية وكفاءة نادرة، وطموح عظيم.

وهمة السلطان محمود تذكرنا بهمة الصحابي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه في خوض المعارك دون كلل أو ملل وهو يتنقل بين المدن والأقاليم يفتح الواحدة تلو الأخرى، ومن ذلك انتقاله وجيشه في عهد الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه من العراق بسرعة كبيرة ووقت قصير لمساندة الجيوش الإسلامية في استكمال فتح بلاد الشام.

ثانيًا: توسيع حدود الدولة وتوطيد أركانها:

أمضى السلطان محمود أغلب حياته في الجهاد والغزو في سبيل الله سبحانه وتعالى، وهو ما امتاز به عهده وذاع به صيته، فقد تعددت حملاته وغزواته وكان في كل مرة يحقق نصرًا ويضيف إلى دولته رقعة جديدة، واتفق له في بلاد المشرق الإسلامي فتوحات لم تتفق لغيره، لا قبله ولا بعده، وامتلأت خزائنه بكثير من الأموال والجواهر، ودان له حكام بلاد المشرق الإسلامي بالطاعة والولاء.

وعاشت الدولة الغزنوية في عهده ألمع فتراتها، وقد بذل جهودًا كبيرة في سبيل ترسيخ نفوذ دولته وتوسيع رقعة العالم الإسلامي، من خلال انتهاجه سياسة التوسع على حساب

---

(1) زين الأخبار، جرديزي، ص273؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص710؛ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء ج2، ص157؛ الإنباء في تاريخ الخلفاء، ابن العمراني، ص184؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص668.

(2) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص26-27.

(3) زين الأخبار، جرديزي، ص273؛ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج15، ص212؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص731؛ العبر في خبر من غبر، الذهبي، ج2، ص245؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص74؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص35؛ ويذكر البناكتي أنه قد توفي في عام (420هـ-1029م)، روضة أولي الألباب، ص239.

الكيانات السياسية المجاورة لحدودها، فقد حقق السلطان محمود قفزة هائلة فى تاريخ الدولة الغزنوية، فترامت أطرافها، واتسع نفوذها، وذاع صيتها، وأصبحت بلا منافس من حيث هيبتها ومكانتها العسكرية.

وبعد نجاحه في السنوات الأولى من حكمه في تقوية وتثبيت الجبهة الداخلية لدولته والقضاء على معارضيه، استطاع توسيع حدود دولته وتوطيد أركانها، وتحقق انتصارات هائلة جعلته واحدًا من أعظم الفاتحين في التاريخ الإسلامي؛ فإن قوة الجبهة الداخلية وحصانتها، وحسن إدارته لأمور دولته، تعتبر السبب الرئيس في قوته الخارجية وتعدد حملاته الجهادية وانتصاراته وفتوحاته، **ومنها:**

1- فتح إقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر:

استنجد الأمير الساماني نوح بن منصور [1] بالسلطان محمود لقتال الثائرين عليه والطامعين بحكم دولته في عام (384هـ-994م) فانجده، فقام الأمير نوح بتولية السلطان محمود على مدينة نيسابور وهراة، وكذلك ولاه قيادة جيوش إقليم خراسان، ومن هذا التاريخ بدأ الضعف والانهيار الفعلي للدولة السامانية في إقليم خراسان وسيطرة الدولة الغزنوية عليها، وبعد وفاة الأمير نوح بن منصور في عام (387هـ-997م) زاد ضعف الدولة السامانية فقام السلطان محمود بالسيطرة على ما تبقى من مناطق حكمهم وفتح إقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر في عام (389هـ-999م)، وقضى على أخر حكامها وهو الأمير عبد الملك بن نوح، وأزال حكمهم منها بشكل كامل[2]، بعد أن دام مائة وثمانية وعشرين عامًا في الفترة الواقعة ما بين (261-389هـ/ 874-999م).

([1]) هو نوح بن منصور بن نوح بن عبد الملك بن نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان، أبو القاسم والملقب بالرضي، وقد تولى حكم الدولة السامانية وعمره ثلاث عشرة عامًا، واستمر في الحكم قرابة واحد وعشرين عامًا، وقد توفي في عام (387هـ-997م) وتولى حكم الدولة السامانية بعده ابنه أبو الحارث منصور بن نوح؛ تاريخ مختصر الدول، ابن العبري، ج1، ص178؛ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء ج2، ص133؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج27، ص159؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج11، ص370.

([2]) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج8، ص52؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص497، 503؛ في عام (387هـ-997م)؛ الإنباء في تاريخ الخلفاء، ابن العمراني، ص184؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج11، ص373؛ روضة أولي الألباب، البناكتي، ص202؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج3، ص440؛ تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك، ص60؛ محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، محمد بك، ص456؛ نزهة الأنظار، محمود مقديش، ج1، ص300.

وقد اعترف الخليفة العباسي القادر بالله بحكم السلطان محمود على إقليم خراسان، بسبب كثرة ما كان يسمع من أخبار حسنة عن سيرته[1]، وبعد القضاء على الدولة السامانية، عمل على قتال ملك الترك الأعظم إيلك الخان في بلاد ما وراء النهر إلى أن قضى عليه وفرض سيطرته على أملاكه[2].

2- فتح إقليم سجستان:

فتح السلطان محمود إقليم سجستان في عام (393هـ-1003م) وانتزعها من الأمير الصفاري خلف بن أحمد الصفار، وكان ذلك بسبب عهد الأمير خلف حكم إقليم سجستان لابنه الأمير طاهر في عام (390هـ-1000م)، فلما استقر الأمير طاهر في الحكم عق أباه وأهمل أمره، وقبض عليه وسجنه، وبقي في السجن إلى أن مات فيه، ولما سمع جيش إقليم سجستان بذلك انشقوا عن طاعة الأمير طاهر، وقدموا الطاعة للسلطان محمود، وقاموا بتسليمه حكم الإقليم، ودخل قوادها وسائر ولاتها في طاعته من غير قتال[3].

3- **فتح بلاد الغور:**

وقد فتح السلطان محمود إقليم بلاد الغور في عام (401هـ-1011م) بعد أن كثر فيها المفسدون وقُطاع الطرق الذين كانوا يخيفون السبيل، فأهم السلطان شأنهم، وقرر محاربتهم والقضاء عليهم، فجهز الجيش وتوجه إليهم وأبادوهم قتلاً وأسرًا، وكان من ضمن الأسرى زعيمهم ابن سورى، ولعظم ما لحق بملكه شرب السم في سجنه ومات[4].

4- فتح إقليم خوارزم:

توجه السلطان محمود لمحاربة المفسدين في إقليم خوارزم في عام (407هـ-1016م)، بعد أن قاموا بقتل خوارزمشاه صهر السلطان محمود، وعندما وصل حدود إقليم خوارزم عبأ الجيش بقيادة محمد إبراهيم الطائى، فأهلكوا جميع جيش إقليم خوارزم، وقبضوا على خمارتاش

([1]) زين الأخبار، جرديزي، ص149؛ الإنباء في تاريخ الخلفاء، ابن العمراني، ص184.

([2]) البداية والنهاية، ابن كثير، ج11، ص373.

([3]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص527؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج27، ص228؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص332؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص207؛ نزهة الأنظار، محمود مقديش، ج1، ص300-301.

([4]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص570-571؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج27، ص245.

قائد جيش الخوارزميين وعلى جميع المفسدين فيها ووضعهم في السجن، وتمكن من فتحها في (صفر 408هـ- يوليو 1017م)[1].

5- فتح بلاد الري:

وقد توجه السلطان محمود لفتح بلاد الري في عام (420هـ-1029م) وكانت من ضمن ممالك الدولة البويهية والتي كان يحكمها الأمير البويهي مجد الدولة رستم بن بويه، وألقى القبض عليه، والذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه فخر الدولة في (رجب 387هـ- يوليو 997م) وكان سبب ذلك أن مجد الدولة كان حاكمًا فاسدًا اشتغل عن تدبير أمور حكمه، بمعاشرة النساء ومطالعة الكتب، لذلك فقد كانت أمه تتولى تدبير ملكه والتي توفيت في عام (419هـ-1028م) فاختلفت أحواله وطمع فيه جنده، وكذلك من أجل محاربة أهل الفرق الضالة والمذاهب الفاسدة والقضاء عليهم، فقام بقتل كثير من أهل تلك الفرق والمذاهب، وسجن بعضهم، وفتح بلاد الري، وطهرها من نجسهم وخبثهم، وسيطر على خزائن البويهيين التي كانوا قد ادخروها في سنين طويلة[2].

وبهذا العمل أوقف السلطان محمود زحف الخطر البويهي الشيعي على بلاد المشرق الإسلامي، والتي زاد من خطورته قيام الدولة العبيدية الفاطمية الشيعية في مصر.

6- فتح بلاد الهند، والقضاء على ملوكها:

بعد أن تمكن السلطان محمود من تثبيت حكمه في إقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر، شرع في طرق أبواب بلاد الهند وغزوها، فقد تعددت حملاته وغزواته عليها وتمكن من فتح أقاليم كثيرة فيها، لم يتفق لغيره من الملوك، لا قبله ولا بعده، وبلغ ما لم تبلغه في الإسلام راية، ولم تتل به سورة ولا آية، وغنم منهم غنائم كثيرة[3].

وقد ظل فتح المسلمين لبلاد الهند حلمًا كبيرًا يراود الخلفاء والسلاطين لفترة كبيرة منذ عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتوالت الحملات في عهد الخلافة

([1]) زين الأخبار، جرديزي، ص259؛ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج15، ص121؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص241.

([2]) زين الأخبار، جرديزي، ص273؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص710؛ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء ج2، ص157؛ الإنباء في تاريخ الخلفاء، ابن العمراني، ص184؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص668.

([3]) نزهة الأنظار، محمود مقديش، ج1، ص301.

الأموية والعباسية إلى أن يسر الله فتح بلاد الهند على يد السلطان محمود، وبذلك يُعد فتح السلطان محمود لبلاد الهند، هو الفتح الحقيقي لها.

ولقد بشر رسول الله محمد ﷺ بغزو وفتح بلاد الهند بقوله: "عِصَابَتَانِ مِنْ أُمَّتِي أَحْرَزَهُمُ اللهُ مِنَ النَّارِ عِصَابَةٌ تَغْزُو الْهِنْدَ وَعِصَابَةٌ تَكُونُ مَعَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ"[1]، وفي حديث آخر عن هشيم عن سيار بن حسين بن عبيدة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "وَعَدَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ الْهِنْدِ فَإِنْ أُدْرِكْهَا أُنْفِقْ فِيهَا نَفْسِي وَمَالِي، فَإِنْ قُتِلْتُ كُنْتُ مِنْ أَفْضَلِ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ رَجَعْتُ فَأَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ الْمُحَرَّرُ"[2]، فلا ريب أن هذه المبشرات أضافت رصيدًا معنويًا وحسيًا على الفتوحات الإسلامية، فكانت تسير وفق رؤية واضحة المعالم.

وقد انتهج السلطان محمود في فتوحاته في بلاد الهند أسلوب قطع أحد أصابع يد الحاكم الهندي المهزوم أمامه، فقد كان عنده عدة أصابع ممن هادنهم من ملوك الهند[3]، فمثلاً عندما فتح مدينة كراتشي في عام (396هـ-1006م) قطع خنصر حاكمها ثم أطلقه إهانة له، وإظهارًا لعظمة الإسلام وأهله[4]، وهذا يدل على قوة الدولة الغزنوية وعظيم شأنها ومهابتها.

ومن أقاليم ومدن بلاد الهند[5] التي فتحها السلطان محمود نذكر:

فتح السلطان محمود إقليم غرشستان في عام (389هـ-999م) وقبض على صاحبها الشار الشاه وأودعه السجن إلى أن مات[6].

وفتح مدينة برشور في عام (392هـ-1002م)، وظفر بالنصر، وقتل من الهنود الكثير، وقهر ملك الهند آنذاك جيبال، وأسره مع بعض جيشه، وغنم منهم أموالاً كثيرة،

---

(1) السنن الكبرى، النسائي، الجهاد/ غزوة الهند، 303/4: رقم الحديث 4369.

(2) المصدر السابق، الجهاد/ غزوة الهند، 303/4: رقم الحديث 4368

(3) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج8، ص53؛ مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، ج18، ص363.

(4) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج8، ص53؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج11، ص385.

(5) انظر: شكل (5): أقاليم ومدن بلاد الهند، ص 146؛ انظر: شكل (6): بعض غزوات السلطان محمود على بلاد الهند، ص 147.

(6) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص503-504.

وخمسمائة ألف رأس من العبيد، وكثيرًا من الجواهر النفيسة[1]، وأحب أن يطلق سراح ملك الهند جيبال ليراه الهنود مذلولاً، مقابل بعض المال[2]، وقد فتح السلطان محمود أيضًا مدينة بهاطبة القريبة من إقليم المولتان في عام (395هـ-1005م) وهي مدينة حصينة عالية الأسور[3].

وقد فتح إقليم المولتان وهرب منها ملك الهند آنذاك بيدا إلى قلعة كالنجار، فسار خلفه السلطان محمود وحاصره فيها حتى صالحه على بعض المال[4]، وفي عام (397هـ-1007م)، قضى على نواسه شاه أحد أبناء ملوك الهند[5]، وعاد لغزو الهند مرة أخرى في عام (398هـ-1008م) ووصل إلى شاطئ نهر هندمند، وهزم جيوش الهند[6]، وقد عاد السلطان محمود لغزو بلاد الهند في عام (400هـ-1010م) وانتصر على جيوش الهنود في معركة نارين، وغنم الكثير من الغنائم[7].

وتوجه السلطان محمود بجيش كبير لغزو أواسط بلاد الهند في عام (404هـ-1013م)، فنصره الله سبحانه وتعالى، وغنم ما معهم من مال وفيلة وسلاح[8]، وفي عام (405هـ-1014م) فتح منطقة تانشير، وتقاتل الجيشان حتى انهزم جيش بلاد الهند، وظفر المسلمون بالنصر والتمكين، وغنموا ما معهم من أموال وفيلة[9]، وأيضًا غزا بلاد الهند على عادته عام (406هـ-1015)[10].

---

(1) وقد غنم السلطان محمود من عنق جيبال قلادة من الجوهر الثمين، قدرت بمائتي ألف دينار؛ زين الأخبار، جرديزي، ص253، الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص524؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج27، ص226؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص205.

(2) زين الأخبار، جرديزي، ص253؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص524-525؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج27، ص226؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص205؛ المعارك الاسلامية في الهند، أحمد الجوارنة، ص28.

(3) تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، ج1، ص308.

(4) المصدر السابق، ج1، ص308.

(5) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص546.

(6) المصدر السابق، ج7، ص557.

(7) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج27، ص244-245؛ تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، ج1، ص310.

(8) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص592.

(9) المصدر السابق، ج7، ص595.

(10) المصدر نفسه، ج7، ص607.

ولم يتوقف السلطان محمود عن سياسته القاضية بضم المزيد من بلاد الهند، فسار في عام (407هـ- 1016م) على رأس جيش كبير لفتح إقليم كشمير، والقضاء على ملك بلاد الهند الهارب إليها تروجنبال وفتح الكثير من مناطقها وقلاعها[1]، وفتح مدينة قنوج وما حولها من الولايات الفسيحة[2].

وغزا السلطان محمود بلاد الهند في عام (409هـ-1018م)، وافتتح مدينتي مهرة وختوج، وكان فتحًا عزيزًا ونصرًا مؤزرًا للمسلمين[3]، وفي عام (410هـ-1019م) سيطر على عدة قلاع وحصون، وغنم كثيرًا من الأموال والفيلة والجواهر الكثير[4].

وتوجه السلطان محمود لغزو بلاد الهند كعادته في عام (410هـ-1019م) لفتح مدينة بارى فوجد المدينة خالية من الهنود فأحرق معابدها وغنم كل ما وجده فيها، وفى عام (411هـ-1020م) فتح أيضًا وادي قيرات ونور[5].

وأوغل السلطان محمود في بلاد الهند في عام (414هـ-1023م)، حتى وصل إلى قلعة كبيرة جدًا على رأس جبل منيع فيها الكثير من الأصنام، فحاصرها وضيق عليها، وقتل منهم الكثير فلما رأوا ما حل بهم طلبوا الأمان، فأمنهم السلطان محمود مقابل المال، بعد الانتصار عليهم في معركة ياردين، وغنم منهم الكثير[6]، وكذلك فتح قلعة كواليار وكالنجر[7].

([1]) زين الأخبار، جرديزي، ص258؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص612؛ تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، ج1، ص317.

([2]) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الطالبي، ج1، ص72.

([3]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص29؛ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء ج2، ص150؛ تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، ج1، ص322.

([4]) العبر في خبر من غبر، الذهبي، ج2، ص217؛ مرآة الجنان، اليافعي، ج3، ص18؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص10؛ شذرات الذهب، ابن العماد، ج5، ص56.

([5]) زين الأخبار، جرديزي، ص: 261، 263.

([6]) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج15، ص159؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص676؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص250-251.

([7]) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الطالبي، ج1، ص72.

وقد ختم السلطان محمود غزواته في بلاد الهند بفتح مدينة سومنات في عام (416هـ-1025م)[1]، والتي سنتحدث عنها بالتفصيل في المبحث الأخير من هذا الفصل.

ويتبين للباحث مما سبق أن معظم فتوحات السلطان محمود كانت في بلاد الهند، وهذا يدل على رغبة السلطان محمود في فتحها ونشر الإسلام فيها، وأن يتوسع على حساب مناطق جديدة لم يصلها الإسلام قبله في بلاد المشرق الإسلامي، فقد قاد السلطان محمود الكثير من الحملات على بلاد الهند، واستطاع أن يقضي على ملوكها ويخضعهم لسلطانه وينشر في بلادهم الإسلام، فقد أذعن كل ملوك بلاد الهند لسلطان الإسلام ودخل كثير منهم الإسلام ومن بقي دفع الجزية عن يد وهو من الصاغرين.

ويقول أحمد العسيري أن الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود قد أصبحت تعد أعظم دولة إسلامية حكمت بلاد الهند[2].

ومنذ القدم إلى الآن تختلف عادات وأفكار سكان بلاد الهند، عن عادات وأفكار المسلمين لذلك فإن معركة الإسلام في بلاد الهند ظلت قائمة لمئات السنين، وما زالت قائمة حتى وقتنا الحاضر، والذي نلمسه جليًا في المذابح والمجازر السنوية والموسمية التي يقوم بها عباد البقر من الهندوس ضد المسلمين، الذين تحولوا من قادة وحكام لبلاد الهند إلى أقليات هنا وهناك، برغم ضخامة أعدادهم مقارنة بغيرهم من بلدان العالم.

وهناك جملة من الأسباب التي جعلت السلطان محمود يتجه بغزواته وفتوحاته نحو بلاد الهند، لعل أبرزها:

1- لعل من أقوى الأسباب التي دفعت السلطان محمود إلى التوجه لغزو وفتح بلاد الهند هو الرغبة في الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى ورفع راية الإسلام، ورغبته كذلك في تثبيت دعائم حكمه وتوطيد نفوذه في بلاد جديدة لم يصلها الإسلام من قبل.
2- لم تكن الظروف مواتية لبسط نفوذه وتوسعه في جهة الغرب، بسبب قوة ونفوذ البويهيين في العراق وبلاد الديلم[3] الذين يعملون على بسط سيطرتهم عليها، لذلك تطلعت أنظاره للتوسع

([1]) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص28؛ شذرات الذهب، ابن العماد، ج5، ص90.

([2]) موجز التاريخ الإسلامي، ص461-462.

([3]) الديلم: وهم الذين تقع بلادهم في إقليم الجبال (ايران الحالية)، وقد اختلفت الآراء حول أصلهم، فقد نسبهم البعض الى قبيلة بني تميم العربية، وقال آخرون انهم من الفرس وهذا هو الاقرب، وينسب اليهم ملوك بني

في بلاد الهند.

3- كان لقرب مدينة غزنة مركز دولتهم من حدود بلاد الهند دافع للتوجه إليها والتوسع فيها، علاوة على ذلك ما تمتع به جيشه من قوة ضاربة وجيش قوي يمكنه من خوض المعارك وتحمل الصعاب إضافة إلى أن والده الأمير سبكتكين كان قد وجه كل جهوده وطاقاته لغزوها فجاء السلطان محمود وأكمل ما بدأه أبوه.

وقد انتقد المستشرق الأوروبي وِل ديورَانت الفتح الإسلامي لبلاد الهند بوصفه أنه كان أكثر قصص التاريخ تلطخًا بالدماء؛ وبوصف الفاتحين بالهمج الذين جاؤوا على شكل طوائف من الأفغان والأتراك والذين ما فتئوا يجوبون حول حدود بلاد الهند لاحتلالها[1]، **ويمكن تفنيد قوله من خلال الأتي:**

1- إن منهج القرآن الكريم والرسالة التي جاء بها رسول الله محمد ﷺ هي رسالة الرحمة للعالمين، لقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾[2]، وقال أيضًا: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾[3]، فالأصل في الإسلام هو السلام والمسالمة لكل البشر، ولم تشرع الحرب في الإسلام إلا لرد العدوان والدفاع عن دين الله سبحانه وتعالى القائل في كتابه الكريم: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾[4]، وقد كان رسول الله محمد ﷺ إذا أمر أميرًا على جيش للغزو في سبيل الله أوصاه بتقوى الله سبحانه وتعالى، في التعامل مع الأعداء، فقد قال: "اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ..."[5].

بويه، ويحد بلاد الديلم من جهة الجنوب قزوين وبعض حدود إقليم اذربيجان وبلاد الرى، ومن جهة الشرق بلاد الري وطبرستان، ومن جهة الشمال بحر الخزر، ومن جهة الغرب بلاد الران؛ صورة الأرض، ابن حوقل، ج2، ص375-376؛ المسالك والممالك، الاصطخري، ص204؛ آثار البلاد وأخبار العباد، القزويني، ص330-331.

(1) قصة الحضارة، ج3، ص152.

(2) الأنبياء: 107.

(3) البقرة: 208.

(4) البقرة: 109.

(5) المسند الصحيح، مسلم، الجهاد والسير/ تأمير الإمام الأمراء على البعوث، 1357/3: رقم الحديث 1731.

2- إن العمليات العسكرية للمسلمين في بلاد الهند لم تكن بهدف القتل والنهب والتدمير، وإنما مهدت الطريق لنشر الإسلام وإزاحة قوى الكفر والطغيان[1].

3- حقائق التاريخ تثبت أن المسلمين حين فتحوا بلاد الهند لم يكونوا جماعة من الهمج، ولو كانوا كذلك لما تركوا آثارهم الواضحة على حضارة بلاد الهند، وليس من المتوقع أن تكون هناك حرب دون دماء، وقد شهد التاريخ في أزمنة وأمكنة متعددة، حتى في العصر الحديث والمعاصر سفك دماء أكثر مما سُفك في الفتح الإسلامي لبلاد الهند.

7- فتح بلاد الديلم:

لقد وصلت فتوحات السلطان محمود إلى حدود مدينة أرمينية في عام (420هـ-1029م)[2]، وتوجه إلى إقليم جرجان ووصل إلى حدود بلاد العراق وسيطر على تلك البلاد من أولاد الأمير فخر الدولة بن بويه[3].

وهكذا ظل السلطان محمود يقوي ويثبت الجبهة الداخلية للدولة الغزنوية، إيمانيًا وعقائديًا وعسكريًا، استعدادًا لسلسلة الحملات الجهادية الواسعة لتوسيع وتوطيد أركان دولته، فقوة الدولة تبدأ من داخلها، فقد كان لقوة وثبات الجبهة الداخلية للدولة الغزنوية أثر كبير في قوتها السياسية والحضارية والثقافية والعسكرية، فذلك برهان من الله سبحانه وتعالى في إعلاء كلمته، وإعزاز نصرته، القائل في كتابه الكريم: ﴿**ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾[4].

ويتضح للباحث مما سبق أن السلطان محمودًا كان يجاهد على جبهتين لخدمة الإسلام ونصرة الدين: الأولى الجبهة الداخلية والتي عمل فيها على محاربة الذين كانوا يعيثون في الأرض فسادًا ويعتمدون على السلب والنهب لخيرات المسلمين، وقُطاع الطرق وأصحاب الفرق والمذاهب الفاسدة من الترك والغوريين والبويهيين، والجبهة الثانية جبهة بلاد الهند والذي عمل فيها على فتح مدنها وإخضاع ملوكها وتوسيع رقعة العالم الإسلامي فيها ونشر الإسلام بين سكانها، وبالفعل أثبت السلطان محمود أنه قائد شجاع لا يخاف في الله سبحانه وتعالى لومة لائم.

([1]) مرآة الجنان، اليافعي، ج3، ص18؛ شذرات الذهب، ابن العماد، ج5، ص56؛ نزهة الأنظار، محمود مقديش، ج1، ص300-301.

([2]) ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص637-638.

([3]) روضة أولي الألباب، البناكتي، ص237.

([4]) الجمعة: 4.

ومن نتائج الفتح الإسلامي لبلاد المشرق الإسلامي في عهد السلطان محمود ما يلي:

1- توسعت الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود حتى أصبحت تضم معظم بلاد الهند وإقليم خراسان وطخارستان وسجستان وبلاد ما وراء النهر وبلاد الغور وبلاد الري وغيرها، وقد وطئت خيله أماكن لم تطأها خيل المسلمين من قبل، ورفع رايات الإسلام في بلاد لم يدخلها الإسلام من قبل.
2- استطاع السلطان محمود نشر الإسلام والمذهب السني في ربوع بلاد المشرق الإسلامي، وكذلك القضاء على أصحاب الفرق الضالة والمذاهب الفاسدة وقطاع الطرق، نتيجة الانتصارات الرائعة التي حققها.
3- أصبحت الدولة الغزنوية في عهده أكبر قوة في بلاد المشرق الإسلامي، وأصبحت له مملكة شاسعة جدًا، وقد كانت الدولة الغزنوية في عهده دولة عظيمة أضافت الكثير للفتوحات والحضارة الإسلامية.

وصفوة القول أن الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود كان لها نشاط عسكري كبير في بلاد المشرق الإسلامي أضافت الكثير للفتوحات الإسلامية، واستطاع السلطان محمود حكم دولة متعددة الأجناس والشعوب والأفكار والمعتقدات بقوة وحزم، وحافظ على وحدة هذه الدولة رغم المحاولات المتكررة للتمرد عليه، فكان السلطان محمود بحق بطلاً من أبطال الإسلام، وسوط عذاب على الكفار، وتفصيل حاله في الحروب والفتح يطول شرحه، فجزى الله عن الإسلام والمسلمين سلطانًا هذه أفعاله وأعماله.

المبحث الثاني:

معركة سومنات[1] (دروس وعبر)

أولاً: أحداث المعركة:

ظل السلطان محمود في جهاد متواصل ضد ملوك بلاد الهند متنقلاً من نصر إلى نصر، بعد أن فرض على نفسه غزو بلاد الهند في كل عام، ففتح منها مناطق كثيرة[2]، ومناطق لم يصلها أحد قبله في الإسلام[3]، وكان كلما فتح فيها فتحًا أو هدم صنمًا، يقول أهل بلاد الهند: "إن سومنات ساخط عليهم، ولو كان راضيًا عنهم لأهلك محمودًا دونه"[4]، فلما علم بذلك السلطان محمود وبكثرة عباد صنم سومنات قرر غزوه وهدمه، ظنًا منه أن الهنود إذا فقدوه، ورأوا كذب ادعائهم الباطل، دخلوا في الإسلام[5]، ولعل إصرار السلطان محمود على هدم صنم سومنات هو ضرورة مواصلة ما بدأ به من جهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى ونشر الإسلام في بلاد الهند، وهذا لا يكتمل بدوره إلا إذا قضى على أسطورة صنمهم الأعظم سومنات.

وقد تجهز السلطان محمود وأعد جيشه وتوجه لغزو بلاد الهند وهدم صنم سومنات، وقد خرج من مدينة غزنة متوجهًا إليه في (10 شعبان 416هـ- 7 أكتوبر 1025م)[6]، بجيش يقدر

([1]) اختلف المصادر في لفظ اسم هذا الصنم فأغلب المصادر توردها بلفظ سومنات، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، ج8، ص53؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص71؛ مرآة الجنان، اليافعي، ج3، ص18؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص28؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص491؛ نزهة الأنظار، محمود مقديش، ج1، ص300؛ وقد وردت بلفظ سمنات في البناكتي، روضة أولي الألباب (ص: 237)؛ وسومنان في البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص37 ؛ وبلفظ سر منات في شذرات الذهب، ابن العماد، ج5، ص56.

([2]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص71.

([3]) شذرات الذهب، ابن العماد، ج5، ص56.

([4]) ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص492؛ شذرات الذهب، ابن العماد، ج5، ص90.

([5]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص71؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص28؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص492-493؛ شذرات الذهب، ابن العماد، ج5، ص90.

([6]) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج28، ص261؛ العبر في خبر من غبر، الذهبي، ج2، ص234؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج4، ص266؛ شذرات الذهب، ابن العماد، ج5، ص90؛ وذكر البناكتي أنه فتح سومنات في

تعداده بثلاثين ألف فارس غير المتطوعة[1]، الذين اختارهم لهذه المعركة بعناية فائقة وأنفق عليهم أموالاً كثيرة، لعظم هذه المعركة وعلمه بمكانة هذا الصنم عند سكان بلاد الهند[2].

وعندما علم الهنود مدى إصرار السلطان محمود على هدم صنمهم الأعظم سومنات، عرضوا عليه أموالاً هائلة جدًا وكنوزاً عظيمة في سبيل ترك هذا الصنم والرحيل عنه، ظنًا منهم أن المسلمين ما جاءوا إلا لأجل الأموال والكنوز، فجمع السلطان محمود قادته، واستشارهم في ذلك، فأشاروا عليه بقبول الأموال لتعويض المجهود الضخم والأموال الطائلة التي أنفقت على تلك الحملة، فبات السلطان محمود طول ليلته يفكر ويستخير الله سبحانه وتعالى، ولما أصبح قرر هدم الصنم سومنات، وعدم قبول الأموال وقال كلمته الشهيرة: "إني فكرت في الأمر الذي ذكر فرأيت أنه إذا نوديت يوم القيامة أين محمود الذي كسر الصنم؟ أحب إلي من أن يقال الذي ترك الصنم لأجل ما يناله من الدنيا"[3].

وهنا يسطر السلطان محمود ألمع صور الكرامة والإخلاص ومنتهى العبودية لله وتأكيدًا على قوة إيمانه وعزيمته وتوكله على الله سبحانه وتعالى، فقد جعل فتوحاته كلها لله سبحانه وتعالى ومن أجل إعلاء كلمته، ولم يلتفت للدنيا ومغرياتها وأموالها، وآثر على كسب رضا الله سبحانه وتعالى.

وقد وصل السلطان محمود وجيشه إلى مدينة سومنات[4] في يوم الخميس من (ذي القعدة 416هـ- يناير1026م)، بعد مسيرة ثلاثة أشهر تقريبًا من الزمان فتح خلالها الكثير من الحصون والقلاع، وهدم العديد من أصنامها، ولما وصلها وجدها حصنًا حصينًا على ساحل البحر وذات أسوار مرتفعة، وقد تحصن فيها سكان بلاد الهنود وجيوشها ينظرون على جيش المسلمين معتقدين بأن صنم سومنات سيحميهم ويخلصهم من جيش المسلمين[5].

عام (394هـ-1004م)، روضة أولي الألباب، البناكتي، ص237؛ وذكر ابن كثير أنه فتح سومنات في حدود في عام (400هـ-1010م)، البداية والنهاية، ابن كثير، ج6، ص249.

(1) جماعة فرسان تخرج للغزو لا رجالة فيها؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص71.

(2) مرآة الجنان، اليافعي، ج3، ص18؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص71؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص28؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص492؛ شذرات الذهب، ابن العماد، ج5، ص90.

(3) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص28؛ شذرات الذهب، ابن العماد، ج5، ص90.

(4) انظر: شكل (7): مدينة سومنات، ص148.

(5) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص71؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص491-492.

وفي اليوم الثاني وهو يوم الجمعة، بدأ جيش السلطان محمود ومن معه من أبطال الإسلام بالزحف لاقتحام هذا الحصن وفتحه، وهم مكبرون مهللون، وموقنون بأن الله سبحانه وتعالى ناصرهم، فرأى الهنود من المسلمين قتالاً لم يعهدوا مثله من قبل، ومدى شراستهم في القتال حتى ولو قتلوا جميعًا عن بكرة أبيهم، وقد تمكن جنود الجيش الإسلامي من تسلق سور الحصن عن طريق السلالم، وحينئذ اشتد القتال بين الطرفين، وقد استنجد الهنود بصنم سومنات وسألوه النصر، واستنجد المسلمون برب السموات، إلى أن حل الليل وتوقف القتال في هذا اليوم ولم يستطع المسلمون من اقتحامه وفتحه لاستماتة جيش الهنود في الدفاع عن صنمهم الأعظم[1].

وفي اليوم الثالث لحصار الحصن واشتداد القتال وهو يوم السبت، اشتعلت ساحة المعركة من جديد، وقاتل المسلمون الهنود بمنتهى الضراوة، إلى أن تمكنوا من اقتحامه[2] والوصول إلى مكان وجود الصنم سومنات، واشتد القتل بين الطرفين أكثر وأكثر، وقاتل الهنود جيش المسلمين على بابه أشد قتال، حيث إن الهنود صُعقوا من هول الصدمة القتالية بعدما ظنوا أن إلههم الباطل سيحميهم ويهلك عدوهم، وكانوا يدخلون إليه ويبكون ويتضرعون إليه ويطلبون النصر منه، حتى أثخن فيهم القتل وقتل منهم الكثير، وعندما أيقن الهنود أنهم لا مفر من القتل على يد جيش المسلمين، بعد أن دخلوا كالسيل الجارف داخل المدينة، وقد شعروا بأنهم سيفنون بالكلية فركبت البقية منهم المراكب في البحر وحاولوا الهرب، فلحق بهم جيش المسلمين فما نجا منهم أحد فقتل بعضهم وأغرق البعض الآخر، وقد قتل من الهنود في هذه المعركة ما يقارب خمسين ألفاً[3]، قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿...**وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا**﴾[4].

وبعد الانتهاء من القتال وتحقيق النصر والتمكين للمسلمين على الهنود بعد ثلاث أيام عصيبة، من القتال الشرس حول صنم سومنات، دخل السلطان محمود على مكان الصنم، وأمر

([1]) ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص492-493.

([2]) انظر: شكل (8): مشاهد توضيحية لاقتحام جيش السلطان محمود لحصن معبد سومنات، ص149.

([3]) زين الأخبار، الجرديزي، ص269؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص493.

([4]) الطلاق: 2-3.

المؤذن أن يصعد على أسطح المعبد ويؤذن للصلاة، وأمر بهدمه وإحراق بعضه[1]، وأخذ أجزاء من أحجاره إلى مدينة غزنة، وجعلها عتبة للمسجد الجامع[2].

وعندما دخل السلطان محمود على الصنم وجد عليه وفيه من الجواهر والذهب النفيسة أكثر من الذي قدمه الهنود للسلطان محمود قبل المعركة بأضعاف مضاعفة، ووجدوا حوله من أصنام الذهب والفضة المرصعة بالجواهر شيء كثير، والتي يزعمون أنها الملائكة، ووجدوا في أُذني الصنم سومنات أكثر من ثلاثين حلقة، فسألهم السلطان محمود عن معنى ذلك، فقالوا: كل حلقة عبارة عن عبادة ألف سنة[3]، وبلغ ما تحصل من حليته من الذهب عشرين ألف ألف دينار[4]، وقد عاد السلطان محمود إلى مدينة غزنة منتصرًا ووصلها في (10 صفر 417هـ- 3 ابريل 1026م)[5].

فسبحان الله القائل في كتابه الكريم: ﴿...**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا(2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ...(3)**﴾[6]، وصدق رسول الله محمد ﷺ عندما قال: "أَنَّ مَنْ ترك شيئًا لله عوضه اللهُ خيرًا منه"[7]، فقد رفض السلطان محمود أخذ الأموال التي عرضها عليه الهنود طاعةً لله سبحانه وتعالى فعوضه أكثر منها بكثير، قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿**ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾[8]، وقال أيضًا: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[9]، فهذا الطراز العظيم من القادة الربانيين الذين لم تشغلهم الدنيا وأموالها

(1) انظر: شكل (9): معبد سومنات الذي هدمه السلطان محمود من الخارج، ص150؛ انظر: شكل (10): معبد سومنات بعد إعادة بناؤه من جديد، ص151؛ انظر: شكل (11): معبد سومنات بعد إعادة بناؤه من جديد، ص152.

(2) زين الأخبار، جرديزي، ص269؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص71؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص28؛ شذرات الذهب، ابن العماد، ج5، ص90.

(3) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص71؛ شذرات الذهب، ابن العماد، ج5، ص90.

(4) البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص37.

(5) ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص492.

(6) الطلاق: 2-3.

(7) تطريز رياض الصالحين، فيصل المبارك، باب الصبر، 49/1: رقم الحديث 44.

(8) الجمعة: 4.

(9) آل عمران: 26.

وكنوزها عن الآخرة، وعن نشر الإسلام، والذين ضربوا لنا أروع الأمثلة في بيان نصاعة وصفاء العقيدة الإسلامية، وأظهروا حقيقة الجهاد في سبيل الله وغاياته النبيلة.

وهكذا تمكن السلطان محمود من القضاء على أسطورة المعبد وصنمه سومنات في بلاد الهند، في آخر غزوة له عليها، وإظهار مدى ضعفه وهوانه وأنه لم يستطع أن يدفع عن نفسه الضر؛ وكشف كذب ادعاء كهنتهم ومعتقداتهم الباطلة، لذلك كان هذا أعظم انتصار وأكبر بيان لراية الإسلام في بلاد الهند في عهد السلطان محمود.

وقد مكن الله سبحانه وتعالى للسلطان محمود في هذه المعركة وأعز جند المسلمين وأذل جند الكافرين، كما مكن الله سبحانه وتعالى للإسلام والمسلمين في مواطن كثيرة، ومنها معركة القادسية عام (15هـ-636م)، واليرموك عام (15هـ-636م)، وملاذكرد عام (463هـ-1071م)، وعين جالوت عام (658هـ-1260م)، وغيرها الكثير.

- **وصف صنم سومنات:**

لقد ذكر المؤرخون من وصف هذا الصنم أخبارًا يطول ذكرها وشرحها، ومنها: أن سكان بلاد الهند كانوا يعتقدون بأن صنم سومنات يحيي ويميت، ويزعمون بأن الأرواح إذا فارقت الأجساد اجتمعت إليه، وأن مد البحر وجزره عبادة له، لذلك كانوا يأتونه من كل فج عميق، ومن كل مكان بعيد أو قريب كبارًا وصغارًا، ويقصده الهنود للشفاء من المرض، وقد افتتنوا به، وكانوا يعظمونه أشد التعظيم، ولم يبق أحد من الهنود إلا وقد قرب له قربانًا من ماله ما لا يقدمه لصنم غيره، وقد امتلأت خزائنه بكثير من الأموال والجواهر(1)، وكان الهنود يحجون إلى هذا الصنم لليلة خسوف القمر فيجتمع فيه جموع لا تحصى(2).

وقد كان في خدمة هذا الصنم ألف رجل من الهنود يخدمونه، وثلاثمائة رجل يحلقون رؤوس حجابه وحجاجه وزواره، وثلاثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنون ويرقصون عند بابه(3)،

---

(1) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص71؛ العبر في خبر من غبر، الذهبي، ج2، ص234؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص28؛ نزهة الأنظار، محمود مقديش، ج1، ص301؛ شذرات الذهب، ابن العماد، ج5، ص56-57.

(2) ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص492.

(3) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج29، ص71؛ العبر في خبر من غبر، الذهبي، ج2، ص234؛ نزهة الأنظار، محمود مقديش، ج1، ص301.

وكانوا يغسلون هذا الصنم كل يوم، ويحملون الماء إليه من النهر المسمى كنك والذي يزعمون أن مصبه في الجنة، والذين يلقون فيه عظام موتى زعمائهم[(1)].

وأما بالنسبة للبيت الذي كان يوضع فيه الصنم سومنات فهو مبني على البحر بحيث تلتقفه الأمواج، وبيت الصنم مبنى على "ستة وخمسين سارية من الساج المصفح بالرصاص، وهو من حجر طوله خمسة أذرع، منها ذراعان غائصان في البناء وليس له صورة مشخصة"[(2)].

وكان بيت الصنم مظلمًا، وإنما الضوء الذي عنده من قناديل الجواهر والذهب، وكان عنده سلسلة ذهب فيها جرس، وعنده خزانة فيها عدد من الأصنام الذهبية والفضية، وعليها الستور المعلقة المرصعة بالجوهر والمنسوجة بالذهب، كل واحد منها منسوب إلى عظيم من عظمائهم[(3)].

ثانيًا: مؤهلات النصر والتمكين في المعركة:

إن هذه المعركة تحمل عدة دلائل ومضامين سامية ودروس وعبر عظيمة، لجلب النصر والتمكين، **أهمها:**

1- نصرة الله سبحانه وتعالى لعباده المجاهدين:

فالسبب الأساسي لتحقيق النصر والتمكين الذي وعد الله سبحانه وتعالى به عباده الموحدين هو تحقيق نصر الله فإن نَصرنا الله سبحانه وتعالى نَصَرنا وثبت أقدامنا ومكن لنا في الأرض واستخلفنا فيها، لقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ(7) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ(8)**﴾[(4)]، وقال أيضًا: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا...**﴾[(5)].

([1]) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج8، ص53؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص492.

([2]) ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص492.

([3]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7، ص686-687؛ ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج4، ص492؛ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الطالبي، ج1، ص72.

([4]) محمد: 7-8.

([5]) النور: 55.

ونصرة دين الله سبحانه وتعالى، والقيام به قولاً وعملاً واعتقادًا ودعوة، مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أعظم أسباب النصر والتمكين، لقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿...**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ(40) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ(41)**﴾[1].

لذلك أيقن السلطان محمود وجيشه ذلك وخاضوا المعركة بكل ثبات وتوكل على الله سبحانه وتعالى، ودخلوا حصن الصنم الأعظم سومنات مكبرين مهللين، يبتغون فضل الله ورضوانه.

وإن لم يتحقق للمسلمين النصر والتمكين في الأرض فهو بسبب كثرة الذنوب والمعاصي، فإنه من الضروري اجتناب مانع النصر والتمكين وهو معصية الله سبحانه وتعالى، فعلى المجاهدين ترك المعاصي والآثام والتوبة إلى الله سبحانه وتعالى والاستغفار منها، لقوله في كتابه الكريم: ﴿...**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ...**﴾[2].

ولقد تخلف النصر والتمكين عن الصحابة في غزوة أحد في عام (3هـ-625م)، بسبب المعصية، فسنن الله سبحانه وتعالى لا تحابي أحدًا، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم عن المسلمين في غزوة أحد عندما خالف المسلمون أوامر قائدهم ونزلوا عن الجبل لجمع الغنائم: ﴿...**حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾[3].

فإلى هؤلاء الذين يعتزون بعروبتهم بديلاً عن الإسلام أنقل إليهم قول الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، وإن ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله[4]، فإن كنتم تشعرون بذل فاعلموا أنكم قد ابتغيتم العزة في غير موضعها، فنصر

---

(1) الحج: 40-41.

(2) الصف: 5.

(3) آل عمران: 152.

(4) التاريخ عند ابن أبي شيبة، سليمان الرحيلي، ص582.

وتمكين المسلمين يستمد من نصر الله سبحانه وتعالى لهم، ونصر الله لهم يستمد من نصرهم لله سبحانه وتعالى القائل في كتابه الكريم: ﴿...**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾[1].

2- أن تكون النية خالصة لله سبحانه وتعالى:

أن يكون القتال والغزو في سبيل الله وخوض المعارك بهدف إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى وابتغاء مرضاته، وليكون الدين كله لله سبحانه وتعالى، القائل في كتابه الكريم: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[2]، وقد أخرج البخاري من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال:" جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ الرَّجُلُ: يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"[3].

وأن يكون القتال من أجل الدفاع عن بلاد الإسلام والمسلمين وأعراضهم وأموالهم، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾[4].

أما إذا كانت النية لأجل كسب المال وتوسيع النفوذ وكسب الشهرة والعظمة فهو يعد من القتال في سبيل الطاغوت، وكل من قاتل في سبيل الطاغوت فوليه الشيطان، ومن كان وليه الشيطان فقد خاب وخسر، لقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾[5].

وقد كان هدف السلطان محمود من غزو صنم الهند الأعظم سومنات فقط رضوان الله سبحانه وتعالى ولإعلاء كلمته وتمكين دينه ونشر شرعه في الأرض، ولم يكن هدفه الأموال ولا الجاه ولا التوسع ولا كثرة النفوذ.

([1]) محمد: 7.

([2]) الأنفال: 39.

([3]) صحيح البخاري، البخاري، التوحيد/ قوله تعالى: {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين}، 136/9: رقم الحديث 7458.

([4]) الحج: 39.

([5]) النساء: 76.

3- اجتماع المسلمين على كلمة رجلٍ واحد:

فمن أسباب النصر والتمكين اجتماع كلمة المجاهدين على الحق، ونصرة الإسلام، وألا تفرقهم المسميات، مع الحذر من التنازع والفرقة، لقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[1]، وقال أيضًا: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...**﴾[2]، وحبل الله هو القرآن الكريم.

ونرى ذلك جليًا في تماسك وترابط جيش السلطان محمود في تلك المعركة والعمل بجهد وجدية وشجاعة في اقتحام الحصن واختراق دفاعاته، لتحقيق النصر والتمكين على الأعداء.

4- الاستعانة بالله سبحانه وتعالى والتوكل عليه:

فإن الإلحاح في الدعاء والاستغاثة بالله سبحانه وتعالى والاستعانة به والتوكل عليه، والالتجاء إليه في أوقات الحرب سبب من أسباب تحقيق النصر والتمكين، لقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾[3]، وكذلك الصبر على قتال أعداء الله سبحانه وتعالى، القائل في كتابه الكريم: ﴿**إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾[4]، وقال أيضًا: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾[5].

ولكي يأتي النصر والتمكين يجب أن يبدأ الناس من تغيير ما بأنفسهم حتى يغير الله سبحانه وتعالى ما بأرضهم ويمكن لهم فيها، لقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**...إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ...**﴾[6]، فقد عاش سلفنا الصالح حياة عزيزة قوية مهابة، عاشوا حياة النصر والتمكين في الأرض، فلما غير الناس من بعدهم ما بأنفسهم غير الله سبحانه وتعالى حالهم فعاشوا حياة الضعف والانكسار والذل، وما أصاب الأمة العربية والإسلامية اليوم من ضعف ومهانة وذل لن يتغير حتى يغيروا ما بأنفسها، فننقي واقعنا وبلادنا

([1]) الأنفال: 46.

([2]) آل عمران: 103.

([3]) الأنفال: 9.

([4]) آل عمران: 120.

([5]) آل عمران: 173.

([6]) الرعد: 11.

من البدع والشرك، ومن التبعية الغربية، ونغير ما بأنفسنا بترك المعاصي والآثام والتي لبست ثوب المباح تارة، وثوب التقدم والرقي تارة أخرى، وخلعت لباس التقوى والكرامة، فلن يتغير حالنا حتى ننصر دين الله سبحانه وتعالى وشريعته في الأرض، ونخلص الولاء له ولدينه ولرسوله وللمؤمنين.

وإذا لم يغير الناس ما بأنفسِهم فإن النصر قادم بعد أن يستبدلهم الله سبحانه وتعالى بجيل أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله سبحانه وتعالى ولا يخافون لومة لائم، ليتحقق على أيديهم النصر والتمكين والتغيير، ويدفع الله سبحانه وتعالى بهم فساد المفسدين، وهو القائل في كتابه الكريم: ﴿...**وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم**﴾[1].

وقد يتأخر النصر والتمكين لحكمة يريدها الله سبحانه وتعالى، ليعلم الصادق من الكاذب، وليميز الخبيث من الطيب، ولتزيد الأمة الإسلامية صلتها بالله سبحانه وتعالى، ولتتهيأ الأرض لقبول الحق والنهج السليم، لقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾[2].

وسيحفظ الله سبحانه وتعالى ثم التاريخ عبارات التوحيد والتوكل عليه التي رددها الصغير والكبير في كثير من بلاد الإسلام تحت أصوات المدافع والقصف والدمار، وفي جهادهم ضد أعداء الإسلام والمسلمين، ونسأل الله العلي القدير أن يكون هذا كله من أسباب نصرهم وتمكينهم القريب، وإن الوقوف مع مصائب المسلمين ومناصرة المجاهدين ودعمهم والدعاء لهم، في السر والعلن أيضًا سبب من أسباب النصر والتمكين القريب لأمة الإسلام والمسلمين.

وإن للنصر والتمكين أسبابًا يجب توفر غالبيتها في المجتمع الإسلامي نفسه قبل أن يرفع أحدنا يديه بالدعاء بأن يزيح الغم ويكشف عن إخوانه في أرجاء الأرض ما يعانونه من تسلط الأعداء وانتهاك الحرمات، وقبل أن نطالب الحكومات ونلقي عليها بالتبعة إزاء نصرة إخواننا المستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها.

---

(1) محمد: 38.

(2) البقرة: 214.

الخاتمة

النتائج:

لقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج والتوصيات كان أهمها:

- إن مؤهلات السلطان محمود الإيمانية، كان لها الأثر الكبير في شخصيته، وقوة دولته.
- كان السلطان محمود صاحب رؤية إسلامية شاملة وكاملة، جعلت من فترة حكمه العصر الذهبي للدولة الغزنوية وللمسلمين في بلاد المشرق الإسلامي، وذلك بفضل إخلاصه في العمل على محاربة الفرق والمذاهب الضالة والعقائد الفاسد، وكذلك عمله على نشر الإسلام وهدم الأصنام وبناء المساجد.
- كانت قوة الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود نابعة من حبه واحترامه وتشجيعه للعلم والعلماء، وتقريبهم وجعلهم بطانة حسنة يستشيرهم في إدارة الدولة.
- لم يتوقف السلطان محمود عن الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى ونشر دينه طيلة فترة توليه حكم الدولة الغزنوية، فقد كانت فترة حكمه عبارة عن غزوات وفتوحات وانتصارات وتمكين للإسلام والمسلمين، وكان كل عام يغزو بلاد الهند ويفتح ويثبت حكمه في مناطق جديدة، حتى أيام مرضه.
- توسعت الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود حتى أصبحت تضم معظم بلاد الهند وإقليم خراسان وطخارستان وسجستان وبلاد ما وراء النهر وبلاد الغور وبلاد الري وغيرها، وقد وطئت خيله أماكن لم تطأها خيل المسلمين من قبل، ورفع رايات الإسلام في بلاد لم يدخلها الإسلام من قبل.
- لم يخسر السلطان محمود أي معركة خاضها طيلة فترة توليه حكم الدولة الغزنوية، وأصبحت الدولة الغزنوية في عهده أكبر قوة في بلاد المشرق الإسلامي، ودولة عظيمة أضافت الكثير للفتوحات والحضارة الإسلامية.

التوصيات:

- الاستفادة من سيرة السلطان محمود لتقديم رؤية واضحة، وإعداد سياسات وخطط وبرامج عمل صالحة للتطبيق يحتذى بها لإعادة وحدة الأمة العربية والإسلامية ولم شملها من جديد، لتحقيق النصر والتمكين للمسلمين.
- أهمية الالتزام بأسباب النصر والتمكين والأخذ بها لما لذلك أثر كبير في قوة الدولة.
- علينا أن نتمسك بديننا، ونأخذ بالأسباب للمحافظة على وحدة كلمتنا وأمتنا، ولنحذر أيضًا من أعداء الإسلام الذين يحاولون ليلاً ونهارًا النيل منه.
- ضرورة المحافظة على سلامة الجبهة الداخلية للدولة الإسلامية من الاختلاف والفتن، وعدم التساهل مع أهل الفساد والعناد والمتمردين، والعمل على محاربتهم والقضاء عليهم، لتبقى الجبهة الداخلية متماسكة وقوية ومستقرة، وعصية على الاختراق، فإن استقرار الجبهة الداخلية أمر مهم لأي دولة أو كيان سياسي، فاتحادنا قوة واختلافنا ضعف.
- دعوة لقادة الأمة العربية والإسلامية السياسيين والعسكريين وأصحاب القرار لدراسة مثل تلك الدول والشخصيات الإسلامية العظيمة، وتجاربهم الناجحة للوقوف عليها والاستفادة من أسباب وعوامل ومؤهلات النصر والتمكين لديهم ومحطات القوة والعزيمة والمهابة عندهم، في ظل فشل أغلب تجارب الدول العربية والإسلامية المعاصرة، وأمثال تلك الدول والشخصيات كثيرة، منها: دولة الخلافة الراشدة، وعهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، والدولة الغزنوية وسلطانها محمود، والدولة السلجوقية وسلطانها آلب أرسلان والدولة الزنكية وسلطانها نور الدين محمود، وغيرهم الكثير.
- دعوة قادة المقاومة الفلسطينية والحركات الجهادية في كل مكان إلى قراءة مثل هذه الدراسات والتعلم منها في كيفية التخطيط والإعداد ومحاربة الأعداء.
- إعداد المزيد من الدراسات العلمية التي تتطرق للحديث عن أسباب النصر والتمكين للدول والشخصيات الإسلامية العظيمة والتي بلغت من العزة والكرامة والقوة والمهابة الشيء الكثير، لا تخليدًا لذكرى أولئك فحسب بل طمعًا في الاستفادة من تحليل تلك الأعمال، والاستفادة من تجاربها من أجل العمل على النهوض بدولنا العربية والإسلامية لنعيد لها عزتها وكرامتها.

وكذلك يوصي الباحث إلى دراسة المواضيع التي تفتقد إليها المكتبة العربية والإسلامية برغم أهميتها في وقتنا الحاضر، **ومنها:**

- عوامل النصر والتمكين في جميع الدول الإسلامية القديمة والحديثة.

- دور العلماء والفقهاء في العمل على نشر الإسلام في بلاد الهند وغيرها.
- دور العلماء والفقهاء في قوة الدولة الإسلامية وضعفها.
- أسباب الضعف والهزيمة لبلاد الإسلام، وكيفية النهوض بها.
- أسباب الضعف والهزيمة للدولة الغزنوية.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت682هـ-1283م)، بيروت- لبنان، دار صادر، (د. ت).

الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت- لبنان، مؤسسة الرسالة، ط1، (1408هـ- 1988م).

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري (ت381هـ-991م)، (د. م)، ليدن، ط3، (1411هـ-1991م).

أخبار سلاجقة الروم = مختصر سلجوقنامه، مجهول: من أهل القرن السابع الهجري والثالث عشر الميلادي، (ترجمة: محمد سعيد جمال الدين). القاهرة- مصر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط2، (1428هـ-2007م).

أطلس تاريخ الإسلام، حسين مؤنس، القاهرة- مصر، الزهراء للإعلام العربي، ط1، (1407هـ-1987م).

أطلس التاريخ العربي الإسلامي، شوقي أبو خليل، دمشق- سوريا، دار الفكر، (د. ط)، (د. ت).

الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام = نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي (ت:1341هـ-1923م)، بيروت- لبنان، دار ابن حزم، ط1، (1420هـ-1999م).

الإنباء في تاريخ الخلفاء، محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني (ت580هـ-1184م)، تحقيق: قاسم السامرائي، القاهرة- مصر، دار الآفاق العربية، ط1، (1421هـ- 2001م).

الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (ت562هـ-1167م)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، حيدر آباد- الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط1، (1382هـ- 1962م).

باكستان تجري تجربة لإطلاق صاروخ قصير المدى، تاريخ الإطلاع: 24 ذي القعدة 1439هـ- 5 أغسطس 2018م، الموقع: أخبار 24 (https://akhbaar24.argaam.com/article/detail/173871).

باكستان تجرى تجربة ناجحة لإطلاق صاروخ قصير المدى، تاريخ الإطلاع: 24 ذي القعدة 1439هـ- 5 أغسطس 2018م، الموقع: اليوم السابع، رئيس التحرير خالد صلاح (https://www.youm7.com/story/2014/5/8/%D8%A8%D8%A7%D9%83%D8%B3%D8%AA%D8%A7%D9%86-%D8%AA%D8%AC%D8%B1%D9%89-%D8%AA%D8%AC%D8%B1%D8%A8%D8%A9-%D9%86%D8%A7%D8%AC%D8%AD%D8%A9-%D9%84%D8%A5%D8%B7%D9%84%D8%A7%D9%82-%D8%B5%D8%A7%D8%B1%D9%88%D8%AE-

%D9%82%D8%B5%D9%8A%D8%B1-
%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AF%D9%89/1654254)

باكستان تطلق بنجاح صاروخا باليستيا يستطيع حمل رؤوس نووية، تاريخ الإطلاع: 24 ذي القعدة 1439هـ- 5 أغسطس 2018م، الموقع: الرأي
(http://www.alraimedia.com/Home/Details?Id=cb4f1a7e-563f-4e53-8af1-1b046ae32dd7)، 20 جمادى الآخرة 1435هـ- 22 ابريل 2014م.

باكستان تطلق بنجاح صاروخ حتف-3 الباليستي القادر على حمل رؤوس نووية، تاريخ الإطلاع: 24 ذي القعدة 1439هـ- 5 أغسطس 2018م، الموقع SDA الأمن والدفاع العربي
(http://sdarabia.com/?p=11038).

باكستان تعلن عن تجربة ناجحة لإطلاق صاروخ "حتف- 3"، تاريخ الإطلاع: 24 ذي القعدة 1439هـ- 5 أغسطس 2018م، الموقع: العربي اليوم
(https://www.arabstoday.net/39/%D8%A8%D8%A7%D9%83%D8%B3%D8%AA%D8%A7%D9%86-%D8%AA%D8%B9%D9%84%D9%86-%D8%B9%D9%86-%D8%AA%D8%AC%D8%B1%D8%A8%D8%A9-%D9%86%D8%A7%D8%AC%D8%AD%D8%A9-%D9%84%D8%A5%D8%B7%D9%84%D8%A7%D9%82-%D8%B5%D8%A7%D8%B1%D9%88%D8%AE-%D8%AD%D8%AA%D9%81-3)، 10 جمادى الآخرة 1433هـ- 17 مايو 2012م.

البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت745هـ-1344م)، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت- لبنان، دار الفكر، (د. ط)، (1420هـ1999م).

البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت1224هـ-1809م)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة- مصر، الناشر الدكتور حسن عباس زكي، (د. ط)، (1419هـ-1998م).

البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت774هـ-1372م)، تحقيق: علي شيري، (د. م)، دار إحياء التراث العربي، ط1، (1408هـ- 1988م).

البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد الأصفهاني (ت597هـ-1201م)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت- لبنان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط1، (1423هـ- 2002م).

البلدان، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه (ت365هـ-976م)، تحقيق: يوسف الهادي، بيروت- لبنان، عالم الكتب، ط1، (1416هـ- 1996م).

البلدان، أحمد بن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت284هـ-897م)، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، (1422هـ- 2001م).

بين تدمير تماثيل بوذا واجتثاث مسلمي الروهينغا... درس في النفاق الدولي، عبد الحميد صيام، تاريخ الإطلاع: 22 ذي القعدة 1439هـ- 3 أغسطس 2018م، الموقع: القدس العربي (http://www.alquds.co.uk/?p=707491)، 1438هـ-2017م.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت748هـ-1374م)، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، بيروت- لبنان، دار الكتاب العربي، ط2، (1413هـ- 1993م).

تاريخ الإمارات الإسلامية بالمشرق الإسلامي، فراس سليم الحسني السامرائي، عمان- الأردن، دار الرضوان للنشر والتوزيع، ط1، (1436هـ-2015م).

تاريخ بخارى، أبو بكر محمد بن جعفر النرشخي (ت348هـ-959م)، (ترجمة: أمين عبد المجيد البدوي ونصر الله مبشر الطرازي). القاهرة- مصر، دار المعارف، ط2، (د. ت).

تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت463هـ-1071م)، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت- لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط1، (1422هـ- 2002م).

روضة أولي الألباب في معرفه التواريخ والأنساب، أبو سليمان داود بن أبي الفضل محمد البناكتي (ت730هـ-1330م)، (ترجمة: محمود عبد الكريم علي)، القاهرة- مصر، المركز القومي للترجمة، ط1، (1428هـ-2007م).

تاريخ البيهقى، ابو الفضل البيهقى، (ت470هـ-1077م)، (ترجمة: يحيى الخشاب وصادق نشات). (د. م)، مطبعة الانجلو المصرية، (د. ط)، (د. ت).

تاريخ بيهق، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي، الشهير بابن فندمه (ت565هـ-1170م)، دمشق- لبنان، دار اقرأ، ط1، (1425هـ- 2004م).

تاريخ الترك في آسيا الوسطى، و. بارتولد، (ترجمة: أحمد السعيد سليمان). (د. م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1417هـ-1996م).

تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت911هـ-1505م)، تحقيق: حمدي الدمرداش، (د. م)، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، (1425هـ-2004م).

تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك بن أحمد فريد باشا، (ت1338هـ-1920م)، تحقيق: إحسان حقي، بيروت- لبنان، دار النفائس، ط1، (1401هـ- 1981م).

تاريخ الدول المستقلة في المشرق عن الخلافة العباسية، عطية القوصى، (د. م)، مكتبة دار النهضة العربية، (1992-1993م).

تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت310هـ-914م)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، ت369هـ-980م)، بيروت- لبنان، دار التراث، ط2، (1387هـ- 1967م).

التاريخ عند ابن أبي شيبة، سليمان بن سليم الله الرحيلي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مج27، ع103-104، (1416هـ- 1417هـ/1996م).

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، محمد طاهر الكردي المكي (ت1400هـ-1980م)، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، بيروت- لبنان، دار خضر للطباعة والنشر، ط1، (1420هـ- 2000م).

تاريخ مختصر الدول، غريغوريوس ابن أهرون بن توما الملطي، أبو الفرج المعروف بابن العبري (ت685هـ1286م)، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، بيروت- لبنان، دار الشرق، ط2، (1413هـ-1992م).

تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، فتحية النبراوي، القاهرة- مصر، دار المعارف، (د. ط)، (1429هـ-2008م).

تاريخ ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (ت749هـ-1348م)، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، (1417هـ- 1996م).

تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت571هـ-1176م)، بيروت- لبنان، دار الكتاب العربي ط3، (1404هـ-1984م).

تجارب الأمم وتعاقب الهمم، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت421هـ-1030م)، تحقيق: أبو القاسم إمامي، سروش، طهران، (د. ن)، ط2، (1421هـ- 2000م).

تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل بن حمد المبارك الحريملي النجدي (ت1376هـ-1957م)، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، الرياض- المملكة العربية السعودية، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط1، (1423هـ- 2002م).

التعصب المذهبي في التاريخ مظاهره، آثاره، أسبابه، علاجه، خالد كبير علال، (د. م)، دار المحتسب، (د. ط)، (1429هـ- 2008م).

تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت774هـ-1372م)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط1، (1419هـ- 1998م).

التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (ت629هـ-1232م)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (د. م)، دار الكتب العلمية، ط1، (1408هـ- 1988م).

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (د. م)، دار طوق النجاة، ط1، (1422هـ- 2001م).

جدول السنين الهجرية وما يوافقها من السنين الميلادية، أنطون بشارة قيقانو، بيروت- لبنان، دار المشرق، ط2، (1413هـ- 1992م).

جمهرة أنساب العرب، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت456هـ-1064م)، تحقيق: لجنة من العلماء، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، (1403هـ 1983م).

حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت911هـ-1505م)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، (1387هـ- 1967م).

الخلاصة في شرح الخمسين الشامية، علي بن نايف الشحود، بهانج- ماليزيا، دار المعمور، ط1، (1430هـ-2009م).

درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت728هـ-1328م)، تحقيق: محمد رشاد سالم، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط2، (1411هـ- 1991م).

الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي، عصام الدين عبد الرؤوف الفقى، القاهرة- مصر، دار الفكر العربي، (د. ط)، (1420هـ-1999م).

ديوان بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني (ت398هـ-1008م)، تحقيق: يسري عبد الغني عبد الله، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ط3، (1424هـ-2003م).

ديوان الإسلام، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (ت1167هـ-1754م)، تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، (1411هـ- 1990م).

ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت808هـ-1405م)، تحقيق: خليل شحادة، بيروت- لبنان، دار الفكر، ط2، (1408هـ- 1988م).

ذكرى تحطيم تماثيل بوذا في باميان، نسيم صابر، تاريخ الاطلاع: 22 ذي القعدة 1439هـ- 3 أغسطس 2018م، الموقع: قنطرة، (https://ar.qantara.de/content/gtyl-lldhkr-trykhy-dhkr-thtym-tmthyl-bwdh-fy-bmyn)، 1429هـ-2008م.

رسائل ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت456هـ-1064م)، تحقيق: إحسان عباس، بيروت- لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، (1400هـ-1980م).

زين الأخبار، أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود جرديزي (ت443هـ-1051م)، (ترجمة: عفاف السيد زيدان). القاهرة- مصر، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، (1427هـ-2006م).

السجون والعقوبات في الدولة الغزنوية (366-579هـ/976-1182م)، ياسر عبد الجليل بشير طه، مجلة الشرق الأوسط (مركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس)، ع39، (1437هـ- 2016م)، ص401- 430.

سلم الوصول إلى طبقات الفحول، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ "كاتب جلبي" وبـ "حاجي خليفة" (ت1067هـ-1657م)، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، اسطنبول- تركيا، مكتبة إرسيكا، (د. ط)، (1431هـ- 2010م).

سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت1111هـ-1699م)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، (1419هـ- 1998م).

سنن الترمذي = الجامع الصحيح، الامام الحافظ أبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت279هـ-892م)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، (د. م)، دار الفكر للطباعة والنشر، (د. ت).

سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت275هـ-888)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا، بيروت- لبنان، المكتبة العصرية، (د. ط)، (د. ت).

السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت303هـ-915م)، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، بيروت- لبنان، مؤسسة الرسالة، ط1، (1421هـ- 2001م).

سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت273هـ-886م)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د. م)، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، (د. ط)، (د. ت).

سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت748هـ-1347م)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، (د. م)، مؤسسة الرسالة، ط2، (1405هـ-1985م).

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت1089هـ-1687م)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دمشق- سوريا، دار ابن كثير، ط1، (1406هـ-1986م).

صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت821هـ-1418م)، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، (د. ط)، (د. ت).

صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، علي محمد الصلابي، بيروت- لبنان، دار المعرفة، ط1، (1429هـ- 2008م).

صورة الأرض، محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم (ت بعد عام367هـ-977م)، بيروت- لبنان، دار صادر، أفست ليدن، (د. ط)، (1357هـ- 1938م).

طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت771هـ-1370م)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، (د. م)، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، (1413هـ-1992م).

طبقات الفقهاء الشافعية، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ت643هـ-1245م)، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، بيروت- لبنان، دار البشائر الإسلامية، ط1، (1413هـ-1992م).

طبقات النسابين، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (ت1429هـ-2008م)، الرياض- المملكة العربية السعودية، دار الرشد، ط1، (1407هـ- 1987م).

طبيعة الوزارة في عهد الدولة الغزنوية (388هـ- 998م/ 432هـ-1040م)، أحمد الجوارنة، مجلة أبحاث اليرموك "سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية" مج10، ع1994,3، ص47-95.

العبر في خبر من غبر، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت748هـ-1347م)، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، (د. ط)، (د. ت).

الفتح المبين بشرح الأربعين، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (ت974هـ–1567م)، جدة – المملكة العربية السعودية، دار المنهاج، ط1، (1428هـ– 2008م).

الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، حسن الباشا، القاهرة– مصر، دار النهضة العربية، (د. ط)، (1385هـ– 1965م).

قصة الحضارة، وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت (1401هـ–1981م)، (ترجمة: زكي نجيب محمود، ومحمد بدران، وعبد الحميد يونس، وفادي أندراوس). بيروت– لبنان، دار الجيل، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، (د. ط)، (1408هـ– 1988م).

قيمة الزمن عند العلماء، عبد الفتاح أبو غدة الحلبي الحنفي (ت1417هـ–1996م)، حلب– سوريا، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط10، (د. ت).

الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت630هـ–1233م)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت– لبنان، دار الكتاب العربي، ط1، (1417هـ– 1997م).

الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك، الحسن بن أحمد المهلبي العزيزي (ت380هـ–1427م)، تحقيق: تيسير خلف، (د. م)، (د. ن)، (د. ت).

كنز الدرر وجامع الغرر، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري، تحقيق: جـ1/ بيرند راتكه، (1402هـ– 1982م)، جـ2/ إدوارد بدين، (1414هـ– 1994م)، جـ3/ محمد السعيد جمال الدين، (1402هـ– 1981م)، جـ4/ جونهيلد جراف، (1415هـ– 1994م)، جـ5/ دوروتيا كرافولسكي، (1413هـ– 1992م)، جـ6/ صلاح الدين المنجد، (1380هـ– 1961م)، جـ7/ سعيد عبد الفتاح عاشور، (1391هـ – 1972م)، جـ8/ أُولْرِخ هارمان، (1391هـ– 1971م)، جـ9/ هانس رُوبرت رويمر، (1380هـ–1960م)، (د. م)، الناشر: عيسى البابي الحلبي، (د. ط)، (د. ت).

اللباب في تهذيب الأنساب، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت630هـ–971م)، بيروت– لبنان، دار صادر، (د. ط)، (د. ت).

نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، محمود مقديش، تحقيق: علي الزواري، محمد محفوظ، بيروت– لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط1، (1408هـ–1988م).

النظم الإدارية والعسكرية في الدولة الغزنوية منذ قيامها حتى نهاية عهد السلطان مسعود بن محمود الغزنوى، فتح الله عبد الباقي إبراهيم الصفتي، القاهرة– مصر، جامعة عين شمس، رسالة دكتوراه، (1436هـ– 2015م).

محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، محمد الخصري بك، تحقيق: محمد العثماني، بيروت– لبنان، دار القلم، ط1، (1406هـ– 1986م).

المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت303هـ-915م)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب- سوريا، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2، (1406هـ- 1986م).

مجموع *الفتاوى*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت728هـ-1328م)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،(د. ط)، (1416هـ- 1995م).

مختصر *تاريخ دمشق لابن عساكر*، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت711هـ-1311م)، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دمشق- سوريا، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ط1، (1402هـ- 1984م).

المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (ت732هـ-1332م)، (د. م)، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، (د. ت).

مدينة *غزني (دولة أفغانستان الإسلامية): عاصمة الثقافة الإسلامية لعام 2013م عن المنطقة الأسيوية*، تاريخ الاطلاع: 24 ذي القعدة 1439هـ- 5 أغسطس 2018م، الموقع: إيسيسكو (https://www.isesco.org.ma/ar/2015/06/11/ghazni-capital-of-islamic-culture-in-the-asian-region-for-the-year-2013/).

مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت768هـ-1367م)، تحقيق: خليل المنصور، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، (1417هـ- 1997م).

مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي» (ت654هـ-1256م)، تحقيق: محمد بركات، كامل محمد الخراط، عمار ريحاوي، محمد رضوان عرقسوسي، أنور طالب، فادي المغربي، رضوان مامو، محمد معتز كريم الدين، زاهر إسحاق، محمد أنس الخن، إبراهيم الزيبق، دمشق- سوريا، دار الرسالة العالمية، ط1، (1434هـ- 2013م).

المسالك والممالك، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي (ت346هـ-957م)، بيروت- لبنان، دار صادر، (د. ط)، (1425هـ- 2004م).

مسند *البزار = البحر الزخار*، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت292هـ-905م)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية، مكتبة العلوم والحكم، ط1، (بدأت 1409هـ-1988م، وانتهت 1430هـ-2009م).

مسند *الإمام أحمد بن حنبل*، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت241هـ-855م)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة- مصر، دار الحديث، ط1، (1416هـ- 1995م).

مسند *الإمام عبد الله بن المبارك*، عبد الله بن المبارك بن واضح (ت181هـ-797م)، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، الرياض- المملكة العربية السعودية، مكتبة المعارف، ط1، (1407هـ- 1987م).

المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت261هـ-875م)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت- لبنان، دار إحياء التراث العربي، (د. ط)، (د. ت).

مسند *أبي يعلى*، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت307هـ-919م)، تحقيق: حسين سليم أسد، دمشق- سوريا، دار المأمون للتراث ط1، (1404هـ-1984م).

المعارك الإسلامية في الهند، أحمد محمد الجوارنة، الأردن، جامعة اليرموك، (د. ط)، (د. ت).

معجم *الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت626هـ-1229م)، تحقيق: إحسان عباس، بيروت- لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط1، (1414هـ-1993م).

معجم *اللغة العربية المعاصرة*، أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت1424هـ-2003م)، عالم الكتب، ط1، (1429هـ- 2008م).

معجم *المؤلفين*، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (ت1408هـ-1988م)، بيروت- لبنان، دار إحياء التراث العربي، (د. ط)، (د. ت).

معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت748هـ-1347م)، (د. م)، دار الكتب العلمية، ط1، (1417هـ- 1997م).

المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، تقي الدين، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الأزهر بن أحمد بن محمد العراقي، الصريفيني، الحنبلي (ت641هـ1243م)، تحقيق: خالد حيدر، (د. م)، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع، (د. ط)، (1414هـ- 1993م).

المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597هـ-1201م)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، (1412هـ- 1992م).

موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان (ت1422هـ-2001م)، (د. م)، (د. ن)، ط30، (1424هـ- 2003م).

موجز *التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر (1417هـ-1996- 1997م)*، أحمد معمور العسيري، الرياض- المملكة العربية السعودية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، (1417هـ-1996م).

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت874هـ-1469م)، مصر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، (د. ط)، (د. ت).

نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين احمد بن محمد المقري (ت1041هـ-1632م)، تحقيق: إحسان عباس، بيروت- لبنان، دار صادر، ط3، (1417هـ-1996م).

الهند في ظل السيادة الإسلامية (دراسة تاريخية)، أحمد محمد الجوارنة، (د. م)، مؤسسة حمادة والدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، (د. ط)، (1420هـ- 2000م).

الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت764هـ-1363م)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت- لبنان، دار إحياء التراث، (د. ط)، (1420هـ- 2000م).

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت681هـ-1282م)، تحقيق: إحسان عباس، بيروت- لبنان، دار صادر، ط1، (1318هـ-1900م).

اليميني، أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبي (ت427هـ-1036م)، تحقيق: إحسان ذنون عبد اللطيف الثامري، بيروت- لبنان، دار الطليعة، ط1، (1424هـ- 2004م).

الملاحق



شكل (1): حدود الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود

(المصدر: من إعداد الباحث**)**



شكل (2): مدينة غزنة إحدى مدن دولة أفغانستان حاليًا

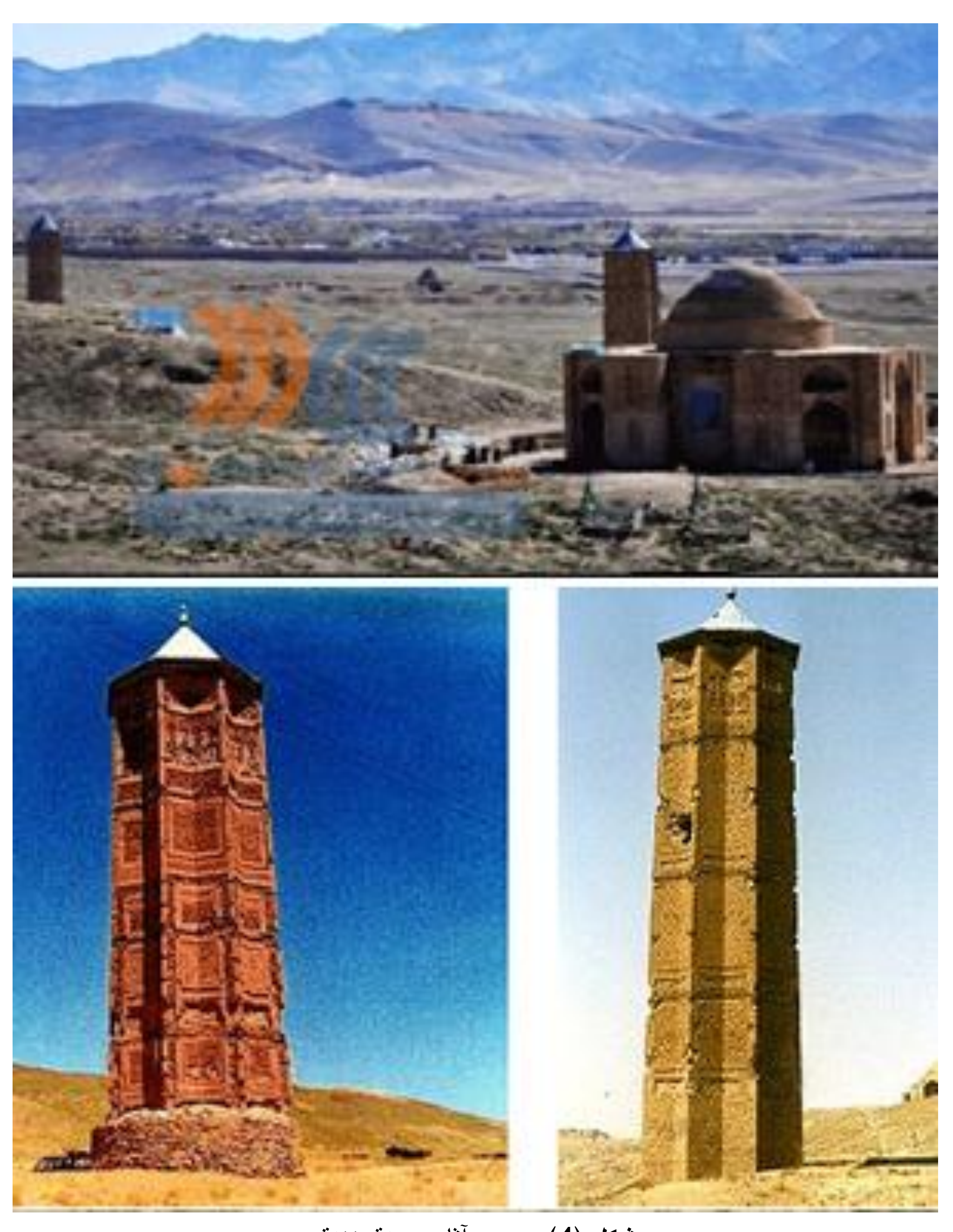
(المصدر: إيسيسكو https://www.isesco.org.ma/ar/2015/06/11/ghazni-capital-of-islamic-culture-in-the-asian-region-for-the-year-2013/**)**





شكل (3): بعض آثار مدينة غزنة

(المصدر: إيسيسكو https://www.isesco.org.ma/ar/2015/06/11/ghazni-capital-of-islamic-culture-in-the-asian-region-for-the-year-2013/**)**



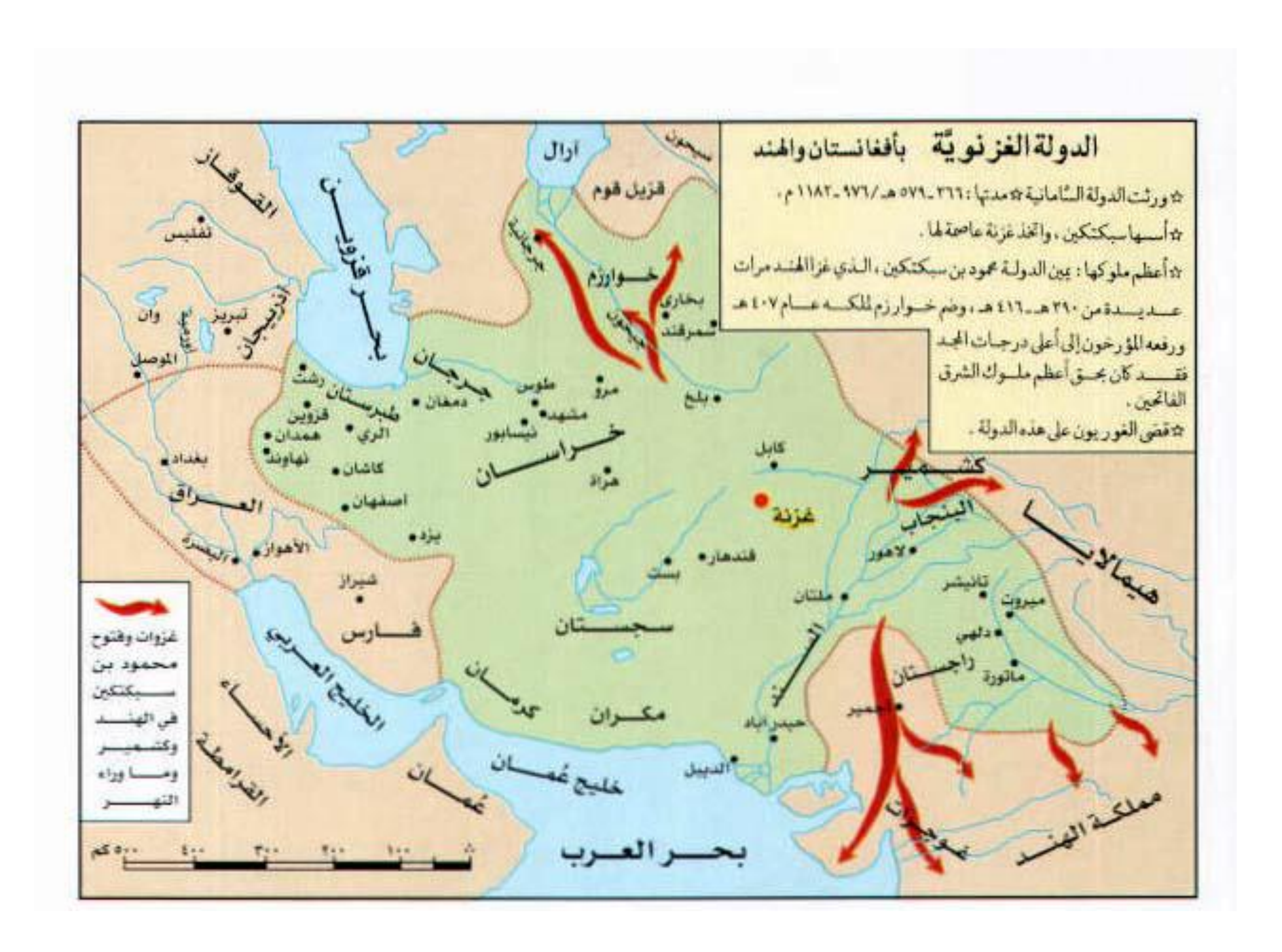
شكل (4): بعض آثار مدينة غزنة

(المصدر: إيسيسكو -https://www.isesco.org.ma/ar/2015/06/11/ghazni-capital-of
(/islamic-culture-in-the-asian-region-for-the-year-2013



شكل (5): أقاليم ومدن بلاد الهند

(المصدر: الهند في ظل السيادة الإسلامية، أحمد الجوارنة، ص 280**)**



شكل (6): بعض غزوات السلطان محمود على بلاد الهند

(المصدر: أطلس التاريخ العربي الإسلامي، شوقي أبو خليل، ص62**)**



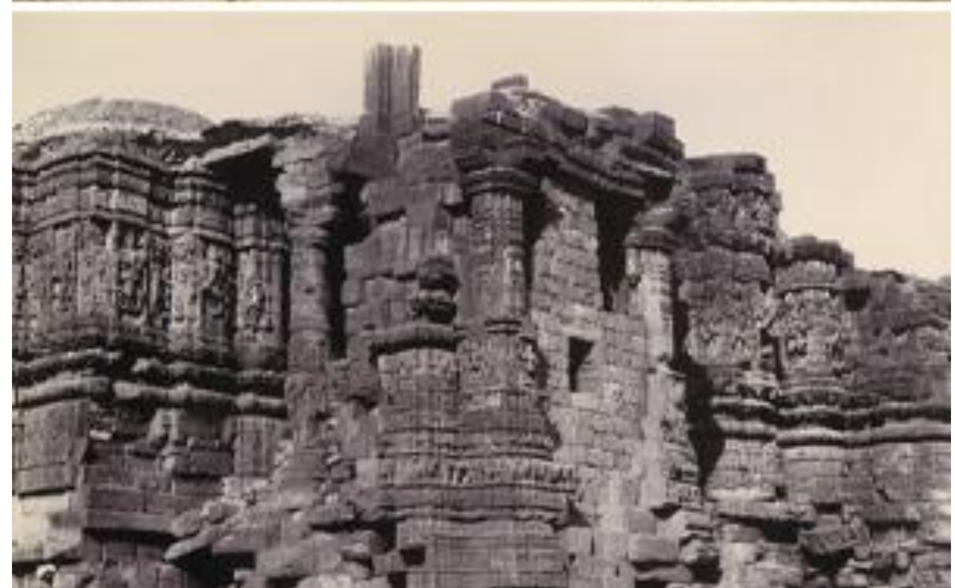
شكل (7): مدينة سومنات

(المصدر: أطلس تاريخ الإسلام، حسين مؤنس، ص246**)**



شكل (8): مشاهد توضيحية لاقتحام جيش السلطان محمود لحصن معبد سومنات
(المصدر: الشبكة العنكبوتية**)**





شكل (9): معبد سومنات الذي هدمه السلطان محمود من الخارج

(المصدر: Be informed, Read Akshardhool**)**





شكل (10): معبد سومنات بعد إعادة بناؤه من جديد

(المصدر: http://globalpress.hinduismnow.org/heritage/temple/gujarat-govt-spends-rs-16-45-crore-somnath-development-two-years-minister-desh-gujarat/**)**



شكل (11): معبد سومنات بعد إعادة بناؤه من جديد

(المصدر: -http://globalpress.hinduismnow.org/heritage/temple/gujarat-govt-spends
/rs-16-45-crore-somnath-development-two-years-minister-desh-gujarat**)**